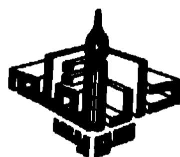
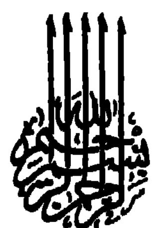
بحوث في المكتبة العربية

تأليف

الدكتور عبد الوهاب عبد السلام أبو النور



بحـوث
فى
المكتبـة العربيـة



الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



دار القلم للنشر والتوزيع
الكويت - شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول - شقة ٨
ص.ب ٢٠١٤٦ - هاتف ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقياً: توزيعكو

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

مقـــدمـــة

المكتبة العربية وتجديد الفكر وبناء الإنسان

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،

أما بعد :

فإن هذا الكتاب يضم مجموعة من الأعمال هي :

١ – الخدمات المكتبية للطفل العربي وسبل تطويرها .
٢ – نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة .
٣ – التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي .
٤ – الببليوجرافيا الموضوعية العربية : علوم الدين الإسلامي .
٥ – قضية التراث .
٦ – تكشيف كتب التراث .
٧ – أربعة كتب ببليوجرافية عربية .
٨ – تنظيم المصغرات الفيلمية واسترجاعها .

وهذه الأعمال هي بحوث متنوعة بعضها عرض في ندوات ، وبعضها نشر في مجلات أكاديمية ؛ مثل مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ، وبعضها نشر في مجلات غير متخصصة مثل مجلة الدارة بالرياض ، ومجلة الثقافة العربية بالقاهرة ، وهكذا . وقد رأيت أن أجمعها في هذا الكتاب لإلقاء الضوء عليها وتعريف جمهور القراء من متخصصين في علوم المكتبات والتراث العربي والباحثين عامة – تعريفهم بها ، لأني لمست بنفسي خلال الفترة الماضية أن هذه البحوث لم تقرأ ولم يعرف عنها أحد ، اللهم إلا عدد قليل جداً من الزملاء . ولهذا فقد

وجدت أن أجمعها في كتاب يضعها أمام القارىء حتى تؤدي الغرض من كتابتها ، خاصة وأنها تضم أو تتناول قضايا في الغاية من الأهمية والخطورة بالنسبة للإنسان العربي بصفة عامة ، وهي تهم كل عالم ومثقف وتربوي ، وكل مهتم بالكتاب العربي والمكتبة العربية والتراث الفكري للأمة .

ومع أن الأعمال ثمانية ، وقد يبدو أنها تتناول موضوعات مستقلة ، إلا أن هناك خطاً فكرياً واحداً يجمعها جميعاً – أو على الأقل الأعمال السبعة الأولى . وهذا الخط الفكرى هو في كلمات موجزة : دور المكتبة العربية في تجديد الفكر وبناء الإنسان . والحقيقة أن هذه قضية كبرى ، ولعل هذا الكتاب يوجه النظر إلى هذا الدور ، ولعله صوت آخر من الأصوات التي بحت والتي تنادي بضرورة النهوض بالمكتبة العربية لكى تنهض بدورها في البحث العلمي والتربوي ، وفي خدمة التراث الفكري ، وفي تثقيف الناس وتعليمهم ، إلى غير ذلك من جوانب هذا الدور.

ودون أي افتعال فسوف نحاول تحديد ملامح هذا الخط الفكري الذي يضم البحوث جميعاً . الافتراض الرئيسي هنا هو أنه إذا كانت الأعمال والجهود ونتاج الأفكار تقاس بالنتائج والخواتيم ، فإن مؤسساتنا التربوية والعلمية والثقافية في الوطن العربي لم تنجح في أداء دورها في النهوض بالإنسان العربي وتحقيق آماله وطموحاته . فالصورة التي نراها الآن للمجتمع العربي هي أنه مجتمع متخلف ممزق في جميع الجوانب وعلى كل المستويات : السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والثقافية ، الخ . وأن هذا المجتمع لا يمكن بأي حال أن يدخل في عداد الدول التي لها شأن في العالم الآن .

معنى هذا أن مؤسساتنا العلمية والتعليمية والثقافية والإعلامية ، وهي المؤسسات التي يناط بها النهوض بأهداف المجتمع وتحقيق فلسفاته – معنى هذا أنها لم تنهض بدورها . ولذلك فإننا بحاجة إلى أن نبحث في أسباب الفشل . أقول هذا رغم أن الكثيرين من المفكرين والمثقفين والعلماء وأساتذة الدين قد بحت أصواتهم في الدعوة إلى الإصلاح ومنذ مدة طويلة وإلى درجة أن أصبح المرء يحس أن لا جدوى من الوعظ والكتابة لأن هذا وتلك لم تعد تؤثر على الناس : إما أنهم يسمعون ويقرأون ولا يعملون ، وإما أنهم لا يلتفتون إليها أصلاً ، وإما أنهم تستلفتهم وتستحوذ عليهم اهتمامات أخرى ويسمعهم ضجيج أعلى من أصوات العلماء والمفكرين والمصلحين ، ويتمثل ذلك فيما تقدمه وسائل الإعلام وأجهزة الثقافة الأخرى من برامج تافهة لا تثقف ولا توجه ، بل حتى لا ترفه ، وإنما تزرى بعقول الناس وتمحو من أذهان الكثيرين ما قد يكونون استفادوه من الوسائل الجادة .

وقد كتب الكثيرون عن الإصلاح ، ومنذ بدأ اتصال المسلمين بالحضارة الغربية الحديثة : لقد هالهم ما رأوه ، فقد كنا سادة العالم ومعلميه فأصبحنا مستعبدين مستذلين نقتات فكرياً على ما تقدمه لنا الدول الغربية ، ورضينا بدور التابع الذليل ، وهذا جعل

مقاديرنا ومصائرنا في أيدي أعدائنا . هال المصلحين هذا الوضع فكتبوا عن كيفية الخروج منه ورأى الكثيرون أن الحل يكمن في العودة إلى عناصر القوة التي صنعت تفوق أسلافنا ، ورأى البعض أن الإصلاح يكمن بالأخذ بأسباب الحضارة الحديثة . وقد أدى هذا إلى ضرورة البحث في إحياء الفكر الديني وتجديده لنتلمس عناصر القوة . واستمر هذا الوضع حتى الآن رغم مرور أكثر من قرنين على بدء هذه الدعوات في أقطار الأمة الإسلامية بدءاً بالهند شرقاً إلى المغرب غرباً ومن تركيا شمالاً إلى السودان جنوباً . ولم يتحسن الوضع بل إنه يزداد سوءاً ، فكلما مر الوقت تتكرس عوامل الضعف حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن ، والذي يسميه البعض : المأزق العربي الراهن . وهو في الحقيقة ليس مجرد مأزق أو موقف بل هو أكبر من ذلك بكثير .

لذلك فإننا مدعوون إلى تجديد الفكر لكي نحدد أهداف الأمة الإسلامية ومن ثَمَّ نعهد بهذه الأهداف إلى مؤسساتنا التعليمية والبحثية والثقافية والإعلامية لكي نعيد بناء الإنسان العربي ونعيد صياغة الحياة .

ولا شك أن البداية يجب أن تكون بالتربية والتعليم : يجب أن نفحص جيداً فلسفة التربية في العالم العربي والإسلامي وأن نشتق هذه الفلسفة من فكر الأمة الإسلامية ثم نعهد بها إلى المؤسسات التعليمية لكي تعيد صياغة المناهج بحيث تصنع الإنسان المسلم على ضوء الفكر الإسلامي الحق لتكون له شخصيته في هذا العالم ؛ أي أنه يجب أن تكون العلوم مكتوبة من وجهة نظر إسلامية حتى لا تندس فيها آراء وأفكار دخيلة على الفكر الإسلامي .

البداية إذن بالتربية ، وهي أيضاً مع الطفل العربي . ولذلك فإن البحث الأول في هذه الدراسات يتناول : الخدمات المكتبية للطفل العربي وسبل تطويرها وهو ضمن أعمال ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربي الحديث التي عقدت بالكويت بالتعاون بين المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية . والبحث يركز على قضية دور المكتبة (العامة) في تحقيق أهداف المجتمع ، وأن أهدافها ووظائفها تشتق من أهداف المجتمع وفلسفته ، وأن دور الأمة الإسلامية هو أسمى دور في هذه الحياة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

بعد تحديد الدور تأخذ المؤسسات المختلفة في يدها أهداف المجتمع وتعمل على تحقيقها . وبالنسبة للمكتبة فإنها لا تقوم الآن بأي دور فعال . وقد اتضح أن الحاجة هي إلى إنشاء الخدمة وليس إلى مجرد الرقي بها . وهذا يتطلب وضع خطة شاملة لنشر الخدمات المكتبية على المستوى القومي ، ووضع المعايير التي تكفل قيام المكتبة بدورها .

ولكي تقوم المكتبة بدورها خير قيام فإن البداية مع مكتبات الأطفال (العامة) والمكتبة المدرسية ، لدورهما في غرس حب القراءة والفكر والتأمل والبحث في الطفل . ولكن هذا يتطلب أيضاً استكمال باقي الحلقات .

فهناك المكتبة القومية (الوطنية) ودورها في جمع التراث الفكري للأمة والمحافظة عليه وتيسيره ، وهناك المكتبة الجامعية ودورها في البحث العلمي ، وكذلك المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات ودورها في مساندة النهضة العلمية والتكنولوجية .

ولكي تنهض كل أنواع المكتبات بدورها فلابد من توفير الركائز الفنية التي تستعين بها في عملها . ويأتي في مقدمة هذه الركائز ضرورة توفير نظام عربي للتصنيف . وقد تناول البحث الثاني وهو : نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة – تناول هذه القضية . أوضح ضرورة توفير مثل هذا النظام وأن القضية ليست مجرد توفير أداة للتصنيف ، بل أوضح عمق الصلة بين فكر الأمة الإسلامية ونظام التصنيف . وقد تحدث البحث عن نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة ، وأهمية أن تحكم هذه النظرية ترتيب الأقسام في نظام التصنيف العربي لأهميتها في صياغة عقل العلماء والباحثين والقراء ، الذين سوف يعتادون حين الدخول إلى المكتبة أن يجدوا كتبهم منظمة وفق فكرهم ولهذا دوره في تعميق هذا الفكر .

كما تحدث البحث عن الخطوات التي تمت في سبيل إنجاز النظام العربي للتصنيف . ومن أهم هذه الخطوات إعداد التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي . وهذا ينقلنا إلى الدراسة الثالثة التي تتناول منهج إعداد أنظمة التصنيف وفق أحدث النظريات ، ثم تطبيق هذا المنهج في إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامي . وهو بهذا يقدم نموذجاً فريداً يمكن احتذاؤه والسير على منواله في استكمال نظام التصنيف العربي من جهة ، وفي إعداد الأنظمة المتخصصة لمراكز المعلوات المتخصصة .

ثم يأتي البحث الرابع وهو يتناول قضية في الغاية من الأهمية بالنسبة للتراث الفكري العربي وللبحث العلمي ، وهي قضية الببليوجرافيات الموضوعية ويبين دور هذه الببليوجرافيات في البحث حيث أنها خير معين للباحث من أول خطوة يخطوها الباحث حتى الإنتهاء من البحث . وأنه بدون هذه الببليوجرافيات لا يمكن أن تكون البحوث كاملة . وهذا ينطبق على البحوث التي تجري باللغة العربية في موضوعات تعتمد على التراث الفكري العربي .

ثم يتحدث عن محاولة لإعداد سلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية العربية بدءاً بعلوم الدين الإسلامي .

وإذا كان هذا البحث الرابع يتناول التنظيم الموضوعي الفعال لمصادر المعرفة ، فإن البحث الخامس يركز على قضية المخطوطات بكل أبعادها ومختلف جوانبها من حيث الأهمية ، وحالة المخطوطات ، ويرسم خطة كاملة لجمع المخطوطات ونشرها وخدمتها .

ويتناول البحث السادس قضية واحدة من جوانب خدمة التراث وهي قضية التكشيف لتوفير المفاتيح اللازمة للوصول إلى خزائن المعرفة التي تشتمل عليها كتب التراث .

كما تتناول الدراسة السابعة أربعة من كتب التراث الهامة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوعنا وهي الببليوجرافيات الرئيسية القديمة التي تجمع هذا التراث .

وأخيراً نأتي إلى البحث الأخير ، وهو عن تنظيم المصغرات واسترجاعها ، وهو وثيق الصلة أيضاً بقضية التنظيم ، كما أنه يعالج قضية هامة وهي أن الأهم في عمل الأجهزة الحديثة – مثل الميكروفيلم – ليس هو التصوير الميكروفيلمي وإنما هو تصميم نظام الاسترجاع ، وهذا الكلام ينطبق بصفة عامة على كيفية تعاملنا مع الأجهزة الحديثة وخاصة الكمبيوتر . فمما لاشك فيه أنها ذات أهمية كبرى ، ولكن ينبغي التعامل معها بعلم وفي إطار الحدود المرسومة .

من الواضح إذن أن الخط الفكري يرتبط بدور المكتبة العربية في صياغة حياة الإنسان العربي وأن الجوانب التي تناولناها جوانب عامة مثل ثقافة الطفل ، والخدمات الببليوجرافية ، والتراث العربي ، ونظام التصنيف العربي ، وغيرها . ولذلك فإن العنوان الذي يضم هذه جميعاً هو العنوان الذي اخترته لهذا الكتاب .

والحقيقة أن معظم الأبحاث ترتبط بأعمال تم إنجاز أجزاء أو حلقات منها : الخطة العربية للتصنيف ، الببليوجرافيا الموضوعية العربية ، بل وحتى تكشيف كتب التراث له صلة بإعداد كشافات مفصلة لمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب كنموذج لما يمكن عمله .

وهنا نأتي إلى أمر هام : ما مصير هذه المشروعات الآن ؟ .

الحقيقة أننا لا يمكن أن نتحدث بالتفصيل عن هذه الأمور حتى لا نطيل المقدمة أكثر مما طالت . وفيما يتعلق بالخطة العربية للتصنيف فقد نوقشت في المؤتمر الثاني للإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي (١) ، واتخذت بشأن استكمالها التوصيات المناسبة ، والتي لو اتيحت الظروف لتحقيقها لكان الوضع الآن مختلفاً .

وفي الوقت الذى كنا نستعد فيه في الرياض لعقد الاجتماع الأول للجنة العامة للخطة العربية للتصنيف (مايو ١٩٧٩) نقلت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تونس ولم يعقد الاجتماع ثم اتخذ العمل في سبيل توفير أداة للتصنيف خطاً مخالفاً لما أجمعنا عليه في مؤتمر بغداد ، وهو توفير خطة أمريكية – لا عربية – للتصنيف في إطار المنظمة العربية للتربية ، والثقافة ، والعلوم ، وهو تعديل طبعة موجزة من التصنيف العشري ، مع أن الكثيرين ممن ساروا على هذا النهج كانوا متحمسين للخطة العربية للتصنيف ، وسبحان مغير الأحوال .

---

(١) انظر كتابنا : الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين . الرياض : دار العلوم ، ١٩٧٨ . وهو يضم عده بحوث تتعلق بالخطة ، وتضم المقدمة الموقف في مؤتمر بغداد .

وهكذا أصبحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بيدنا ممثلا للناشر الأمريكي في المنطقة العربية : ناشر الخطة الأصلية وهو Forest Press . وهذا شيء معترف به في التعديل .

ولست هنا أناقش الموقف من ديوى فهو مدون ومنشور بالتفصيل في كتاب : الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين . كما أنني لا أهتم بنقد العمل من الداخل – في إطار أنه خطة – لأنه مرفوض شكلاً وموضوعاً . ولكني أحب أن أوضح فقط أن الجزء الخاص بعلوم الدين الإسلامي قد استفيد فيه استفادة كبيرة جداً من تصنيف علوم الدين الإسلامي الذي أعددته دون الإشارة إليه ودون استئذان ، وقد حذرت في مؤتمر بغداد من هذا ، ولكن للأسف كان الإغراء بالنقل أكبر من التحذير . كذلك نقل تصنيف علوم الدين الإسلامي كاملاً في أعمال مؤتمر نشرته جمعية اتحاد المكتبيين العراقيين تحت عنوان : « التعديل الجديد بالنسبة للتصنيف العشري لديوى » دون استئذان أيضاً . وأُشيرَ في قائمة المراجع وهي تضم أربعة كتب إلى كتاب التصنيف البيلوجرافي لعلوم الدين الإسلامي مع كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ومختصره للزبيدي !! .

وأنا أعفي نفسي من ذكر الأسماء حتى لا أحرج أصحابها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . وقد يأتي يوم على الأمة الإسلامية تعود فيه من جديد إلى سابق عهدها ولا ترضى بالدنية في أمر علومها وأدواتها الثقافية : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ .

وبعد أن يئست من العمل الجماعي عاودت نشاطي الفردي – وأرجو أن تظهر نتائجه قريباً إن شاء الله – للعمل في استكمال الخطة العربية للتصنيف .

وأما مشروع الببليوجرافيا الموضوعية العربية فقد وقف عند الحد الذي أنجز فيه ، رغم أنني لم أقصر في عرضه على الهيئات العلمية المختصة ، ورغم أننا في مناسبة الاحتفال بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى . ولا أدري هل هناك احتفال أعظم في هذه المناسبة من أن نقدم للعلماء وللمسلمين إنتاج علمائنا في أربعة عشر قرناً .

ولا أدري ما الذي حدث لنا ، وماذا ران علينا ، هل أصبحنا غير قادرين على عمل شيء كبير وعظيم ، هل توقفنا عند توافه الأعمال وسفاسف الأمور . حتى الآن لم يعد العرب دائرة المعارف العربية ، ولا أنجز مجمع اللغة العربية القاموس الشامل للغة العربية الذي بدأه منذ ثلاثين عاماً (لم يكمل حرف الهمزة بعد) وهو يحتاج إلى عمر نوح عليه السلام ، ولم نفكر حتى الآن في إعداد معجم شامل للتراجم العربية ، رغم تقديمه لأكثر من هيئة علمية . وهكذا وهكذا من الأعمال العلمية الكبيرة التي تخلو منها المكتبة العربية . في حين أن المكتبة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، وغيرها ... غنية غنى عظيماً بهذه المراجع كما يعرف

كل مدرس أو دارس للمراجع . ثم نتحدث بعد هذا عن التقدم وعن الآمال الكبيرة للأمة العربية ، أية آمال وأيّ تقدم ونحن لم نخط أولى خطواتنا في سبيل التقدم العلمي : وهي إنجاز الركائز الثقافية الأساسية ، وعندنا وزارات للثقافة في أقطار عربية كثيرة .

أرجو ألا يكون ما كتبت هنا ، وفى أماكن أخر : صرخة في واد ، وألا يذهب أدراج الرياح ، وأن يقرأه مسئولون مخلصون يلتفتون إليه ويعملون على تحقيقه ، حتى نصل في يوم من الأيام إلى :

بنـــك المعـلومـــات الإســـــلامـي

والذي أشرت إليه في البحث الخاص بالببليوجرافيا ، والذي خطته – وغيره – جاهزة عندي ، تنتظر أن يفرج عنها في يوم من الأيام .

وأعود إلى الكتاب ، فالأبحاث كما ذكرت يجمعها خط واحد ، وتتناول موضوعات مترابطة ، ولهذا فقد يلحظ القارىء شيئاً من التكرار في المقدمات وقد تركته حتى إذا كان القارئ يقرأ بحثاً معيناً لا يحس معه بأن هناك نقصاً في المعلومات أو في التعريفات ، الخ .. وعلى كل حال فالتكرار ليس كثيراً وليعذرني القارىء في ذلك .

وأسجل أيضاً أن هناك مصادر ذكرت في نهايات الأبحاث وهي مفيدة لمن يريد أن يتابع القراءة في هذه الموضوعات .

وختاماً أحمد الله على جميل توفيقه وحسن عونه ، وأسأله سبحانه هداية ورشاداً وتوفيقاً وسداداً .

القاهرة في : ذى القعدة ١٤٠٥ هـ
يوليـــــو ١٩٨٥ م

دكتور / عبد الوهاب أبو النور

الخدمات المكتبية للطفل العربي وسبل تطويرها

ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربى الحديث
الكويت من ٧ – ١٠ نوفمبر ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،

أما بعـــد :

فإن موضوع دراستنا هذه هو « الخدمات المكتبية للطفل العربى وسبل تطويرها » وأول ما نلاحظه هنا هو أهمية الموضوع . وتنبع أهمية الدراسة من أهمية الطفل . وقديما قالوا : إن شرف العلم بشرف موضوعه . ومن نافلة القول أن نتحدث هنا عن أهمية الطفل فهذه حقيقة لا مجال للشك فيها ، فالطفل هو المستقبل والمجتمع الذى لا يهتم بالطفل يضيع مستقبله .

وتتعلق الدراسة بجانب من أهم جوانب العناية بالطفل وهو الخدمات المكتبية التى تقدم له ، وهنا نأتى إلى ثانية الملاحظات ، وهى أن اهتمام هذه الندوة بهذا الجانب هو فى حد ذاته دليل على وعى القائمين عليها بأهمية الخدمات المكتبية للطفل ، وتعد هذه نقطة مضيئة بالنسبة لهذه الندوة حيث إن ندوات أخرى وحلقات سابقة لم تغط هذا الجانب ولم تتطرق إليه . وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد .

ثم نلاحظ بعد ذلك ، سعة الموضوع الذى تتناوله الدراسة ، فعنوان الدراسة لم يحدد أى جانب من جوانب الخدمة المكتبية للطفل العربي ، بل يمكن أن يفهم من هذا العنوان كل الجوانب دون استثناء وهنا يقع الباحث في حيرة : فالموضوع من حيث البحث أو الباحث شاسع المجال : فهل نتناول الجوانب التاريخية ، أم نتناولها من الناحية المسحية لخدمات الأطفال كما تؤدى ، أى هل نقوم بمسح شامل لأقسام الأطفال في المكتبات العامة بالوطن العربي وهنا نصطدم بالبعد المكاني ، حيث إن مجال الدراسة هو الوطن العربي كله ، أم نتناولها من حيث الفلسفة والمبادىء ، أم من حيث تقديم هذه الخدمات وكيف هي عليه ، أم من

حيث ما يجب أن تكون عليه ، أم نتناول وضع خطة شاملة لتطوير مكتبات الأطفال في الوطن العربي ، الخ .

كل هذه – وغيرها الكثير – زوايا أو جوانب يمكن أن تتناولها دراسة بهذا العنوان والحقيقة أن كل جانب منها يحتاج وحده إلى وقت طويل وجهد كبير وبيانات غزيرة وإحصاءات دقيقة . هذا مع صعوبة الحصول على مثل هذه البيانات وفجوات الاتصال القائمة ، وعدم توافر أى وسائل معينة للباحث ، مثل الببليوجرافيات الشاملة التي تحصر وتجمع وتنظم الإنتاج الفكرى بحيث يتسنى للمرء أن يعرف ماسبق من دراسات في الموضوع . ولو حاولنا مثلا أن ندرس بالتفصيل و بالدقة اللازمة واقع الخدمات المكتبية العامة للأطفال في الوطن العربي – وهو جانب واحد من جوانب الموضوع – لا احتاج الأمر إلى سنوات عديدة وفرق من الباحثين وأسفار شاقة وزيارات ميدانية ، هذا إذا أمكن اتمام الدراسة على الإطلاق ، بسبب صعوبة الحصول على البيانات والاحصاءات اللازمة عن الخدمة المكتبية ، وبخاصة احصاءات ودراسات القراءة ، وهي آفة تعاني منها معظم مكتباتنا . والمفروض في دراسات كهذه لكي تتم بالدقة المطلوبة وتحقق النتائج المرجوة أن تعتمد على دراسات كثيرة سابقة .

ويكفي في هذا الصدد أن أشير إلى أن دراسة عن : الاعداد المهني للعاملين في المكتبات* العامة بمصر ، قد استغرق إعدادها سنوات متعددة ، واحتاج صاحبها لاستكمال معلوماته إلى القيام بزيارات ميدانية متعددة للتحقق من صحة البيانات التي حصل عليها . وهو يحدثنا عن تجربته بسبب نقص البيانات :

« هذا ويصطدم الباحث في مجال الخدمة المكتبية العامة بعدم وجود أدلة للمكتبات العامة شاملة في حصرها ، وحديثة في بياناتها ، فهناك نقص واضح وملحوظ في هذا المجال ، بالرغم من وجود أكثر من دليل عن المكتبات العامة ، إلا أن بياناتها تتصف بأنها قديمة ، ولا تمثل الواقع بدقة ، فضلا عن أنها غير شاملة ، بمعنى أنها لا تمثل العدد الصحيح والدقيق للمكتبات العامة الموجودة بالفعل ، كما أن عدد العاملين بكل مكتبة لا يمثل الحجم الصحيح ... » .

ثم يتناول الأخ الباحث بعض هذه الأدلة ، ومنها على سبيل المثال « دليل المكتبات في الوطن العربي والصادر في سنة ١٩٧٣ عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، هذا الدليل لم يسجل من المكتبات العامة في مصر إلا مكتبة واحدة »[(١)] .

---

(١) محمد مجاهد يوسف ، الإعداد المهني للعاملين في المكتبات العامة بالجمهورية العربية المتحدة : رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم المكتبات والوثائق ، كلية الآداب – جامعة القاهرة . القاهرة : ١٣٩٧ /١٣٩٨ هـ – ١٩٧٧ /١٩٧٨ م ، ص ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

هذا عن الأدلة ، وهي من أسهل المصادر إعدادًا ، والمفروض أنها تتناول بيانات سهلة ، ومع ذلك لم يجد الباحث ما يعتمد عليه . وهناك عوامل أخرى تقلل من قيمة البيانات التي يمكن الحصول عليها ، فهي غير مستقرة ، وسريعة التغير ، نتيجة عدم استقرار العاملين في المكتبات وكثرة تنقلاتهم(1) .

ويلاحظ أن الدراسة التي نشير إليها تتناول جانبًا واحدًا وهو الإعداد المهني للعاملين في المكتبات العامة في بلد واحد هو مصر ، وهو موضوع يمكن السيطرة عليه نسبيا ، ومع ذلك عانى الباحث كل المعاناة في الحصول على البيانات . فماذا عن الدراسات الأصعب من حيث السيطرة عليها مثل دراسات القراءة .

تقول الدكتورة كافية رمضان :

« ثم هناك حقيقة أخرى يجب ذكرها ، وهي أن من يحاول معرفة قراءات الطفل الكويتي من خلال دور بيع الكتب أو من خلال المكتبات العامة سيفاجأ بعدم وجود حصر مطلقا بالنسبة لمحلات بيع كتب الأطفال فلا يستطيع أن يتعرف على كمية الكتب المباعة ولا من يشترى هذه الكتب هل الطفل نفسه أم والديه (هكذا والصحيح والداه) أو أقاربه ، أما بالنسبة للمكتبات العامة فهي بدورها تفتقر إلى الحصر الدقيق بالنسبة للإعارة الداخلية فلا يمكننا الوصول إلى معرفة أهم الكتب التي تجذب انتباه الأطفال وتقرأ أكثر من غيرها ، أما مكتبات حدائق الأطفال فهي غاية في الفقر ، إذ لا يزيد عدد القصص في بعض هذه المكتبات عن ثلاثين قصة ، وهو عدد ضئيل ولا شك ... »(2) .

ومما يزيد من صعوبة الدراسة ويحد منها – الى جانب نقص البيانات – افتقار المجال الى دراسات في مجال الخدمة المكتبية للأطفال ، مع أهميته . وقد يكون ذلك راجعا إلى أسباب منها : أن علم المكتبات والمعلومات لا يزال حديثا نسبيا في الوطن العربي ، وأن الدراسات العليا في هذا العلم لم تعط إلا ثمرات قليلة نسبيا لعل أكثرها في مصر حيث أقدم اقسام المكتبات في الوطن العربي ، أما باقي الأقسام فلا يزال معظمها حديثا وحديثا جدا أحيانا ؛ الكثير منها لم ينشأ فيه دراسات عليا أصلا لعدم توفر الأساتذة ، لهذا لم يتم عن الأطفال إلا دراسة واحدة على مستوى الماجستير(3) . وقد حاولت أن أحصل عليها فلم استطع رغم

---

(1) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(2) كافية رمضان ، التأثيرات الثقافية في الطفل الكويتي : بحث مقدم الى حلقة ثقافة الطفل العربي ، الكويت في ٨ – ١٢ ديسمبر ، ١٩٧٩ ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٩) ص ص ٣١ – ٣٢ .

(3) سهير أحمد محفوظ ، الخدمة المكتبية العامة للأطفال بالقاهرة : دراسة ميدانية لواقع الخدمة بأقسام الأطفال بفروع دار الكتب وبمكتبة الروضة المركزية للأطفال ؛ دراسة لما يجب أن تكون عليه الخدمات

طلبي لها في كل مطانها . وهذا في حدّ ذاته دليل على عدم كفاية الخدمة المكتبية في عالمنا العربي .
وهكذا حرمت دراستنا هذه من أهم عمل في مجال الخدمة المكتبية للأطفال تم في الوطن العربي

وتبقى مجموعة من الأعمال بالعربية ، وهي تقع في ثلاث فئات :

(أ) الكتب التي تناولت الخدمة المكتبية العامة للأطفال ، وأهمها ثلاثة ، اثنان منها مترجمان ، والثالث يشتمل في أغلبه على الجزء الذى يمكن أن نجده في المصادر الأجنبية .

(ب) الكتب والدراسات التي تناولت المكتبات العامة . وهناك ثلاث رسائل أكاديمية عن المكتبات العامة في مصر ، ولم يحظ الأطفال في هذه الرسائل إلا بفقرات متناثرة هنا أو هناك ، قد لا تعدو صفحة أو بعض صفحة .

(جـ) دراسات عن المكتبات بصفة عامة في بلد من البلاد مثل الكويت أو مصر ، وهي كسابقتها لم تعط اهتماما لخدمات الأطفال . ولا نطيل بذكر هذه الأعمال هنا وإنما نسجلها في نهاية البحث .

والخلاصة أنه لا توجد دراسات يمكن الاعتماد عليها في قياس الخدمة المكتبية للأطفال بالوطن العربي ، وأن إجراء مثل هذه الدراسة لأغراض دراستنا الحالية أمر متعذر ، فهو يحتاج إلى استعدادات تخرج عن حدود مثل هذه الدراسة المختصرة .

ثم نلاحظ بعد ذلك أن الاهتمام بالطفل وثقافته في الوطن العربي ينصب على أدب الأطفال ، وعلى تربية الأطفال ، وليس لنا اعتراض بطبيعة الحال على الاهتمام بتربية الطفل وأدب الطفل ، ولكن اعتراضنا هو أن هذا الاهتمام لم يصحبه اهتمام بمكتبات الطفل :

— حلقة ثقافة الطفل المشار إليها منذ قليل لم أر فيها أبحاثا عن مكتبات الأطفال .

— خصص الأسبوع الثامن للتربية لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية ، وقد عقدته جمعية المعلمين في مارس ١٩٧٨ . وقد ضمت أعمال الأسبوع أبحاثا متعددة عن طفل المرحلة ولم يكن من بينها – على كثرتها – أى بحث عن مكتبات الأطفال ، بعكس الدراسات الأجنبية عن نفس المرحلة وغيرها من مراحل نمو الطفل : تربية وتثقيفا فهي لا تخلو من أبحاث أو فصول عن مكتبات الأطفال .

— وقد تصفحت أعمال الأسبوع فلم أجد من بينها إلا بحثا واحدًا عن كتب الأطفال لا عن مكتبات الأطفال . وهناك اثنان من العاملين في المكتبات اشتركا في الأسبوع ، وقد وجدت أنهما قد كتبا عن تربية الطفل في الإسلام[1] . كذلك خلت التوصيات من أية

= المكتبية للأطفال فى مصر ، ورسالة ما جستير قدمت إلى كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

(١) هما عبدالتواب شرف الدين ، ومحمد عبدالمنصف حسن ، وكلاهما يعملان بالمكتبات (وزارة =

إشارة إلى مكتبات الأطفال وان كانت قد تضمنت توصية عن كتب الطفل تحثّ الأدباء الذين يقومون باعداد المواد الثقافية للطفل على أن يهتموا بتأليف قصص الأطفال ومسرح الطفل والتمثيليات المرتبطة بعادات وتقاليد المجتمع العربي[1] .

ـ لكتب التي تتحدث عن تثقيف الطفل تهتم بكل وسائل تثقيف الطفل ، ولكنها حينما تتحدث عن كتب الأطفال كوسيلة من هذه الوسائل تعزلها عن المكتبات ، وكأن المكتبات ليست هي التي تقدم الخدمة المكتبية للأطفال[2] .

ـ وسائل الإعلام عندنا لا تولى الكتاب والمكتبة ما ينبغى لهما من اهتمام وعناية ولا تقدم البرامج التي تدعو الطفل والوالدين إلى القراءة .

ويمكن أن نخلص من هذا كله إلى نتيجة هامة ، وهي أن المكتبة لا تشغل جانبا مهما في تفكير المسئولين عن تربية الطفل وتثقيفه ، وإنما يهتمون فقط بالجوانب التربوية والجوانب الأخرى لتثقيف الطفل . فإذا صحّ هذا الاستنتاج فهو يدل على موقف لا يمكن أن يؤدى إلى نهضة حقيقية في مكتبات الأطفال .

ومما لاشك فيه أن أدب الأطفال والجوانب الأخرى لتثقيف الطفل مما يعالج في ندوتنا هذه ، لها تأثير كبير على تكوين الطفل ثقافيا ، وإنني أدعو إلى مزيد من الاهتمام بهذه الوسائل ، ولكن سوف تبقى المكتبات هي المكان الذى يحصل فيه الإنسان على الثقافة الرصينة . ومن ثم فلا يجوز أن تلقى منا هذا الإهمال .

وهناك جانب آخر ، وهو أن الكتاب يلقى منافسة من وسائل التثقيف الأخرى ، وكما قلت فإننى أدعو إلى الاهتمام بتلك الوسائل ولكني أقول أيضا أن المنافسة ليست متكافئة ، وذلك يرجع في الأساس إلى أننا كمجتمع عربي لا نعطي للقراءة مكانها اللائق بها في تكويننا الثقافي . ولذلك فلم تكد الجهود تبدأ للاهتمام بالمكتبات حتى داهمتها وسائل الإعلام والتثقيف الأخرى .

ولسنا نريد أن ندخل في منافسة غير مفيدة مع هذه الوسائل ، بل على العكس من ذلك ، نريد أن تكون لهذه الوسائل تأثيراتها في إقبال الناس على الكتب والمكتبات من خلال

التربية الكويت) وقد تحدثا عن تربية الطفل في الإسلام

(١) جمعية المعلمين الكويتية ، توصيات ندوة أسبوع التربية الثامن التي عقدت في الفترة من ٢٥ - ٣٠ مارس ١٩٧٨ تحت عنوان : طفل ما قبل المرحلة الابتدائية ، ص ٢٨٩ .

وقد عقد مركز تنمية الكتاب بالهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ندوة عن أدب الطفل (١٩٨٣) خلت أيضا من أي أبحاث عن مكتبات الأطفال .

(٢) انظر على سبيل المثال : فاروق عبدالحميد اللقاني ، تثقيف الطفل : فلسفته وأهدافه مصادره ووسائله (الأسكندرية · منشأة المعارف ، ١٩٧٦) وقد خصص الفصل السادس للمادة المطبوعة تحدث فيها عن مجلات الأطفال وكتب الأطفال ولكنه لم يتحدث عن مكتبات الأطفال .

دعوتهم المبرمجة لهذا ، ونريد كذلك نوعا من التوازن بين هذه الوسائل وبين الكتب والمكتبات ، فكل منها يأخذ مكانه اللائق في التكوين الثقافي للطفل وللكبار أيضا .

وعلى كل حال هذه مشكلة عالمية ، ولكنهم في الخارج يحققون التوازن ، أما عندنا فنحن نختار دائما الأسهل والأخف والأقل احتياجا إلى بذل الجهد والتركيز الفكرى ، وهذا ما يتوفر في وسائل التثقيف الأخرى ، ولذلك فإن هذه المنافسة ليست في صالح الكتاب .

وعلى كل حال فهذا موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة تجيب على السؤال التالى : إلى أى حد يؤثر التلفزيون وغيره من وسائل الإعلام والتثقيف على استخدام الكتب والمكتبات .

ورغم كل هذه الصعوبات والحدود المفروضة على دراستنا هذه ، والتي تعوق اتمام دراسة تضع النقط على الحروف بالنسبة للمكتبات العامة للأطفال . رغم هذا وبسبب هذا فقد حاولنا في هذه الدراسة أن نركز على الجوانب العامة . فنحن لسنا في مرحلة تقويم أداء بقدر ما نحن في مرحلة إنشاء . ومن الواضح أن المجتمع العربي لم يؤسس بعد اقتناعه بأهمية المكتبات العامة والخدمة المكتبية للأطفال كجزء من هذه المكتبات العامة ، وهذه الفجوة في الاقتناع ربما تكون ناتجة عن عدم إدراك الدور الهام لهذه الخدمات .

إن مكتبات الأطفال في الوطن العربي توجد في الأعم الأغلب كزوايا أو أقسام في المكتبات العامة ، وحتى إن وجدت مستقلة – مثل مكتبة الروضة المركزية للأطفال – فهي جزء من الخدمة المكتبية العامة . ولذلك ركزنا هنا على المكتبات العامة على أساس أن مكتبات الأطفال من حيث الدور ومن حيث المشكلات هي جزء من المكتبات العامة . وكذلك عند الانشاء والتطوير والتقويم ستكون جزءا من المكتبات العامة .

لذلك حاولنا هنا أن نؤسس الاقتناع بأهمية مكتبات الطفل وأهمية الدور الذى تلعبه المكتبات العامة في المجتمع اجمالا . ثم حاولنا إعطاء صورة ممثلة قدر الإمكان للآفات والمشكلات التي تعاني منها المكتبات العامة في الوطن العربي ، وأن نعطي الخطوط العامة لتطوير هذه المكتبات في صورة الخطوط العريضة لخطة إنشاء هذه المكتبات على المستوى القومي تاركين التفاصيل لدراسات تالية أو لندوات قادمة تعقد لهذا الغرض ، مع توجيه الاهتمام إلى أهم المصادر التي يمكن أن تفيد في هذا الصدد لتكون أمام الباحثين في المستقبل .

وغنى عن القول أن هذا البحث بطبيعته ووضعه بين موضوعات الندوة يجب أن يهتم أساسا بالمبادىء والأفكار والفلسفات لا بالتفاصيل المتخصصة فهذه مكانها الكتب الدراسية والأدلة الإرشادية لمن ينشئون مكتبات الأطفال . هذه الكتب كثيرة في اللغة الإنجليزية جدا ، وقد نقل بعضها إلى العربية ، كذلك توجد بعض الأعمال المشابهة بالعربية . وهذه وتلك تكون أدلة كافية لمن يحملون مسئولية إنشاء وتطوير مكتبات الأطفال في الوطن العربي . وقد سجلنا عددا لا يستهان به منها في البيليوجرافية في نهاية البحث .

ولا يمكن أن يهتم بحث كهذا أيضا بوضع خطط مفصلة وشاملة لإنشاء وتطوير المكتبات العامة ومكتبات الأطفال ، ذلك أن وضع خطة شاملة مفصلة Master Plan لمكتبات الوطن العربي هي مهمة أكبر بكثير من بحث واحد وباحث واحد . هي مهمة فرق من المتخصصين لوضع كل الدقائق المتعلقة بهذا الموضوع مستعينة في ذلك بكم هائل من الاحصاءات والبيانات ، ومستهدية في ذلك بالأدلة الارشادية التي وضعت في هذا المجال والتي لا يوجد منها شيء في العربية للأسف . وهذه بطبيعة الحال غير أدلة إنشاء مكتبات بالذات : فالأخيرة تهتم بانشاء كل مكتبة من حيث الموقع والمبنى والديكور الداخلي والأثاث ، والموظفون والميزانية ، والمجموعات ، والتنظيم والخدمات والبرامج . وهذه هي التي قصدتها في الفقرة السابقة . أما أدلة وضع خطط شاملة للتطوير فهذه شيء آخر .

في حدود ما ذكرت وفي حدود الحيز المخصص للبحث وفي حدود الزمان : الوقت المخصص للإعداد ، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الدراسة ، وأرجو أن تكون مقدمة لدراسات مفصلة مقبلة . وإذا نجحت هذه الدراسة في تأسيس الاقتناع بأهمية المكتبات فى التكوين الثقافي والفكري للأطفال بخاصة وللمجتمع بعامة ، وإذا نجحت في تقديم صورة ممثلة لدور المكتبات في تحقيق فلسفة المجتمع وأهدافه ومثله العليا أمام التربويين والمثقفين والمسئولين عن أجهزة الفكر والثقافة في عالمنا العربي ، اذا كانت قد نجحت في هذا تكون قد حققت أهدافها .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

المكتبات والمعلومات :

المكتبات جمع مكتبة ، وهي مشتقة من الفعل كتب بمعنى دوّن أو سجّل . فكلمة كتاب من حيث المعنى يمكن أن تتسع لتشمل كل انواع المدونات أو المسجلات . والحضارة الإنسانية مدينة للتدوين ، فهي حضارة تدوين وعلم في المقام الأول . ولولا التدوين لما وصلت البشرية إلى ما نشهده الآن من حضارة وعلم وتقدم . فالكتابة مكنّت الإنسان من تسجيل خبراته وأفكاره فأمكن أن تحفظ لتستفيد بها الأجيال اللاحقة . وهكذا أمكن أن يستفيد كل جيل مما سبقه ويضيف إليه خبراته وتجاربه وأفكاره هو ، الأمر الذى أدى إلى تراكم حصيلة خبرات الأجيال ومكّن من صنع الحضارة والتقدم .

أما قبل الكتابة فقد كانت المعلومات والأفكار تختزن في الذاكرة الشخصية للإنسان ، وتنتقل مشافهة إلى عدد محدود من الناس ، ثم تكون عرضة للنسيان أو التناقص ، فإذا مات صاحبها ماتت معه . وبعد الكتابة أصبحت المدونات هي وسيلة نقل المعرفة جنبا إلى جنب مع المشافهة . فلما زادت المدونات احتاج الإنسان إلى ذاكرة جماعية CorporateMemory هي المكتبة .

وقد اعتمدت كل الحضارات قديما وحديثا على المعلومات والمكتبات : فالحضارة المصرية القديمة ، وحضارة بلاد مابين النهرين اعتمدتا على الكتاب والمكتبات . أما الحضارة اليونانية سواء في اليونان أو في الاسكندرية فقد كان للكتاب والمكتبات فيها شأن كبير . ويحدثنا التاريخ عن مكتبة الاسكندرية في العصر البطلمي ، وقد كانت مكتبة ضخمة تضم مئات الآلاف من الكتب مدونة على برديات .

وقد كان للكتاب مكانة كبرى في الإسلام قلَّ أن حظى بها في أية حضارة أخرى . فالإسلام دين العلم والتقدم ، حثّ أتباعه على طلب العلم مدى الحياة ، واعتبر طلب العلم جهادا في سبيل الله : « يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة »[1] . وقد لقى العلم والعلماء تشجيعا كبيرا من الخلفاء والأمراء والحكام ، ولذلك تفشّى الكتاب في العالم الإسلامي وكثرت المكتبات ، وخاصة بعد أن دخل الورق إلى العالم الإسلامي .

وقد نشأت حرفة تسمى : الوراقة تشبه صناعة النشر في أيامنا هذه . وكانت مهمة الوراقين نسخ الكتب وبيعها . وتفشّت الكتب وكثرت حوانيت الوراقين في المدن الإسلامية . ونشأت المكتبات وكثرت في العالم الإسلامي وعليها اعتمدت النهضة العلمية في العالم الإسلامي[2] .

وإذا كان للورق دور كبير في زيادة الكتب وغنى المكتبات وازدياد الحركة العلمية عند المسلمين ، فإن اختراع الطباعة والعالم على أعتاب العصر الحديث قد ساعد النهضة العلمية لأنه أحدث ثورة هائلة في صناعة الكتاب . وكلما مضى الزمن تطورت الطباعة حتى وصلنا الآن إلى الجمع الإلكتروني ، الذى يمكن بمقتضاه الانتهاء من جمع الكتاب في ساعات .

وقد احتل الكتاب في البداية المكانة الوحيدة في عالم النشر ، ثم اخذت أشكال أخرى في الظهور ، مثل المجلات والتقارير الفنية ، .. الخ ، وأخذت هذه الأشكال الجديدة مكانها ، بل وأحيانا تفوقت على الكتاب لأنها تضم أحدث المعلومات في الموضوع وتشتمل على الأبحاث الجارية ، فإذا ما استقرت الأفكار والنظريات أمكن أن تظهر في كتاب .

---

(١) هناك أعمال كثيرة تتحدث عن مكانة العلم في الإسلام ، وعن مبادىء التربية الإسلامية . ومن الكتب التي لخصت كثيرا من الأعمال قبلها : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : تأليف طاش كبرى زادة وتحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبوالنور ، ١٩٦٨ . وقد تحدث عن الموضوع الذي نشير إليه في الجزء الأول ، وخاصة الصفحات ١ – ٦٥ .

(٢) للوقوف على تاريخ الكتب والمكتبات في الإسلام ، انظر المصدر الآتي : محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام . والحديث عن المكتبات في الإسلام فصل في كثير من الكتب التي تؤرخ للحضارة الإسلامية ، وللحياة العقلية عند المسلمين وللتربية في الإسلام . وهناك رسالة دكتوراه مسجلة في الموضوع في قسم المكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة نظرا لأهمية الموضوع وارتباطه بالحياة الفكرية عند المسلمين . وليس من أهدافنا هنا أن نطيل في هذه النقطة فلنكتف بالإشارة السابقة .

ثم ظهرت أشكال أخرى مثل الاسطوانة والشريط والفيلم والميكروفيلم والميكروفيش والشريط الممغنط للحاسب الإلكتروني ، والفيديو ، وكلها أشكال تضم معلومات وتوجد في المكتبات .

ورغم أن كلمة كتاب يمكن أن توسع بحيث تشمل كل ما هو مكتوب أو مدّون إلا أن كلمة كتاب ومكتبة قد ارتبطا في الذهن بشكل مادى معين ، وكان من الضرورى أن يستحيب علم المكتبات للتطورات الجديدة من حيث التسمية والأساليب والوسائل الفنية ، فأصبح يعرف بعلم المعلومات أحيانا وعلم المكتبات والمعلومات أحيانا أخرى .

والمعلومات هي كل المعرفة والبيانات والحقائق المدونة في شكل من أشكال التدوين ، وكما قلنا فقد استعمل لفظ المكتبة حينما كان الكتاب هو الشكل السائد .

فلما تعددت الأشكال وأخذت مكانتها في عالم النشر والبحث ، كان من الضرورى أن نتحدث عن المعلومات في كل أشكالها ومصادرها وليس عن الكتاب فقط . ولذلك حل اصطلاح جديد محل المكتبة هو مراكز المعلومات Information Centers .

وأخيرا فقد زاد اعتماد المكتبات ومراكز المعلومات على الوسائل الجديدة والتقنيات الحديثة ، وازداد ارتباط العملية التعليمية بهذه التقنيات المسموعة والمرئية ، ولذلك دخلت إلى عالم المعلومات تسمية جديدة هي مركز مصادر التعلم Learning Resources Center أو مركز المواد التعليمية Media Center . والحقيقة أن الألفاظ كلها مستعملة معا ، ولازال لفظ المكتبة مستعملا بكثرة ، لأنه ليس من اليسير على الإنسان أن يلغى مفهوما محفورا بعمق في تفكير الأجيال .

وعلم المكتبات والمعلومات هو مجموع القضايا والعمليات التي تهدف الى توصيل المعلومات المناسبة للقارىء المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب . وهذا تعريف عام شامل وهو يحتوى على عناصر هامة لا نستطيع أن نطيل بتفصيلها لأن هذا يخرجنا عن الغرض من الدراسة الحالية .

وتلعب المعلومات دورا هاما في المجتمع الحديث في جميع المجالات : العلمية البحثية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها . فالعصر الذى نعيشه يتسم بالاعتماد على العلم والبحث العلمي في حل مشكلاته . وكلما واجهت الإنسان مشكلة من المشكلات أو قضية من القضايا ، أو احتاج إلى اتخاذ قرار من القرارات في أمر من الأمور فلا مفر امامه من الاعتماد على المعلومات في هذا حتى يكون قراره سليما وحله علميا . ويطول بنا الحديث لو أخذنا في ضرب الأمثلة على هذا ، وهي أمور أصبحت واضحة لكل من له صلة بالبحث العلمي أو الإدارة الحديثة ، بحيث أن العصر يمكن أن يسمى بحق عصر المعلومات ، بل إنها أفضل تسمية له لأنها تعكس الدور الهام الذى تلعبه المعلومات في حل مشاكل الإنسان . بل

إن تقدم الدول يمكن أن يقاس بمدى استفادتها من المعلومات ، وليس بأي عامل مادى آخر . فالعوامل المادية يمكن أن تكون زائفة ، مثل استهلاك الطاقة ، أو الكهرباء ، أو الطرق ، أو الخدمة الصحية ، وغيرها . فهذه ليست دليلا على تقدم الدولة ، أما الاستفادة بالمعلومات فهي دليل على أن أفراد الأمة متعلمون قارئون يعتمدون على العلم والمعلومات في حل مشكلاتهم .

الخدمات المكتبية للأطفال :

تعرف دائرة معارف علم المكتبات والمعلومات Encyclopedia of Library and Information Science (ELIS) تعرف الخدمة المكتبية للأطفال بأنها :

« اختيار المجموعات وتقديم المواد المكتبية للأطفال من خلال المجتمع أو مكتبات المؤسسات » ، وتعرف مكتبة المجتمع Community Library بأنها « مكتبة عامة تعتمد في تمويلها على الضرائب وتخدم الأطفال في سن ما قبل المدرسة حتى الصف الثامن أو على الأقل خلال المدرسة الابتدائية ، أما مكتبات المؤسسات فقد تكون في المدرسة الابتدائية : العامة أو الخاصة ، أو في مستشفى ، أو في مركز للخدمة الاجتماعية .. »[١]

وتعرف Effie Louise Power وهي من الرواد في الخدمة المكتبية للأطفال في كتابها Library Service to Children الذى صدر لأول مرة سنة ١٩٢٩ ، تعرف الغرض المباشر لمكتبة الأطفال بأنه : « امداد الأطفال بالكتب الجيدة ، يكمله بيئة مكتبية مشجعة وخدمة مكتبية ذكية ومتعاطفة . ومن خلال هذه الوسائل يمكن أن نلهم الأطفال ونزرع فيهم حب القراءة ، وإدراك الفروق في الأدب ، والقدرة على الحكم والمهارة في استخدام الكتب كأدوات »[٢] .

ونجد أصداء لهذه الأغراض في كتاب Rich in Treasure: Harriet Long حيث تقدم المبادىء التي أصبحت بمثابة عقيدة أو دستور للمكتبيين الذين يعملون في مكتبات الأطفال في الوقت الحاضر :

1- Encyclopedia of Library and Information Science, article on Children's Libraries and Librarianship, vol. 3 P. 559.

2- Ibid.

ومن المعروف أن ميزانية الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية (بلد الدائرة) تعتمد على الضرائب ، والمقصود هو أن يكون تمويل المكتبات العامة من المال العام .

١ - إعداد مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكتب يسهل الحصول عليها واستعمالها .
٢ - إرشاد الأطفال وتوجيههم عند اختيارهم للكتب وغيرها من المواد .
٣ - تشجيع الأطفال وزرع متعة القراءة فيهم كعمل نابع منهم يتابعونه فيما بعد .
٤ - تشجيع التعليم مدى الحياة من خلال الاستفادة من مصادر المكتبة العامة .
٥ - مساعدة الطفل على أن يطور إلى الغاية مقدرته الشخصية وفهمه الاجتماعي .
٦ - وأن يخدم كقوة اجتماعية مع المؤسسات الأخرى المهتمة برعاية الطفل(١) .

وترى الدائرة أن كل مكتبات الأطفال تشترك في فلسفة عامة واحدة : اعتبار الطفل كائنا بشريا فردا له الحق في أن يقرأ وأن يستعمل كل أنواع المواد حسب اهتماماته واحتياجاته .

والخلاصة أن الهدف العام للخدمة المكتبية للأطفال هو أن تحقق للأطفال جميعا متعة الحصول على الكتب في يسر - منذ اليوم الأول الذى يميزون فيه الكلمات والصور إلى أن تصبح خدمة الكبار العادية مناسبة لاحتياجاتهم ، وذلك في ظروف تحقق لهم أعظم فائدة في الحاضر والمستقبل وتتيح لهم حرية الاختيار مع التوجيه عند الحاجة(٢) .

أهمية الخدمة المكتبية للأطفال :

تنبع أهمية الخدمة المكتبية للأطفال من أهمية مرحلة الطفولة ، ومراحل النمو سلسلة متصلة متداخلة غير منفصلة . وعلى الرغم من التداخل فإن لكل فترة من فترات حياة الأطفال مظاهر معينة ومواصفات خاصة . وفي محاولتنا لتأسيس أهمية الخدمة المكتبية للطفل لابدّ أن نعرف السن الذى نقصده ، أى المرحلة الزمنية ، ثم نحدد متى يمكن أن تبدأ الخدمة . وليس هذا بحثا في التربية أو علم نفس الطفل ، ولذلك فسوف نتبنى التقسيم التالي لمراحل النمو المختلفة :

١ - مرحلة ما قبل الميلاد — من بداية حدوث الاخصاب وحتى ميلاد الجنين .
٢ - مرحلة سن المهـد — من ميلاد الجنين وحتى نهاية السنة الثانية .

---

(1) Ibid

وقد وردت هذه الأهداف أو المباديء بالنص في المصدر التالي :
Elizabeth H. Gross, Public Library Service to Children, P.8-9.

وكذلك في : سهير أحمد محفوظ ، الخدمة المكتبية العامة للأطفال ، ط ٢ ، ص ١٨ .

(٢) ليونيل ماك كولفن ، الخدمات المكتبية العامة للأطفال ، ترجمة عبدالمنعم السيد فهمي (القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٦١) ، ص ٨ .

٣ – مرحلة الطفولة المبكرة — من نهاية العام الثاني إلى بداية سن السادسة .
٤ – مرحلة الطفولة المتأخرة — من سن السادسة حتى نهاية العاشرة
٥ – مرحلة المراهقة المبكرة — من سن العاشرة حتى نهاية الرابعة عشرة
٦ – مرحلة المراهقة الوسطى — من سن الرابعة عشرة إلى نهاية الثامنة عشرة
٧ – مرحلة المراهقة المتأخرة — حتى نهاية السنة الحادية والعشرين
٨ – مرحلة الرشد المبكر — من العام الحادى والعشرين إلى سن الأربعين
٩ – مرحلة العمر الأوسط — من سن الأربعين إلى سن الستين
١٠ – مرحلة الشيخوخة — من سن الستين فما فوق[١]

وبديهي أننا لا نهتم هنا بالمراحل المتأخرة من العمر ، وإنما نعني بمراحل النمو التي تسبق مرحلة المراهقة ، وعلى وجه التحديد حتى وسط المرحلة الخامسة من العمر أى في نهاية المرحلة الابتدائية تقريبا .

والسؤال الآن هو : ما السن التي يحتاج فيها الطفل إلى الكتاب ؟ لا يكاد يوجد خلاف على أن الطفل يحتاج إلى الكتاب منذ بداية المرحلة الثالثة وفق التقسيم السابق . وهذا لم يمنع وجود من يقول : إن الطفل يحتاج إلى الكتاب في سن المهد أيضا . فقد كتبت Dorothy Butler كتابا بعنوان : Babies need Books [2] .

وتعتقد المؤلفة أن الكتب يجب أن تلعب دورا هاما في حياة الأطفال منذ مرحلة المهد Babyhood . وقد ألفّت هذا الكتاب في محاولة لإغراء الآباء وغيرهم من الكبار بصحة افتراضها[٣] . وهي تصدر في كتابها هذا عن تجربة شخصية طويلة كأم وجدة ، وتخصص الفصل الأول من الكتاب لهذه الغاية . ثم تخصص بقية فصول الكتاب لعرض كتب معينة تصلح لكل سنة في عمر الطفل ابتداء من السنة الأولى وحتى السادسة . ثم تعطى قوائم مفصلة بالكتب الصالحة لكل مرحلة . ومن الواضح أنها أخذت في حسابها مرحلة المهد . ومن الواضح أيضا ان وجود كتب لهذه المرحلة كما سجلتها يعنى أن المؤلفين والمصورين في مجال أدب الأطفال لم يهملوا هذه المرحلة . واذن يمكن أن نخلص من هذا إلى أن الكتاب يبدأ مع الطفل منذ مرحلة المهد .

---

(١) ورد هذا التقسيم عام ١٩٧٩ ، في دليل أعدته وحدة رياض الأطفال بمركز بحوث المناهج بمناسبة العام الدولي للطفل ص ٣١/٣٣ . وقد سجلناه هنا لبساطته .

(2) Dorothy Butler, Babies Need Books (London: The Bodley Head. (1980).

(3) I bid, P.9.

وقد حددنا السن التي نعنيها فإننا نأتي إلى تأسيس جوانب أهمية الخدمات المكتبية للطفل . والحقيقة أن من نافلة القول أن نتحدث عن أهمية الطفولة فقد قيل عنها الكثير وكتب عنها الكثير ، ورغم أن الكتاب المشار إليه آنفا يركز من حيث الاقناع على طفل مرحلة المهد إلا أنه يستمر حتى سن السادسة . وخلال هذا فإن المؤلفة قد أشارت إلى جوانب هامة بالنسبة للخدمات المكتبية للطفل أو بالأحرى تحدثت عن جوانب من أهمية الكتاب بالنسبة للطفل . ويمكن أن يكون ما ذكرته مدخلا طيبا للحديث عن هذه النقطة .

والواقع أن بتلر تسجل نقاطا هامة بالنسبة لأهمية الكتاب للطفل :

فالوصول إلى الكتب من خلال الأبوين وغيرهما من الكبار يزيد من فرص الطفل في أن يصبح في المستقبل كائنا بشريا سعيدا أو مسئولا ، والكتاب يفضل أى عامل آخر في قدرته على تكوين العلاقة مع الطفل وصيانتها ، والأبوان اللذان يشتركان في الكتب مع الأطفال يشتركان في نفس الوقت في نفس الإطار العام للتفكير والرجوع Reference والأحداث التي تقع في كل يوم من الأيام تذكر واحدا منهما أو الآخر ، أو كليهما وباستمرار بموقف أو شخص أو فعل ورد في كتاب استمتعوا به .

كذلك فإن الكتاب مهم جدا في سدّ الفجوة في الاتصال بين الأبناء والآباء ، وخاصة بعد أن يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة ، هذه المرحلة الأخيرة وإن كانت تخرج عن نطاق دراستنا هذه ، إلا أنها ذات جذور عميقة في مرحلة الطفولة المبكرة ، حيث أن فجوة الاتصال هذه تحدث بسبب عدم ممارسة سياسة الأخذ والعطاء في الرأى والأفكار قبل مرحلة المراهقة . وهذا في نظرها يمكن أن يتم تجنبه من حلال تكوين العلاقات في مرحلة مبكرة وتكوين عادة الأخذ والعطاء وتبادل الرأى .

والكتب يمكن أن تلعب دورا هاما في العملية ، لأن الكتب بطبيعتها عميقة الجذور في اللغة ، ولما كانت اللغة حيوية بالنسبة للاتصال الإنساني ، والاتصال هو دم الحياة بالنسبة للعلاقات ، فإن الكتب ، من هنا ، تلعب دورها(١) .

ويخبرنا العلماء أن نصف الذكاء المباشر للطفل تقريبا . ينمو مع سن الرابعة ، وأن ٣٠٪ اخرى تنمو مع سن الثامنة . ومن الواضح إذن أن ما يحدث خلال هذه الفترة من حياة الطفل مهم جدا . فإذا كان الوالدان غير مهتمين بالطفل في تلك السنوات ، فإنهم سوف يجدون أن طفلهم قد تأخر في المدرسة ، مع ما يستتبعه ذلك من نهر ولوم وتوبيخ دون نتيجة ، فالسن التي كان من الممكن أن يتم تعليم الطفل فيها بقابلية ومرح قد ولتّ ولم يدركها الأبوان أو يستفيدا منها(٢) .

---

(1) I bid., P. 19.

(2) I bid., P. 18.

وتركز المؤلفة هنا على أهمية اللغة ، وتذكر أن العلماء قد توصلوا إلى نتيجة هامة تتصل بغرضنا الحالي ، وهي أن اللغة كآلة للتعلم تعلو على كل الأدوات والآلات الأخرى . والحقيقة أن من الأمور المعروفة أن اللغة هي التي تعطي للإنسان تفوقه على كل المخلوقات الأخرى ، ولو فكر الإنسان قليلا فسوف يصل إلى نتيجة مؤداها أنه إذا كان الفكر يعتمد على اللغة ، فإن نوعية فكر إنسان ما سوف تعتمد على اتقانه للغة . فاللغة هي في الحقيقة في قلب المرحلة . ولاشك أن الكتب أساسية جدا في تعليم اللغة ، ومن ثم فإن حاجة الطفل إليها في هذه المرحلة حاجة ماسة(١) .

ونضيف إلى الجوانب السابقة التى ذكرتها بتلر أن أهمية مرحلة الطفولة تكمن أيضا في أنها السن التي يكتسب فيها الكائن البشرى القيم والعادات ويكون الاتجاهات . فهو في هذه السن تربة صالحة لبذر بذور القيم والعادات الطيبة الصالحة التي تجعل منه في المستقبل مواطنا صالحا . ومن هنا أهمية المرحلة في زرع عادة القراءة في الأطفال .

ويمكن أن تتعاون المكتبة العامة في هذا مع المكتبة المدرسية ، حيث يمكن أن تطور طرق التدريس بحيث لا تقتصر على التلقين فقط ، بل ترتبط بالاستفادة من المكتبة وتعتمد عليها . فإذا ما ألف الطفل الذهاب إلى المكتبة والاستفادة من مقتنياتها فإن القراءة سوف تصبح عادة من عاداته ، وسوف يكتشف حينئذ أن الكتب عالم رائع ، وأن عالم المعرفة رحب فسيح ممتع في آن معا . ومن المرجح أن أمثال هؤلاء الأطفال هم الذين يخرج منهم الكتّاب والأدباء والباحثون والعلماء والمكتشفون والمخترعون . أما إذا حدث العكس وتجاوز الطفل المرحلة دون أن يكتسب عادة القراءة ، فسوف يكون من الصعب اكسابه إياها بعد أن يكبر .

وكلنا يعلم ماينطوى عليه القول : العلم في الصغر كالنقش على الحجر ، وكلنا يعلم أن الإسلام قد حرص أن يؤمر الطفل بالصلاة لسبع ، مع أن الطفل في هذه السن لا يدرك ما تنطوى عليه العبادات من أسرار وما تنطوى عليه من مضمون . ولاشك ان المقصود هنا أن تصبح الصلاة عادة تكبر مع الطفل فإذا ما وصل إلى المرحلة التي يكون قد فهم فيها مضمون العبادة وروحها ، لا يحتاج إلى رياضة النفس وتدريبها على أداء التكاليف ، ولا يكون قد فاته سن غرس العادة .

ويرتبط بعادة القراءة عادة أخرى هي عادة التفكير ، وهنا أيضا يبرز دور المعلم — ومعه المكتبة — في تطوير طرق التدريس بحيث تنمي في الطفل عادة التفكير ، إذ تجعله يفكر

(١) موضوع العلاقة بين الكتب وتعليم اللغة موضوع مطروق بكثرة وبخاصة في الكتب والدراسات التربوية . وقد تناولته من خلال كاتبة متمرسة في الخدمة المكتبية للأطفال وليس من الدراسات التربوية حتى لا نغرق في تفاصيل تخرجنا عن طبيعة الدراسة بل ربما عن طبيعة الندوة ، فالندوة عن تثقيف الطفل لا عن تربيته ، والدراسة عن الخدمة المكتبية . وقد انتهى هنا كلام بتلر .

فيما يعترضه من مشكلات وما يواجهه من قضايا . والبحث في أحد مفاهيمه هو محاولة حل المشكلات ، وهذا يتأتى من خلال القراءة والتفكير والتجريب . والبحوث تبدأ في المكتبة وليس في المعمل ، وتبدأ أثناء القراءة وأثناء ذلك يتوقف الإنسان ليتأمل فيما يقرأ ومع القراءة والتأمل تتكشف أمام الإنسان الموضوعات والمشكلات والقضايا التي لا تزال مجهولة أو غير مبحوثة فيحاول بحثها سعيا وراء حل المشكلات .

والمعرفة الحديثة تحليلية تركيبية إلى حد كبير . فالأفكار الجديدة ليست كلها أصيلة وإنما هي عبارة عن تركيب لعناصر من أفكار موجودة بالفعل ثم إعادة تركيب هذه العناصر مع إضافة عناصر أخرى وحذف عناصر أو تعديلها ، وهكذا ، وفي كل مرة ينشأ مركب جديد أي فكرة أو موضوع جديد . ومعظم الصناعات تقوم على فكرة التركيب أو التخليق Synthesis كما تسمى في العلوم التطبيقية . ومهمة الإنسان أن يجرب تركيب العناصر معا لتكوين مركبات جديدة .

فإذا ما اعتاد الطفل منذ الصغر القراءة والتفكير فسوف يكون عقله مدربا على حل المشكلات والقضايا . والأطفال الذين ينشأون على هذا النحو هم الذين يصبحون في المستقبل ذخرا للوطن يؤدون له وللإنسان خدمات جليلة . ومن هنا اهتمام الدول المتقدمة بالإنسان ، وبمرحلة الطفولة . فالإنسان هو أعظم المخلوقات ، وأهم ما فيه عقله ، لذلك تركز الدول المتقدمة على تنمية العقل بكل الوسائل . ولاشك أن تنمية عادة القراءة وعادة التفكير يسهمان اسهاما كبيرا في تنمية العقل . ومن هنا أهمية الخدمات المكتبية للطفل .

كما وأن طفل اليوم هو قارىء محتمل في المستقبل . فإذا كنا نريد نشر عادة القراءة والبحث على المستوى الوطني فلا مفر من أن نبدأ بالأطفال ، وحينما يكبرون سوف يكونون هم أنفسهم القراء في المكتبات العامة والجامعية والقومية والمتخصصة . فمن العسير أن نعزل الاهتمام بالخدمات المكتبية للطفل عن تنشيط القراءة في مراحل العمر التالية وفي أنواع المكتبات المختلفة أي أننا يجب أن نكسبه كقارىء مدى الحياة لكي يواصل تعليم نفسه وتثقيفها .

بل إن دوروثي برودريك Dorothy Broderick تضعها في شكل آخر فتقول « إن كل الفلسفات هي مزيج من المثالية Idealism والبرجماتية Pragmatism وفلسفة المكتبة العامة تجاه الأطفال لا تختلف عن هذا . فمن الجانب المثالي : هناك المثل الأعلى : المساهمة في نمو الصغار ونضجهم ، وهناك أيضا الاعتبار البرجماتي وهو أن هؤلاء الصغار لن يظلوا صغارا إلى ما لا نهاية ، وأنهم سوف يصبحون دافعي ضرائب يوما ما »[١] .

---

(1) Dorothy M. Broderick, An introduction to Children's work in Public Libraries (New York: F.W. Wilson, 1965), p.13.

ولاشك أن برودريك لا تعني مجرد أنه سوف يصبح من دافعي الضرائب ، وإنما تقصد علاقة المجتمع كله بعد ذلك بالمكتبات والمكتبات العامة بصفة خاصة على اعتبار أنها مكتبات المجتمع فالمكتبة العامة تحاول أن تحصل على دعم المجتمع لها باستمرار لكي تتمكن من أداء خدماتها على الوجه الأكمل فإذا كان المجتمع مدركا لدورها فسوف لا تبذل جهد كبيرا في اقناع أفراده ، ومن ثم فسوف تكون مساهمتهم فورية ، كافية وفعالة . وهذا يتأتى على الوجه الأكمل إذا كان أفراد المجتمع قد تربوا عند الصغر على حب المكتبة العامة وتقدير خدماتها ومن هنا أهمية أن يكونوا قراء منذ مرحلة الطفولة(١)

ومما يجدر ذكره هنا أيضا أن كل مراحل إجراء البحث تعتمد على المكتبة بدءا باختيار مشكلة البحث ، ثم صياغة هذه المشكلة ، ثم فحص الانتاج الفكرى المرتبط بالمشكلة ، ثم إعداد البحث نفسه ، كل هذه المراحل تعتمد اعتمادا كبيرا على المكتبة ومن هنا أهمية أن ينشأ الإنسان مدربا على استعمالها(٢)

ولا يمكننا أن ننتهي من هذا الجزء من أهمية الخدمة المكتبية للأطفال دون الإشارة إلى هذه الأهمية في الوطن العربي ، أى بالنسبة للطفل العربي . ونلاحظ أن الصفحات التي ذكرناها آنفا عن أهمية الخدمة المكتبية للأطفال تنصب على الدول المتقدمة حيث نشأت هذه الخدمات وتطورت . وكل الجوانب التي ذكرناها تصدق على الأطفال في الوطن العربي ، ويضاف إليها جوانب أخرى ، حيث إن الوطن العربي لا يقع ضمن الدول المتقدمة ، وإنما يقع ضمن الدول النامية . والدول النامية ومنها الوطن العربي لا تلعب القراءة فيها دورا كبيرا . وقد بدأت هذه الدول في محاولاتها للتقدم والرقي منذ فترة ليست طويلة باستثناء بعض أجزاء قليلة . وهذا يعني أن جيل الكبار الحالي لم يمر في الأعم الأغلب بتجربة تقديم الخدمات المكتبية له وهو في مرحلة الطفولة ففي ذلك الوقت لم تكن معظم الدول العربية قد دخلت هذا الطور .

وهذا يعني ارتفاع نسبة الأمية في الوطن العربي ، وهذه حقيقة معروفة ولها انعكاساتها السيئة على اوضاع القراءة والمكتبات بل ودورة التأليف والإنتاج الفكرى كلها : بدءا بالمؤلف ثم الناشر فالموزع فالمكتبة فالقارىء ، ثم المؤلف مرة ثانية . فكلما كانت نسبة المتعلمين

---

(١) لمزيد من التفصيل حول علاقة المجتمع بالمكتبة العامة وتقديره ودعمه لها انظر :

Gerald W. Johnson, Role of the public Library, In: Minimum Standards for Puplic Library Systems, 1966. (Chicago; American Library Association, 1967), pp. 5-6.

(٢) لمزيد من التفصيل عن علاقة المكتبة بالبحث في كل خطواته ، انظر : عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور : دور المكتبة في البحث التربوي . محاضرات الدورة التمهيدية الثانية في البحث التربوي جـ٢ ، ص ص ١٥٢ - ١٦٠ .

كبيرة كلما زادت نسبة القراء كلما زاد عدد المؤلفين وزاد عدد المؤلفات ، وهذا بدوره يؤدى إلى غنى المكتبات ووفرة الإنتاج الفكرى . والعكس صحيح . وهذا ما نعاني منه الآن . وهذا يلقي بأعباء أكبر على الخدمات المكتبية للكبار حيث تتابع المكتبة العامة دورها في تعليم الكبار . وهذا الدور في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع العربي . وسوف تستكمل هذه النقطة عند الحديث على دور المكتبة العامة .

نقول : إن الخدمات المكتبية للأطفال مهمة في مجتمعات متقدمة أنشأت هذه الخدمات ووفرتها لكل فرد في الدولة ، مجتمعات هيأت الفرصة للقراءة للمجتمع كله ، مجتمعات تشغل القراءة جزءا رئيسيا في تكوين أفراده وفي تحقيق فلسفة المجتمع وفكره كما سنرى .

أما بالنسبة للوطن العربي فإن الحاجة أمس ، فلا الكبار يقرأون ، ولا الخدمات نشرت ووفرت . وهذا يجعلنا نهتم بأن نبدأ من البداية الأولى وهذه البداية تكون مع الأطفال ، حيث إن من الصعب أن تكون البداية مع الكبار الذين نشأوا على عادات معينة . ليس معنى هذا أن نيأس بالنسبة للكبار ، ولكن معناه أن المجتمع العربي لا يحتاج إلى ترميم ولكن يحتاج إلى إعادة بناء ، والبناء الجديد سوف يبدأ ولا شك مع الأطفال لكي نبني مجتمعًا عربيًا جديدًا قادرًا على تحمل مسئولياته وتبوىء مكانته .

فنحن بحاجة إلى أن ننشيء أولا الخدمة المكتبية للأطفال ونوفرها ، وهذا ينقلنا إلى الحديث عن سبل تطوير خدمات الأطفال وهذه لها مكان لاحق في هذا البحث .

المسئولية عن الخدمة المكتبية للأطفال :

تعرضنا عند تعريف الخدمة المكتبية للأطفال للمؤسسات التي تقدم هذه الخدمة . يذكر ماك كولفن أن هناك ثلاثة أنواع رئيسية من المنظمات التي تقوم بالخدمة المكتبية للأطفال :

(١) المكتبات العامة .
(٢) الهيئات التعليمية .
(٣) المنظمات الأهلية على اختلاف أنواعها ، وبعضها مرتبط بالحركات السياسية والدينية[١] .

ولا يتسع مجال هذه الدراسة للدخول في مناقشات طويلة حول هذه النقطة . وهناك ما يشبه الاتفاق على أن الخدمة المكتبية للأطفال تتم بواسطة المكتبات العامة بصفة أساسية ،

---

(١) ليونيل ماك كولفن ، الخدمات المكتبية العامة للأطفال ، مصدر سابق ، ص ص ٨ – ٩ .

على اعتبار أن المكتبة العامة تخدم كل فئات الشعب ، والأطفال هم إحدى فئات الشعب . وحتى لو كانت المكتبات التي تقدم الخدمة للأطفال مكتبات مستقلة - وليست جزءا من المكتبة العامة - فإنها تعتبر مكتبات عامة .

ولا شك أن المكتبات المدرسية تقدم خدماتها للأطفال ثم لمراحل السن التالية . ولكن الوظيفة الأساسية للمكتبة المدرسية مختلفة عن المكتبة العامة ، فالمكتبة في المدرسة جزء من المؤسسة الأم وهي تشتق وظيفتها من وظيفة المدرسة . ولما كانت الوظيفة الأساسية للمدرسة هي التعليم ، فإن الوظيفة الأساسية للمكتبة المدرسية هي مساندة العملية التعليمية ، بل إنها أصبحت في السنوات الأخيرة جزءا لا يتجزأ من العملية التعليمية . وقد رأينا أن الأطفال يحتاجون إلى الكتاب قبل سن المدرسة ، وهم يحتاجونه ايضا مع المدرسة ومكتبتها . وندوتنا هذه عن ثقافة الطفل وليست عن تعليم الطفل ولذلك فاننا هنا لا يمكن أن نتحدث عن المكتبات المدرسية .

وقد لاحظت من دراسة الإنتاج الفكرى للموضوع أن الكتب التي تتحدث عن مكتبات الأطفال تتناولها كجزء من المكتبة العامة ، وهذا واضح من عناوينها جميعا ، سواء العربية أو المعربة أو الانجليزية . وحتى الكتب التي لا تضم ضمن عناوينها كلمة العامة Public مثل كتاب Children's Libraries يأتي في أوله (في التصدير) : « هذا الكتاب محاولة لتغطية مجال العمل المكتبي للأطفال في المكتبات العامة ... »[1] وليس ثمة من داع لأن نسجل هنا عناوين الكتب منعا للإطالة ، وهي مسجلة في المصادر في نهاية الدراسة ، ويمكن أن يلاحظ القارىء ما ذكرت .

وهناك نقطة تجدر الإشارة إليها في هذا الصدد ، وهي المناقشة الخاصة بادماج المكتبة العامة مع المكتبة المدرسية أو بأن تكون المكتبة المدرسية مقرًا للمكتبة العامة . هذه الفكرة قديمة ولها مؤيدون ومعارضون . وهناك أسباب تدعو في بعض الحالات إلى أن توجد المكتبة العامة داخل المدرسة . وقد تناولت هذه الفكرة إحدى الباحثات في رسالتها للماجستير ، ونحت في دراستها منحى آخر ، فلم تدخل في النقاش الدائر منذ مدة حول هذه الفكرة ، وإنما تقرّر حقائق حول المكتبات الموجودة التي تخدم كلا من التلاميذ في المدارس والكبار في المجتمع . وقد سجلت عددا كبيرا من هذه المكتبات منتشرة في أجزاء كثيرة من الولايات المتحدة بحيث جاء كثرة العدد دهشة للكثيرين من القراء[2] .

---

(1) Anne Fleet, Children's Libraries (London: Andre Deutsch, 1973) p.9.

(2) Wilma Lee Broughton Woolard, Combined School Public Libraries: A survey with Conclusions and Recommendations (Metuchen (N.J.) The Scarecrow Press, 1980).

والكتاب عبارة عن مراجعة لرسالتها للماجستير التي أتمتها سنة ١٩٧٧ .

وليس من أهدافنا هنا أيضا أن ندخل في أمثال هذه المناقشات ، وإنما يعنينا من الإشارة إلى هذا المفهوم عدة أمور :

أولا : أن النقاش الدائر قديم ، وهو لا يتعلق بالمسئولية عن الخدمة المكتبية للأطفال ، وإنما يتعرض لفكرة ان تقوم المكتبة المدرسية بخدمتين في آن واحد ، أو أن تكون مجرد مقر للمكتبة العامة . ولاشك أن هناك أسبابا أدت إلى هذا الوضع ، وهي موضوع النقاش[1] .

ثانيا : أن وجود هذه المناقشة نفسه ، واستمرارها مدة طويلة ، ووجود عدد كبير من المكتبات التي تدمج النوعين دليل على أن هذا المفهوم له وجود حقيقي وأن هناك أوضاعا تتطلب الإدماج .

ثالثا : أن هناك أجزاء من الوطن العربي قد تحتاج لبدء الخدمة المكتبية العامة ومنها الخدمة للأطفال إلى أن تتخذ من مباني المكتبة المدرسية مقرا لها ، وذلك بسبب نقص الإمكانات . وهنا يصبح وجود الخدمة – حتى في المكتبة المدرسية – أفضل من عدمها . ولذلك فإننا لا نهمل هذه الفكرة ولا نستبعدها من الحسبان فقد تحتاجها أماكن كثيرة في الوطن العربي ، وتكون هي الحل الوحيد المتاح .

ونخلص الآن إلى أن الأطفال يحتاجون إلى الخدمة المكتبية ، وأن هذه الخدمة مهمة لهم ، وأن هذه الأهمية تزداد في الوطن العربي ، وأن مسئولية الخدمة تقع بصفة أساسية على المكتبة العامة .

ولذلك فسوف نركزّ في الصفحات التالية على المكتبة العامة .

المكتبـة العامـة :

الإنتاج الفكرى الذى كتب عن المكتبات العامة من كتب وأبحاث لا يكاد يقع تحت حصر . ذلك أن ثمة اهتماما واسعا بالمكتبات العامة في المجتمعات المختلفة ، وجمعيات المكتبات ، والمنظمات الدولية والإقليمية ، وذلك للدور الهام الذى تلعبه هذه المكتبات في حياة الشعب . وقد أنتج هذا كله أدبا كثيرا ومفيدا عن المكتبات العامة .

وفي هذه الدراسة نهتم بالأسس والمبادىء والأفكار أكثر مما نهتم بالتفاصيل ، ولذلك فسوف نركز انتباهنا على أهمية المكتبات العامة من خلال الدور الذى تلعبه في حياة المجتمع

---

(١) انظر على سبيل المثال المصدر السابق ص ص ٥١ – ٥٦ ، وانظر بالعربية : أحمد أنور عمر ، المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨) ص ص ١٣٠ – ١٤٦ .

حيث تقوم بالمساهمة في تثقيف أفراده ومن بينهم الأطفال ، وتسهم في تحقيق وصون فلسفة المجتمع وفكره .

إن المفاهيم المتعلقة بالمكتبات العامة من حيث الفلسفة والأهمية والدور ، ومن حيث الإنشاء والأنظمة ، ومن حيث الخدمات والمسئولية عنها ، ومن حيث معايير تقويمها وقياس أدائها ، الخ .) هذه المفاهيم لم تعد من الأمور التي تقبل المناقشة فقد أصبحت من الأمور المسلمة تقريبا في المجتمعات المختلفة وخاصة المتقدمة منها ، ذلك أن حركة المكتبات العامة قديمة ، وقد أخذت هذه المفاهيم حظها من المناقشة والدراسة حتى استقرت وأصبحت علوما تدرس ومعايير مقننة متفقا عليها ، وأصبحت جزءاً هاما من علم المكتبات والمعلومات .

وقد اهتمت منظمة اليونسكو بالمكتبة العامة وذلك لدورها في تثقيف المجتمع والثقافة هي إحدى رسالات ثلاث لليونسكو . وقد أصدرت اليونسكو بيانا أو إعلانا حول المكتبات العامة في سنة ١٩٤٩ يحدد بوضوح أهداف المكتبات العامة . ويكاد لا يخلو كتاب صدر عن المكتبات العامة بعده من نقله حرفيا أو الإشارة إليه[1] .

وفي عام ١٩٧٢ ، وهو العام الدولي للكتاب ، طلبت اليونسكو إلى شعبة المكتبات العامة في الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات :

International Federation of Library Associations (IFLA)

طلبت إليها أن تقوم بتنقيح ومراجعة بيان ١٩٤٩ ، بحيث تضع في الاعتبار التغييرات والتطورات التي طرأت خلال ٢٥ سنة تقريبا . ونظرا لأهمية تنقيح ١٩٧٢ فإنني أترجمه هنا مع شيء قليل من التصرف ، ولا داعي لإعلان ١٩٤٩ لكثرة ما اقتبس ولأن إعلان ١٩٧٢ أحدث منه .

تؤكد اليونسكو أن تأسيس المكتبات العامة هو واجب الحكومة على المستويين القومي والمحلي .

---

(١) انظر مثلا : أحمد أنور عمر ، المكتبات العامة .. مصدر سابق ، ص ص ٢٩ - ٣٠ ، وكذلك : سهير أحمد محفوظ ، الخدمات المكتبية العامة للأطفال ، مصدر سابق ، ص١٧ . وجدير بالذكر أن أهداف الخدمة المكتبية العامة قد وردت عند الاستاذه سهير على أنها هي نفسها تقريبا أهداف الخدمة المكتبية العامة للأطفال . والعنوان الأصلي للاعلان هو :

UNESCO Manifesto: The Public Library: a living force for popular education (Paris: Unesco, 1949)

وجدير بالذكر أن المصدرين العربيين السابقين لم يشيرا الى تنقيح بيان اليونسكو في ١٩٧٢ رغم انهما قد صدرا بعده بسنوات .

وتأمل اليونسكو أنه حيث لا تجيب المكتبات العامة الحاجات التي لخصها الاعلان ، فإن على التربويين ، والعاملين في المجال الثقافي والاجتماعي ، والقادة الاجتماعيين ، أن يثيروا الاهتمام ، ويدعموا بكل الوسائل إنشاء الخدمة المكتبية العامة التي تكون قوة دينامية ومركزية في المجتمع النامي .

اليونسكو والمكتبات العامة :

لقد تأسست منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة لدعم السلام والرفاهية الروحية وذلك بأن تعمل من خلال عقول الرجال والنساء .

ويصرّح هذا الإعلان بعقيدة اليونسكو في المكتبة العامة كقوة حية بالنسبة للتربية والثقافة والمعلومات ، وكهيئة أساسية لتشجيع السلام والفهم بين الناس وبين الأمم .

المكتبة العامة :

المكتبة العامة هي مظهر عملي لإيمان الديمقراطية في التربية الشاملة باعتباره عملية مستمرة وتتم مدى الحياة ، وفي اقتناعها بتحقيق الانسانية من خلال المعرفة والثقافة .

إن المكتبة العامة هي الوسيلة الرئيسية التي من خلالها يتاح للجميع وبحرية كاملة سجل الافكار البشرية ، والتعبير عن الخيال المبدع .

والمكتبة العامة تهتم بانعاش روح الانسان من خلال توفير الكتب للمتعة ، وتهتم بتقديم المساعدة للطلبة ، والمعلومات الحديثة : التقنية والعلمية والاجتماعية .

إن المكتبة العامة يجب أن تؤسس تحت رعاية القانون ، الذى يصاغ بحيث يكفل توفير الخدمة المكتبية العامة على المستوى القومي (الوطني) ، وان التعاون بين المكتبات هو امر مهم بحيث يتسنى الاستفادة الكاملة من مصادر القراءة على المستوى القومي وأن تكون هذه المصادر في خدمة القارىء .

ويجب أن تدار المكتبة العامة من الأموال العامة ، وألا يكون لأى أحد إشراف مباشر على خدماتها .

ولكي تحقق المكتبة العامة اغراضها ، فانها يجب أن تكون متاحة للجميع ، وأن تكون أبوابها مفتوحة للاستعمال الحر والمتكافىء بواسطة كل افراد المجتمع بغض النظر عن العرق ، واللون ، والجنس ، والدين ، واللغة ، والوضع الاجتماعي أو التعليمي .

المـوارد والخدمـات :

يجب أن تقدم المكتبة العامة للكبار والأطفال الفرصة في أن يكونوا على اتصال بأزمانهم ، وأن يعلموا أنفسهم بشكل مستمر ، وأن يلموا بالتقدم في العلوم والفنون .

ويجب أن تكون محتوياتها مظهرا حيا لتطور المعرفة والثقافة ، وأن :ا.جع باستمرار ، وأن تظل حديثة ، وأن تقدم بشكل جذاب . وبهذه الطريقة يمكن أن تساعد الناس في تكوين آرائهم الخاصة ، وأن ينموا قدراتهم الخلاقة والنقدية وقدراتهم على الحكم والتقدير . والمكتبة العامه تعني بتوصيل المعلومات والأفكار مهما كان شكل التعبير عنها

ولما كانت الكلمة المطبوعة لعدة قرون هي الواسطة المقبولة لتوصيل المعرفة والأفكار والمعلومات ، فإن الكتب والدوريات والصحف سوف تبقى أهم المصادر بالنسبة للمكتبات العامة .

ولكن العلم قد طوّر أشكالا جديدة للتسجيل ، وهذه سوف تصبح جزءًا متزايدًا في رصيد المكتبة العامة ، وهي تشتمل على الأشكال المصغرة للطباعة لأغراض الاختزان والنقل المحكم ، وعلى الأفلام ، والشرائح ، والتسجيلات الصوتية ، وشرائط الفيديو ، والشرائط المسموعة ، للكبار والصغار ، مع التجهيزات الضرورية للاستعمال الفردى وللنشاطات الثقافية .

وإن المجموعة الكلية يجب أن تشتمل على مواد تعالج كل الموضوعات ، لكي ترضي كل الأذواق ذات المستويات المختلفة تعليميا وثقافيا .

ويجب أن تتمثل في مجموعات المكتبة كل اللغات التي يستعملها المجتمع ، كما يجب أن توجد بها الكتب التي يهتم بها العالم بلغاتها الأصلية .

ويجب أن يكون مبنى المكتبة العامة في مكان وسط (مركزى) وأن يكون الوصول إليه سهلا من جانب المعوقين ، وأن يكون مفتوحا في أوقات مناسبة للمستفيد . ويجب أن يكون المبنى والأثاثات جذابة ، بسيطة ومشجعة ، وأن يكون الوصول إلى الكتب من خلال الرفوف المفتوحة أمام المستفيدين .

إن المكتبة العامة هي مركز ثقافي طبيعي للمجتمع ، تجمع معا الناس ذوى الاهتمامات المشتركة ، ومن ثم فإن من الضرورى توفير مكان وتجهيزات للمعارض والمناقشات والمحاضرات ، والموسيقى ، والأفلام ، للكبار والأطفال .

ويجب أن توفر المكتبات الفرعية وسيارات الكتب في المناطق الريفية والمنعزلة .

وإن هيئة العاملين الأكفاء والمدربين بأعداد كافية ضروريون لاختيار المصادر وتنظيمها ومساعدة المستفيدين . وسوف يتطلب الأمر تدريبا خاصا لكثير من النشاطات مثل العمل مع الأطفال والمعوقين ، والمواد السمعية البصرية ، وتنظيم النشاطات الثقافية .

استخدام المكتبات العامة بواسطة الأطفال والطلبة :

إن من السهل تعليم كيفية تذوّق الكتب وعادة استخدام المكتبات ومصادرها في مرحلة مبكرة من الحياة . ولذلك فإن على المكتبة العامة واجبًا خاصًا في توفير الفرصة للأطفال لكي يتخيروا من الكتب وغيرها من المواد للقراءة الفردية . ويجب أن تخصص لهم مجموعات خاصة ، وإن أمكن ، أماكن خاصة . وحينئذ يمكن أن تصبح مكتبة الأطفال مكانا حيًا ومشجعًا ، يمكن أن تكون فيه النشاطات من مختلف الأنواع مصدرًا للإلهام الثقافي .

ويجب أن يكون الطلبة من مختلف الأعمار قادرين على الاعتماد على المكتبة العامة لكي يكملوا ما تقدم لهم المعاهد الأكاديمية من تسهيلات . وهؤلاء الذين يتابعون دراسات فردية قد يكون كل اعتمادهم على المكتبة العامة لإشباع حاجاتهم للكتب والمعلومات .

القارىء المعوق :

هناك اهتمام متزايد برفاهية كل المعوقين . وإن التوحد والعزلة والإعاقة البدنية والعقلية من كل الأنواع يمكن أن تُخَفَّف بطرق متعددة من خلال المكتبة العامة . وإن توفير الوسائل والمعينات للقراءة الآلية ، وتحسين طرق الوصول إلى المواد ، وتوفير الكتب بحروف كبيرة ، والمسجلة على أشرطة ، والخدمة في المستشفيات والمؤسسات ، والخدمات الشخصية للمنزل ، تمثل بعض الطرق التي يمكن من خلالها أن تمدّ المكتبة خدماتها لهؤلاء الذين يحتاجونها أكثر من غيرهم .

المكتبة العامة في المجتمع :

يجب أن نكون المكتبة العامة نشطة وإيجابية في مظهرها ، وأن تبرز قيمة ما تقدمة من خدمات وتشجع على الاستفادة من هذه الخدمات .

ويجب أن تربط نفسها بالمؤسسات الأخرى التربوية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك المدارس وجماعات تعليم الكبار ، وجماعات نشاطات وقت الفراغ ، ومع المهتمين بدعم الفنون .

ويجب أن تراقب ما يظهر من حاجات واهتمامات حديدة في المجتمع ، مثل تأسيس جماعات لها متطلبات خاصة للقراءة وجماعات فراغ جديدة لكي تكون ممثلة في مجموعات المكتبة ونشاطاتها(١) .

المكتبة العامة وفكر المجتمع وأهدافه :

ترتبط المكتبة العامة ارتباطًا وثيقًا بفلسفة المجتمع الذى توجد به وتعمل على خدمته ، فهي مكتبة المجتمع ، تفتح أبوابها لجميع أفراده وفئاته . ولابدّ أن يكون لكل مجتمع فكر معين يحول هذا الفكر إلى استراتيجيات وأهداف ، ثم يحول هذه الأهداف إلى وظائف يعهد بها إلى المؤسسات المختلفة التي أنشأها لتحقيق هذه الوظائف . ولكي تحقق الأمة أهدافها ومثلها العليا فإن كل المؤسسات في الدولة تتعاون في تحقيق هذه الأهداف .

ومن أهم المؤسسات التي تقوم بدور بالغ الخطورة في تحقيق أهداف المجتمع المؤسسات التعليمية والمؤسسات الإعلامية . ولذلك فإن أهداف التربية في أى مجتمع تشتق من أهدافه ومثله العليا . أما بالنسبة للمكتبات فهي توجد كجزء من المؤسسات الأم . فالمكتبة المدرسية جزء من المدرسة ، وتستمد وظائفها وأهميتها من أهمية المدرسة ، فهي تساند العملية التعليمية وتعد جزءا لا يتجزأ منها ، والمكتبة الجامعية جزء من الجامعة وعليها أن تسهم في تحقيق وظائف الجامعة . ومن ثم فإن المكتبات تلعب دورا هاما في تحقيق أهداف التربية في المجتمع .

أما المكتبات المتخصصة فهي متعددة ومنتشرة في مجالات كثيرة : اقتصادية وسياسية وعسكرية وبحثية وطبية وهندسية ، الخ ، بل تكاد تكون المكتبات المتخصصة موجودة في جميع مجالات النشاط الإنساني ، وهي تخدم المجتمع وتسهم في تحقيق فلسفته وأهدافه من خلال المؤسسات التي توجد بها . فمثلا لايمكن أن ينهض البحث العلمي في مجتمع ما دون مساندة المكتبات المتخصصة التي تبذل وقتها وجهدها وامكاناتها في سبيل توفير المعلومات المناسبة للباحث وتوفر وقته حتي تخدم قضية البحث العلمي وتحقق أهدافه . وهكذا في كل المجالات المتخصصة .

والمكتبة القومية (الوطنية) هي مكتبة الدولة ، وتحقيق رسالتها يتطلب أن تجمع التراث الفكرى الوطني للأمة ، وتحافظ عليه للأجيال القادمة ، وتيسر خدمته . ولما كانت المكتبة القومية قمة الخدمات المكتبية في الدولة فهي تكون في موقع يسمح لها بأن تقود الحركة المكتبية وخاصة في الدول النامية . وهي تعمل على اصدار البيليوجرافيات ، التي تحصر

---

(1) H.C. Campbell, Developing public Library Systems and Services: A guide to the organization of national and regional public library systems as a part of overall national information service planning (Paris: Unesco, 1983) pp. 169 - 172.

وتجمع وتسجل وتنظم الانتاج الفكرى حتي يعرف الباحث ما الذى صدر قبل أن يبدأ بحثه . كذلك تحاول المكتبة القومية أن تجمع أكبر قدر ممكن من التراث الفكرى العالمي فهي الملجأ الأخير للباحث الذى يعدّ بحثا في قضية من القضايا أو موضوع من الموضوعات .

وتبقى المكتبة العامة ، وهي كما قلنا مكتبة المجتمع كله ، أو مكتبة الشعب ، وهي بهذا مهمة في تحقيق الفلسفة العامة للأمة . وقد نشأت حركة المكتبات العامة مرتبطة بحركة الديمقراطية . فالديمقراطية السياسية تعني حكم الشعب للشعب ، ولكي يكون الشعب قادرا على حكم نفسه ، فلابدّ أن يكون متعلما ، ومن هنا أصبح التعليم حقا للشعب بعد أن كان مطلبا ، وأصبح مرتبطا بحق الانتخاب وغيره من الحقوق الأساسية . وكان من الضرورى أيضا أن ينشأ ما يسمى بديمقراطية المعرفة ، ولا توجد هذه بصورة كاملة إلا في المكتبة العامة حيث تفتح أبوابها للناس جميعا بدون أى قيد أو تمييز أو تفرقة . ثم هي المكتبة التي يمارس فيها الفرد تعليم نفسه وتثقيفها مدى الحياة .

ولذلك ارتبطت أهداف المكتبة العامة بالمثل العليا التي يسعى المجتمع لتحقيقها . وبعد أن تنشأ المكتبات العامة لابدّ لها بين حين وآخر أن تتوقف لتسأل نفسها : هل حققت الأهداف المرجوة منها ؟ عليها أن تقدم تقريرًا عن عملها إلى المجتمع . ولهذا صاغت المكتبات العامة معايير قياسية :|Standards تحكم اداءها وتمثل الحد الأدنى لما يجب أن تؤديه . هذه المعايير القياسية للمكتبات العامة جوهرية بالنسبة لفاعليتها وبدونها لايمكن لها أن تقدم افضل خدماتها للقراء ، ولا أن تعرف ماذا حققت ، وما هي نواحي القوة والضعف في عملها . ولهذا اهتمت الدول المتقدمة بصياغة مثل هذه المعايير تقيس عليها أداء المكتبات العامة .

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية أسبق الدول في حركة المكتبات العامة ، فقد كانت هي أيضا أسبق الدول صياغة للمعايير القياسية . وكانت أول صياغة لهذه المعايير أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد ١٩٤٣ ، حيث برزت الولايات المتحدة خلال هذه الحرب كقوة عظمى تريد ان تلعب دورا في العالم ، فاهتموا بوضع المعايير التي يجب أن تسود أداء المكتبات العامة فيما بعد الحرب العالمية الثانية(١) .

تلا ذلك اهتمام بالوظائف التعليمية للمكتبات العامة ، ولنوعية الأداء المكتبي ، وتنظيم الخدمة المكتبية . وقد أعدّت دراسات متعددة تمثل مراحل هامة في تطور المكتبات العامة .

---

(1) American Library Association, Committee on post-war planning, Standards for Public Libraries (Chicago: ALA, 1943).

فقد أعدّت دراسة هامة تضمنت وضع خطة قومية للمكتبات العامة(١) كذلك تمت مراجعة معايير ١٩٤٣(٢) .

ولم يقتصر الأمر على الاهتمام بمعايير المكتبات العامة ، بل طورت جمعية المكتبات الأمريكية بشعبها المختلفة معايير لكل أنواع المكتبات ، كما طورت معايير إضافية للخدمات المقدمة للكبار ، والأطفال (١٩٦٤)(٣) ، ولسيارات الكتب ذات النوعية الكافية .

كذلك اهتمت الحكومة الاتحادية بالمكتبات ، بدءا بإصدار قانون المكتبات في سنة ١٩٥٦ ، وغيره من القوانين التي كان لها تأثير كبير على تطور المكتبات العامة .

وفي ضوء هذه التطورات التي تمت خلال الستينات قررت جمعية المكتبات العامة Public Library Association (PLA) أن تراجع معاييرها في ضوء ما استجد من تغييرات وتطورات منذ الصياغة الأولى لها ١٩٤٣ ، وخلال ربع قرن . وقد صدرت هذه المعايير المنقحة في سنة ١٩٦٦ ونشرت ١٩٦٧(٤) والفصل الأول منها هو عن دور المكتبات العامة ، وهو عبار عن دور المكتبات العامة كما كتبه « جيرالد و. جونسون « Jerald W. Johnson لنسخة ١٩٥٦ مع اضافة بسيطة .

وأودّ أن أوضح هنا أنني لم أقصد بهذه الاشارات المفصلة تمجيد المكتبات الأمريكية ، بقدر ما أردت أن أؤكد دور المكتبات العامة في صيانة وتحقيق فلسفة المجتمع ، كما أردت أن أشير إلى الدور الذي تقوم به جمعيات المكتبات في وضع وتنفيذ المستويات التي يجب أن تحققها الأنواع المختلفة من المكتبات ، هذا من خلال الدول التي سبقتنا في هذا المجال ، والتي تقدمت بفضل الدور الذي تلعبه المكتبات والمعلومات في حياتها .

يتحدث جونسون عن دور المكتبة العامة ووظائفها إجمالا ، وهذا لا يعنينا الآن ، فقد سبق لنا أن تناولناه من خلال إعلان اليونسكو ١٩٧٢ . والفقرات التي تهمنا هي عن ارتباط دور المكتبة العامة بفكر المجتمع الأمريكي . يقول جونسون Jerald W. Johnson :

---

(1) American Library Association, National plan for public library Service (Chicago: ALA, 1948).

(2) American Library Association, Public Libraries Division, Co-ordinating Committe on Revision of Public Library Standards, Public Library Service: A guide to evaluation, with minimum Standards (Chicago: ALA, 1956)

(٣) لم أستطع العثور عليه رغم أهميته في هذه الدراسة وان كانت الكتب التي تتناول مكتبات الأطفال تعتمد على هذه المعايير كثيرا .

(4) American Library Association, Minimum Standards for Public Library Systems, 1966 (Chicago: ALA, 1967).

« إن اهمية هذه الوظيفة في هذا القطر (يعني أمريكا) في هذا الوقت (١٩٥٦) قد تعززت من خلال مجرى التاريخ في السنوات الأخيرة . ففي خلال فترة تقل عن الحياة المعتادة للفرد ، قفزت الولايات المتحدة من المركز السابع أو الثامن إلى مركز القوة العظمى الأولى وكزعيمة لكل الأمم التي تقدر الحرية السياسية . ولهذا السبب يتوقف الكثير – أكثر من مجرد أن هذا قدرها – على التصرف بحكمة ومهارة في علاقاتها الدولية . ولكنها ديمقراطية وهذا يعني أن القرار النهائي في المسائل ذات الأهمية الكبرى يقع في أيدى الشعب . وأن تجربة شعب الولايات المتحدة لم تكن قد أعدتهم للدور الذى وجدوا انفسهم فيه »[١] .

ثم يضيـف :

« ويؤكد الفيلسوف برتراند رسل أن الإنسان مساو لما يفهمه ، ومن هذا يمكن للمرء أن يستنتج أنه إذا فهم الأمريكي العالم الحديث فإنه سوف يكون مساويا له . قد تكون هذه نظرة متفائلة ، ولكن العكس لا يمكن الشك في صحته : إذا لم يفهم العالم فإن فرصته في أن يكون مساويا للموقف ستكون ضئيلة . وعلى أية حال ، فإن ثمة حاجة عاجلة في الغاية إلى أن يوسع شعبنا أفقه العقلي بكل السرعة الممكنة[١] لأن ساعة الأزمة فوق رؤوسنا . لا يكفي أن ندرب الجيل الصاعد لمواجهة مسئولياتهم الجديدة ، لأن قرارات صعبة سوف تتخذ قبل أن يصل هذا الجيل إلى مرحلة النضج . وإن نوعية الرجال والنساء الأمريكيين الذين هم الآن في سن التصويت هي التي سوف تحكي القصة .

« ومن الواضح أن العبء المنوط بنا سوف يعتصر كل مصادر العقل التي تستطيع الأمة أن تحشدها . والتوتر أعظم بالنسبة للمؤسسات الإعلامية – المدارس ، والصحافة ، والراديو والتلفزيون ، والوعاظ ، والمسرح والسينما – ولكن الضغط على المكتبة العامة أكبر من غيرها ، لأنها ، لأول وهلة ، أسهل من الوسائل السابقة من حيث الحصول عليها وأكثر هذه المؤسسات استقلالا . فهي ليست مثل الكنيسة مرتبطة بوجهة نظر معينة ، وهي ليست مثل الصحافة والراديو ، مهتمة في الدرجة الأولى بأحداث اللحظة ، أو مثل المسرح والسينما مقيدة بالحدود المادية للوسيلة . وتأثيرها ليس مثل تأثير المدارس ، مقصورا على هؤلاء الذين سوف يصبحون فيما بعد – ولكنهم لم يصبحوا بعد – المتسلمين للقوة والذين ربما جاءوا يوما ما إلى مواقع المسئولية متأخرين عن الوقت المناسب للتأثير على مقادير العالم خلال المستقبل المنظور » .

« ونرجو ألا يعتبر هذا اقتراحا بأن المكتبة عليها أن تحاول أن تقعد نفسها كمعلم للأمة ، فليست حاجتنا هي إلى التعليم الموجه والمنضبط ... ، حاجتنا هي إلى فهم أوضح

---

(1) I bid., P.3.

وأدق لطبيعة وعظم المشكلات التي يجب أن يحكم عليها رجالنا ونساؤنا الذين هم في سن الانتخاب . نحن لا يمكن أن نصبح أمة من الفلاسفة ، ولكننا يمكن أن نصبح أمة تعي الفلسفة وتحترم نتائجها وموجوداتها . والحقيقة أننا نواجه ضرورة أن نصبح هكذا أو نواجه الفشل في واجبنا العظيم في قيادة العالم .

« هذا يعني ضرورة جعل الوصول إلى الحقيقة سهلا وسريعا لكل من يبحث عنها . وبالنسبة للغالبية الساحقة فإن أسرع طرق الوصول وأسهلها إلى أفضل ما أنتجه فكر العالم هو من خلال المكتبة العامة . وإن المحافظة على هذا المصدر للمعلومات مفتوحا للجميع دون أن يشوه بأى سعي نحو مصلحة خاصة هو واجب يعلو على أى حسابات ، ليس لأنفسنا فحسب ، بل للعالم أجمع »[1] .

الفقرات السابقة من كلام جونسون وردت ضمن مقدمته لمعايير ١٩٥٦ ، ونقلت بنصها في مقدمة معايير ١٩٦٦ . وقد أضاف جونسون في نهاية هذه المقدمة الهامة فقرة واحدة فقط في ١٩٦٦ ، هي :

« لقد مر عقد من الزمان منذ أن كتب هذا ، وخلال تلك الفترة حدث تغيير جوهري في جانبين : أولا : أن الولايات المتحدة الآن (١٩٦٦) أقل قوة بالنسبة إلى بقية العالم ، أقل مما كانت عليه في ١٩٥٦ ، وثانيا : أن المشكلات التي تواجهها وهي تحاول أن تقوم بمسئولياتها أكثر تعقيدا مما كان عليه الحال في سنة ١٩٥٦ . ويتبع هذا أن موقفي قد تغير إلى نفس الدرجة\- فما اعتقدته عن المكتبة العامة في سنة ١٩٥٦ ، اعتقده الآن بشكل أقوى من أى وقت مضى في سنة ١٩٦٦ »[2] .

إن الفقرات السابقة توضح بجلاء الدور الخطير للمكتبة العامة في تحقيق أهداف المجتمع وقد أوردت هذه الفقرات المطولة لكي أبيّن بما لايدع مجالا للشك كيف أن المجتمع يضع فلسفته وأهدافه ثم يعهد بها إلى المؤسسات المختلفة ، وكيف أن فلسفة وأهداف المكتبة العامة هي جزء من فلسفة وأهداف المجتمع ، لأنها هي مكتبة المجتمع .

دور المكتبة العامة في المجتمع العربي :

لعلنا لاحظنا من كلام جونسون في ١٩٥٦ أنه حينما كانت أمريكا أقوى دولة في العالم كان دور المكتبة العامة في حياة المجتمع الأمريكي دورا عظيما . فلما تراجعت عن مكان الصداره شيئا ما في ١٩٦٦ ، صادر هذا الدور أعظم ، فإن كانت المكتبة العامة توجد في دولة نامية ، فإن هذا الدور يصبح أعظم وأعظم .

(1) I bid., p.4.

(2) I bid., pp 6-7.

وبالنسبة للمجتمع العربي ، فقد أتى عليه حين من الدهر كان فيه سيد العالم من جميع النواحي : السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والحضارية . وقد لعب الكتاب ولعبت المكتبات دورا بارزا في الحركة العلمية الحضارية عند المسلمين ، دورا ليس له نظير في أية حضارة . وكان المسلمون يعتبرون العلم جهادا لا يقل عن الجهاد في ميادين القتال : « يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة » ومن نافلة القول أن نتحدث عن أهمية العلم في الإسلام ، فالإسلام دين العلم والتقدم . وقد حفل التراث الإسلامي بالإشارات التي تدل على مكانة العلم والعلماء فيه .

ولذلك بذل المسلمون الجهد راضين سعداء ، فكان أحدهم يقول : كنت أنسخ الكتب بالليل حتى ينقطع سوائي – أى وسطى – وبفضل هذا الجهد خلفوا لنا تراثا فكريا حافلا كان بلاشك حلقة وسطى بين حضارة العصر القديم وبين الحضارة الغربية الحديثة . فما لاشك فيه أن الحضارة الأوربية الحديثة قد استفادت وتعلمت من الحضارة الإسلامية ، وإن كان المتعصبون من الباحثين الغربيين يحاولون في تأريخهم للعلم أن يطمسوا معالم هذه الحقيقة . ولكن بعض المنصفين منهم يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية(١) .

وإن تأثير الحضارة الإسلامية في بزوغ الحضارة الأوربية الحديثة شيء مؤكد وهو أمر طبيعي في سنة التطور . فالحضارة الإنسانية سلسلة متصلة الحلقات ، وكل حلقة منها تمهد للتي تليها وتسلم إليها بشكل طبيعي تلقائي . ويطول بنا المقام لو تحدثنا عن جوانب تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية ، فهذه قضية كبرى وعمل ضخم يحتاج إلى فرق من الباحثين العرب المخلصين يدرسون تأثيرات الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية في دراسة تقوم على مقارنة النصوص والأفكار وتتبع هذه التأثيرات في كتابات الغربيين . وهي تحتاج إلى إتقان اللغة الاتينية فضلا عن اللغات الأوربية الحديثة . وهي مهمة جسيمة ، ولعل معهد تاريخ العلوم العربية الذى تأسس في فرانكفورت في ألمانيا الغربية ، بجهود من العالم المسلم في تاريخ العلوم الإسلامية فؤاد سوزكين ، وبمساهمة من الدول العربية وفي مقدمتها الكويت – لعل هذا المعهد أن يتصدى لهذه المهمة الصعبة ، السامية النبيلة في نفس الوقت .

إن مؤرخي العلم من الغربيين – حينما يتصدون لعصور تاريخ العلم – يتجاهلون ليس فقط العصر الإسلامي ، بل يتجاهلون ما قبل العصر الإغريقي من حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين ، وكأنهم يريدون أن يسلبوا المنطقة العربية كل فضل في تاريخ الإنسانية سواء كان في العصر الإسلامي أو قبله وكأنهم يريدون إقناعنا بأن هذه المنطقة وعلى مدى التاريخ

---

(١) انظر على سبيل المثال : ريجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب : أثر الحضارة العربية في أوربا ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي (بيروت : المكتب التجاري ، ١٩٦٣) . وهو من الكتب القليلة التي تتناول فضل الحضارة العربية على الحضارة الأوربية .

لم تكن قادرة على التفكير والبناء ، وهذا هدف خبيث يريد إقناع المسلمين بأنهم غير قادرين على أن يلعبوا أى دور وأن ما يفخرون به من ماض عريق مزدهر لا يساوى شيئا في تاريخ الفكر والحضارة ، ومن ثم إشاعة اليأس في الوجدان العربي والرضى بدور التابع الذى يقتات على موائدهم . وهذه مسألة جد خطيرة لها أبعد الأثر على فكر المجتمع العربي ودوره في الحياة ، ومن ثم تأثيرها على كل الأجهزة العلمية والتعليمية والتثقيفية لهذا المجتمع . وهذا بدوره سوف يترك أثره على المكتبة العامة – ومنها خدمات الأطفال – وعلى تثقيف الطفل العربي والإنسان العربي .

وأرجوا أن تكون الدراسة التي تناولت الاغتراب الثقافي للطفل العربي – ضمن موضوعات هذه الندوة – قد غطت هذا بنجاح .

يجب علينا أولا ، وقبل أن نشرع في أى تطوير ، أن نحدد الدور الذي يجب أن يلعبه المجتمع العربي في العالم . وليس المتخصصون في المكتبات هم الذين يحددون فكر المجتمع وفلسفته ، فهذه مهمة رجال الفكر في المجتمع . ولكنى كمواطن عربي مسلم أرجو أن يحدد هذا الدور في ضوء الآيات الكريمة :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾

فإذا كان رجال الفكر في المجتمع الأمريكي يرون أن فلسفة المجتمع الأمريكي وأهدافه ومثله العليا تنبع من الدور القيادي لأكبر قوة في العالم بمعايير القوة في عالمنا اليوم ، فإننا خير أمة أخرجت للناس ليس بالمعايير الواقعية للقوة ولكن بأمر المولى جلت قدرته ، فهل ننهض بهذا الدور الذى وضعه لنا خالق الكون والحياة ، ومقدر الأقدار ؟

إن تحديد الدور يجب أن يسبق أى شيء حتى لا نخبط خبط عشواء ونضل الطريق كما نفعل اليوم ، وتضيع معالم شخصيتنا ، ونصبح في أحسن الأحوال تابعين لهذه المدرسة أو تلك من مدارس الفكر ، أو لاندرى شيئا على الإطلاق[١] .

يجب إذن أن نحدد ما يجب أن تكون عليه عناصر الفكر العربي وعناصر الثقافة العربية . وهذا سوف يحدد لنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه لبعث الفكر الإسلامي الحق ،

---

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة انظر : عبدالوهاب عبدالسلام أبوالنور ، مقترحات لجمع وخدمة التراث العربي ، مجلة الثقافة العربية (القاهرة) ، العدد الرابع ، ١٩٧٦ ، ص ص ١٩٦ – ٢٢٦ ، وقضية التراث . والأخير ضمن أبحاث هذا الكتاب .

وإعادة المسلمين إلى عناصر قوتهم ليعودوا إلى ما كانوا عليه من قوة وتقدم وازدهار ليقودوا العالم كما قادوه بالأمس ، تصديقا لكلام المولى جلت قدرته .

فإذا نظرنا إلى ما يجب أن نكون عليه ، ونظرنا إلى ما نحن عليه اليوم فسوف نجد أن البون شاسع والشقة بعيدة والفجوة هائلة . أمة أراد لها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس تقود العالم ، هي على ما هي عليه الآن من تخلّف وتبعية وتشتت وانقسام .

ومعنى هذا أن العبء على المؤسسات العلمية والتعليمية والتثقيفية عبء هائل لا يمكن أن يقارن بمثيله في دولة متقدمة . فالمجتمع الأمريكي الذى تحدث عنه جونسون مجتمع وصل إلى المرتبة الأولى وهو يريد أن يحافظ عليها ، ويريد من المكتبة العامة أن تلعب دورها في تثقيف المجتمع الأمريكي ليحافظ على مكان الصدارة .

أما نحن فأزمتنا الحقيقية تتمثل في ضرورة تعويض التخلف أى أننا يجب أن نتقدم بمعدلات تفوق المعدلات التي تتقدم بها الدول المتقدمة ، حتى نستطيع أن نحاذيها بعد فترة من الزمان . وهذه مهمة ليست يسيرة إذا وضعناها في إطار الظروف التي يعيشها عالمنا العربي اليوم . فهذه المنطقة مستهدفة من قبل الدول الغربية والشرقية على السواء تمزيقها وسلب خيراتها وإبقائها متخلفة تابعة ، ولذلك تحاك ضدها المؤامرات لشغلها عن أمور التقدم والتنمية بالخلافات والمنازعات ، فلا توجد منطقة أخرى في العالم تحظى بنصيب هذه المنطقة من الحروب والمنازعات والخلافات والصراعات . إن الدور المرسوم لهذه المنطقة من قبل القوى الكبرى ليس له إلا معنى واحد : أنها تعرف أهمية هذه المنطقة وأنها إذا سارت في الطريق الصحيح فسوف تصبح قوة كبرى لا قبل لهم بها ، ولذلك يحاولون أن يضغطوها في الدور الذى يريدون .

نحن إذن بحاجة إلى تحديد ملامح الفكر الإسلامي الحق ، وتحديد عناصر الشخصية الثقافية العربية ، وتمييز الأصيل من الدخيل والحقيقي من الزائف . وهذا يحتاج إلى دراسة ينابيع الفكر الإسلامي الحق ، ثم عرض مصادر الثقافة المعاصرة عليه لنميز ما يتسق وفكرنا أو ما يتعارض معه ويسعى لتدميره .

هذه الأمور جميعا لها أثرها في ثقافة الطفل العربي وتكوينه الفكرى ، فهذا سوف يترتب عليه أمور هامة عند وضع معايير تأليف الكتب للأطفال ، وبناء المجموعات في مكتبات الأطفال .

واقع المكتبات العامة ومكتبات الأطفال في الوطن العربي

الوطن العربي بكل أجزائه يدخل في عداد الدول المتخلفة ، التي يسمونها تخفيفا الدول النامية وهي في حقيقتها متخلفة . فالعالم ينقسم إلى دول متقدمة ودول متخلفة وللأولى خصائصها ومواصفاتها وللثانية خصائصها ومواصفاتها . وكلمة تقدم أو تخلف لا تصدق على مجال دون آخر ، وإنما تصدق على المجالات كافة ، وليست المكتبات استثناء من هذا . فلا يمكن أن تكون الجامعات مثلا ، أو يكون البحث العلمي ، أو تكون المكتبات متقدمة وتكون بقية مجالات النشاط الإنساني للمجتمع متخلفة ، وذلك لأن المجتمع بناء واحد . ولو أجريت دراسات تقويمية لكل مظاهر الحياة ، فسوف تظهر الدراسة وتؤكد ما نحسه جميعا من جوانب القصور في الحياة كافة . قد يكون هناك تفاوت بين أجزاء الوطن العربي ، وقد تكون هناك بعض المرافق أو الخدمات التي حققت معدلا أفضل من غيرها ، ولكن لاشك أن كل مرافق حياتنا لازال أمامها شوط بعيد لتلحق بالمعايير القياسية للتقدم . ولا يمكن أن تكون المكتبات استثناء من هذا ، فلا يمكن أن تكون المكتبات نتواءا بارزا وحده يحقق التقدم بينما بقية المرافق ووجوه النشاط في حال آخر . بل بالعكس ، ربما كانت درجة تخلف المكتبات أكثر من غيرها من المرافق كالمدارس والصحة ، وغيرها من المرافق التي قد يحسّ المجتمع أنها ألزم لحياته . فلم تصبح المكتبات بعد جزءا أساسيا في تكويننا ، بمعنى أن القراءة ليست بعد من مستلزمات حياتنا .

ولو قارنا بين عدد من يدخلون إلى منطقة أى جمعية تعاونية ثم ينسابون في المرافق المختلفة التي توجد في المنطقة وحصرنا عدد من يدخلون إلى المكتبات العامة ، فسوف نجدهم أقل ممن دخلوا إلى أى مرفق آخر . ثم هناك قضية أخرى وهي : هل كل من يدخل إلى المكتبة يستعير ، وهل كل من يستعير يقرأ ، وهل كل من يقرأ يستفيد ؟ وما نوعية ما يقرأ ، هل هي قراءات خفيفة ، هل هي قراءات جادة مفيدة ، الخ . أسئلة كثيرة لا تجد حتى الآن إجابة وذلك لعدم وجود دراسات عن القراءة ، ولصعوبة إجراء هذه الدراسات في ظل الظروف الحالية للمكتبات عندنا .

وقد ذكرت من قبل أن المجال يفتقر إلى الدراسات المسحية التقويمية وأن من المتعذّر إجراء مثل هذه الدراسات لأغراض دراستنا الحالية ، وأن إجراءها يحتاج إلى فرق من الباحثين وإلى كثير من العمل[1] .

---

(١) الدراسات التقويمية تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل . وقد احتاجت دراسة التقويم الذاتي لأداء معاهد التعليم الفني والمهني بدولة الكويت إلى أكثر من سنتين واشترك فيها عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس

ومما لاشك فيه أن أية دراسة لا تخرج من فراغ ، وإنما يجب أن تعتمد على مصادر وبيانات وإحصاءات ودراسات . وفي حالة عدم استطاعة الباحث الحصول على هذه المصادر المتنوعة تكون مهمته عسيرة . وحتى الدراسات القليلة جدا والتي تمت عن جزئيات محدودة لم تتناول مكتبات الأطفال إلا في كلمات قصيرة وجاءت عرضية وسريعة .

والدراسة الوحيدة الهامة عن مكتبات الأطفال بالقاهرة ، والتي تدرس بالتفصيل فروع دار الكتب والمكتبة المركزية للأطفال بالروضة ، هذه الدراسة لم استطع الحصول عليها رغم طلبها في كل مظانها .

ورغم كل القيود والحدود السابقة فإن من الأمور المتعارفة بين أفراد طائفة المكتبيين العرب سواء في المؤتمرات التى عقدت لدراسة أوضاع المكتبات ، أو غير ذلك من مجتمعاتهم وندواتهم – من الأمور المعروفة أن المكتبات في الوطن العربي تعاني من القصور في كافة جوانبها ، وتشترك المكتبات العامة ومعها خدمات الأطفال في هذا[1] .

وسوف أحاول هنا أن ألخص جوانب القصور في المكتبات العامة ومكتبات الأطفال والتي تعاني منها – بدرجة تزيد أو تنقص – مكتباتنا في الوطن العربي ، مشيرا إلى بعض التفاصيل إذا توفرت مثل هذه التفاصيل كنماذج :

١ – أن الخدمة المكتبية العامة – بما فيها خدمات الأطفال – لا تغطى كل أجزاء الوطن العربي ، بمعنى أنه لا يتوفر الحد الأدنى من هذه الخدمة على الأقل لكل فرد في المجتمع العربي . فلا زالت هناك مناطق شاسعة لم تصل إليها الخدمة . والمناطق التي وصلت إليها الخدمة لا تحقق الخدمة فيها الحد الأدنى للمواطن العربي .

وكان ناتج عملها آلاف الصفحات . وهي عدد من المعاهد في دولة واحدة فقط هي الكويت أما دراسة ظاهرة على مستوى الوطن العربي فهذا شيء آخر .

(١) تناولت الدراسة المشار إليها لتقويم الأداء في معاهد التعليم الفني والمهني ضمن عناصرها : المكتبات في كل المعاهد . وقد كانت نتيجة الدراسة أن المكتبات تعاني من أوجه الضعف والقصور في كل جوانبها بدءا بنقص الأهداف ، إلى عدم كفاية المباني والميزانيات والأثاث ، إلى النقص الشديد في الموظفين المؤهلين المدربين ، إلى عدم كفاية المجموعات ، وضعف التنظيم ، وقصور الخدمات وهذه الدراسة نموذج لما يمكن أن تسفر عنه أية دراسة تقويمية . كذلك فإن الدراسات التي أعدها بعض الخبراء عن المكتبات في الكويت ، تؤكد هذا . أنظر مثلا :

– ج .س. باركر . المكتبات في الكويت : واقعها وأسلوب تطويرها . تقرير مقدم إلى وزارة التربية . الكويت ، ١٩٧٤ .

– أحمد بدر وهاشمية العدساني . مشروع تخطيط خدمات المكتبات والتوثيق بدولة الكويت . تقرير مقدم إلى مجلس التخطيط . الكويت ، ١٩٧٥ .

٢ – يرتبط بالنقطة السابقة أيضا عدم وجود خطة شاملة لنشر ومد الخدمة المكتبية على المستويين الوطني والقومي . أى أنه لا توجد حتى الخطة التي يكفل تحقيقها تنفيذ ماجاء في (١) .

٣ – أن المكتبات العامة وخدمات الأطفال قد نشأت ونمت دون تخطيط مسبق أو تشريع لأغراض مدّ ونشر الخدمة ، وأنها نشأت بطريقة عفوية ارتجالية في معظم الأحيان . وقد ترك هذا أثره على كل جوانب العمل والخدمة .

٤ – أن المكتبات العامة في أجزاء الوطن العربي ليست جزءا من نظام أو شبكة قومية للمعلومات ، بمعنى أنه لا يوجد أى نوع من أنواع التعاون بينها وبين الأنواع الأخرى من المكتبات بحيث تكون مصادر المعلومات في الوطن متاحة بالنسبة لكل أفراده .

٥ – فيما عدا أجزاء قليلة من الوطن العربي ، فإن مواقع المكتبات العامة لم يتم اختيارها نتيجة لدراسة مسبقة تحقق المعايير القياسية لهذه المواقع ، وإنما جاءت عشوائية .

٦ – مباني المكتبات العامة في أغلب أجزاء الوطن العربي لم تصمم في الأصل لكي تكون مقار للمكتبات وإنما يتم إسكان المكتبات في أى مبنى ، وهذه المباني لا تحقق في الأعمّ الأغلب المواصفات المناسبة للخدمة المكتبية .

وعلى سبيل المثال فإن مباني المكتبات العامة في القاهرة دون استثناء قد استؤجرت ، وكانت في الأصل شققا سكنية . يقول أحد الباحثين عن الموقع والمبنى ، وقد جاء كلامه عرضا لأن دراسته هي أصلا عن الإعداد المهني :

« وفي الوقت الذى توجد فيه أكثر من مكتبة عامة (تتبع أكثر من هيئة) في حى واحد بالقاهرة (حدائق القبة) لا توجد مكتبات عامة بالمرة في أحياء ذات كثافة سكانية كبيرة ، كحي عابدين والسيدة زينب وغيرهما .

« لقد كان إنشاء المكتبات العامة واختيار مواقعها في معظم الحالات يتم بطريقة ارتجالية ، فكل المكتبات العامة الفرعية التابعة لدار الكتب – دون استثناء – عبارة عن مساكن تمّ استئجارها من ملاكها ، ولم يتم بناؤها أصلا لتكون مكتبة عامة ، كما أنه لم يتم اختيار موقعها أصلا كذلك بناء على دراسة سابقة .

« إن الارتجال والعشوائية هما الطابع العام للخدمة المكتبية العامة ابتداء من اختيار الموقع والمبنى ، وانتهاء باختيار العاملين الذين يديرون المكتبة ويشرفون على تنظيمها »(١) .

---

(١) محمد مجاهد يوسف ، الإعداد المهني لأمناء المكتبات العامة في الجمهورية العربية المتحدة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم المكتبات والوثائق ، كلية الآداب جامعة القاهرة . ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م ، جـ٢ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

ويقول نفس الباحث عن مكتبات الأطفال ، أو خدمات الأطفال في المكتبات العامة في مصر :

« هذا وعلى الرغم من الاهتمام العالمي بأهمية مكتبات الأطفال ، وضرورة العناية بالنشء وثقافتهم ، إلا أن أقسام الأطفال أو أركان الأطفال في مكتباتنا العامة لا تلقي الاهتمام الكافي ...

« إن العديد من مكتباتنا العامة ، خاصة متوسطة وصغيرة الحجم ، لا تعترف بهذا النوع من المكتبات أو الخدمة المكتبية ، وإن كان هناك اعتراف فيتجلى ذلك في مجرد ركن في مكان مهجور بالمكتبة أو في غرفة ملحقة ، في معظم الأحيان تكون مغلقة بحجة عدم وجود مشرف أو أمين مختص أو متفرغ . يؤكد ذلك عدد العاملين بمكتبات الأطفال إذا قورن بعدد العاملين في مكتبات الكبار ويتجلى ذلك بشكل أكبر في مكتبات قصور الثقافة . إن أخطر ما في موضوع أقسام أو أركان الأطفال في مكتباتنا العامة هو إسناد مهام الإشراف في معظم الأحيان إلى موظفين غير مؤهلين بالمرة خاصة عند غياب المكتبي أو مساعده المتخصص »[1] .

وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد عند الحديث على القوى العاملة .

٧ – وإذا كان المبنى والموقع لم يصمما أصلا للخدمة المكتبية فمن الطبيعي أن تكون كافة التسهيلات المادية بنفس الدرجة من حيث الإضاءة والأثاث والتجهيزات مع أن هذه كلها عوامل تشجع على القراءة .

٨ – ونأتي إلى الحديث عن أهم عنصر في الخدمة المكتبية وهم الهيئة العاملة . ويمكن أن نلخص ما يتعلق بها فيما يأتي :

– عدم توفر العدد الكافي من الموظفين المؤهلين تأهيلا علميا للعمل في المكتبات . وهذه ظاهرة عامة في كل أجزاء الوطن العربي ، حيث أن علم المكتبات قد دخل حديثا نسبيا إلى المنطقة ككل ، وحديثا جدا بالنسبة لبعض أجزاء الوطن العربي ، وأحيانا لايوجد معاهد لتخريج المؤهلين على الإطلاق .

– لا توجد سياسة ثابتة واضحة لإعداد العاملين في المكتبات وتدريبهم .

– لا يوجد توصيف واضح للوظائف يحدد الوظيفة والمهام التي تناط بها ، بمعنى أن يكون هناك فصل بين الأعمال الفنية التي يقوم بها المتخصصون والأعمال غير الفنية التي يقوم بها المساعدون أو الكتابيون . فكثيرا ما يقوم الكتابيون بالأعمال الفنية ، والعكس . وفي هذا تدّن لمستوى الخدمة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

- لا توجد سياسة ثابتة للارتقاء بالمستوى المهني للعاملين من خلال الدورات التدريبية الدورية لإعدادهم إعدادا جيدا أو إطلاعهم على أحدث التطورات ، أو تأهيل من لم يؤهلوا منهم أصلا .
- ظروف التعيين والترقية والخدمة تخلو من الحوافز التي تشجع الناس على الالتحاق بهذه المهنة ، فهذه الظروف تجعل أمين المكتبة أقل من المدرس ، ومعنى هذا أن نظرة المجتمع إليه وإلى عمله على أنه أقل من التعليم .

ونعود إلى رسالة الأخ الباحث لنعطي بعض النماذج الصادقة :

- مساعدة أمين مكتبة الأطفال بقصر ثقافة الريحاني تحمل الشهادة الإعدادية (المتوسطة) .
- أمينة بمكتبة أطفال مكتبة بيت الثقافة بمدينة ميت غمر تحمل دبلوم التجارة المتوسطة (الثانوية) .
- أمينة مكتبة أطفال مكتبة قصر الثقافة بمدينة دمياط تحمل دبلوم التجارة الثانوية أيضا .
- مساعدة أمينة مكتبة أطفال قصر ثقافة الشاطبي (بالإسكندرية) تحمل نفس الشهادة .
- مشرفة نادى الأطفال بمكتبة بيت ثقافة طوخ (قليوبية) تحمل دبلوم الصناعات المتوسطة (الثانوية) .
- أمين مساعد مكتبة أطفال قصر الثقافة بالحرية بالإسكندرية يحمل أيضا المؤهل السابق .
- أمين مكتبة الطفل بمكتبة بيت ثقافة ميت غمر يحمل دبلوم إعداد الفنيين التجاريين .
- في قصر ثقافة الريحاني بحدائق القبة بالقاهرة تعمل بالمكتبة وتتعامل مع الأطفال مطربة لا تحمل أية مؤهلات .
- أمين مكتبة الصغار في قصر الثقافة بالمحلة الكبرى لا يعرف إلا القراءة والكتابة ، ويطلقون عليه لقب « خبير »[1] .

ويتحدث نفس الباحث عن تدريب العاملين في المكتبات العامة ويصل في حديثه إلى دورة تعقد لثقافة الطفل ، فيقول :

---

(١) محمد مجاهد يوسف ، نفس المصدر ، الصفحات : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، على التوالي .

« أما دورة ثقافة الطفل فتشرف عليها وتنظمها إدارة التدريب التابعة لوزارة الثقافة ، وهي موجهة لجميع العاملين في حقل خدمة الأطفال ، بما في ذلك حقل الخدمة المكتبية العامة للأطفال ، وقد أفاد من هذه الدورة خمسة أمناء وأمينات من ٤٤١ موظفا يعملون بالمكتبات العامة في ج . م . ع . اثنان منهم من العاملين في مكتبات دار الكتب الفرعية ، وثلاثة من مكتبات قصور الثقافة ، وهذا دليل مادى على عدم الاهتمام بمكتبات الطفل والعاملين بها إذا قورن بمكتبات الكبار . ويؤكد عدم الاهتمام بتلك المكتبات كذلك أن عدد العاملين بها في قصور الثقافة على سبيل المثال - ٣٦ أمينا وأمينة مكتبة في مقابل ١٢٠ أمينا وأمينة مكتبة يعملون في مكتبات الكبار . وفي المكتبات العامة الأخرى (التابعة لدار الكتب والحكم المحلي) نادرا ما نجد من يعني من تلك المكتبات بتخصيص ركن أو قسم للأطفال فضلا عن تخصيص أمين أو أمينة . ومن المؤسف حقا أن هناك من انتظم بدورة ثقافة الطفل سالفة الذكر ولا يعمل في الوقت الحاضر - رغم قلة عددهم - في مكتبات الأطفال ، وإن كان يعمل في مواقع أخرى داخل المكتبات لا تمت بصلة للأطفال من قريب أو بعيد »[٢] .

ومعنى هذه أن الأحوال في المكتبات العامة - على سوئها - أفضل من حالة ركن الأطفال أو قسم الأطفال من حيث المبنى - كما سبق وأن ذكرنا - ومن حيث مؤهلات العاملين وتدريبهم ، فأى سوء بعد هذا ؟ وكيف يمكن تحقيق أى أهداف أو وظائف أو الارتقاء بخدمة بأمثال هؤلاء الموظفين ؟

٩ - ميزانيات المكتبات لا تكفي للحصول على المصادر الضرورية لتقديم الخدمات الأساسية ووجوه النشاط المختلفة .

١٠ - مجموعة المكتبات تنمو أو لا تنمو بطريقة غير مخططة وغير مدروسةافهي لا تعتمد على مسح الإنتاج الفكرى واختيار أفضله لإجابة حاجات القراء . ويؤكد هذا أنه لا توجد ببليوجرافيات للإنتاج الفكرى العربي تحصره وتنظمه ويعتمد عليها في عمليات الاختيار والتزويد ، كما أنه لا توجد قوائم قياسية يمكن الاعتماد عليها كحد أدنى في عمليات تزويد المكتبات العامة - ومعها خدمات الأطفال - ونظرا لنقص العاملين الفنيين المدربين فلا توجد بصفة عامة سياسة مكتوبة للتزويد .

كما أنه لا يتم في الأعم الأغلب مراجعة المجموعات بصفة دورية لمعرفة نواحي القوة والضعف ، واستبعاد المجموعات التي لا تستعمل .

وهناك نقص كامل في المعايير العددية للمجموعات ، بمعنى توفير عدد معين من المجموعات لعدد معين من السكان .

---

(٢) المصدر السابق ، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

فمثلا تتحدث المعايير الخاصة بالمكتبات العامة في أمريكا عن ضرورة أن يكون هناك على الأقل بالنسبة لجهاز المكتبات الذى يخدم من ١٠٠,٠٠٠ - ١٥٠,٠٠٠ من السكان ما يأتي :

١٠٠,٠٠٠ عنوانا من الكتب للكبار في المكتبة المركزية (بخلاف الفروع) يضاف ٥٪ مما يصدر في أمريكا من العناوين كل سنة ومجموعة شاملة من القصص .

أما نصيب كل فرد من المجلدات في الجهاز فيجب أن يكون من ٢ - ٤ مجلدات لكل فرد أو على الأقل ٢ مجلدا في الأجهزة التي تخدم مليونا من السكان .

وتمضي المعايير بعد ذلك في تحديد الأعداد المعيارية بالنسبة للنشرات ، والدوريات ، وخدمات التكشيف ، والوثائق الحكومية ، والمواد السمعية البصرية ، والأفلام ، والتسجيلات ، وغير ذلك من الأشكال والوسائل (آلات التعليم في الدوائر التلفزيونية المغلقة ، التليفزيون التعليمي ، الشفافيات ، الشرائح ، الشرائح الفلمية)[1] .

١١ - بالنسبة لتنظيم المجموعات فلازالت المكتبات العربية بصفة عامة غير مستقرة بالنسبة لقواعد الفهرسة ونظام التصنيف وقائمة رؤوس الموضوعات ولازال الجدل دائرا حولها . مع أن هذه أساسيات العمل في المكتبات ، ولا تشير إليها المصادر التي تتحدث عن تقويم المكتبات في الدول المتقدمة على اعتبار أنها مفروغ منها وبديهية ، فكل المكتبات هناك مستقرة من هذه الجهة ومنظمة لأن هذه أساسيات لا غنى لها ، وهي العمود الفقرى لعلم المكتبات وفن المكتبات .

وقد بذلت جهود عربية مخلصة في هذا المجال لكنها لم تصل إلى غايتها[١] ويطول بنا القول لو تحدثنا عن هذه النقطة ، ولكن خلاصة القول أن الكثير من المكتبات تحتاج إلى جهود كبيرة لتنظيمها أو إعادة تنظيمها . وإن أمامنا شوطا طويلا حتى نصل إلى الاستقرار على الركائز الأساسية .

---

(1) American Library Association, Minimum Standards for Public Library Systems, 1966, pp. 42-45.

(١) عقدت عدة مؤتمرات لبحث هذه القضايا ، وأهمها المؤتمرات التي عقدت في نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وخاصة المؤتمران الأول والثاني للاعداد البيليوجرافي للكتاب العربي : الأول في الرياض (١٩٧٣) والثاني في بغداد (١٩٧٧) . وقد كا لكاتب هذه الدراسة عدة أبحاث قدمت إلى المؤتمرين ونشرا ضمن أعمالهما ، وقد جمعها وقدم لها في المصدر الثاني : عبدالوهاب عبدالسلام/أبو النور : الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين : الرياض ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٣ م ، بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م الرياض : دار العلوم ، ١٩٧٨ ، ٦٥٤ ص .

١٢ – القصور في الخدمات التي تقدمها المكتبة لقرائها ، من حيث الشمول ومن حيث اقتصارها على الخدمات التقليدية ، مثل الإعارة وعدم التنوع في الخدمات والمواد والاستفادة من التقنيات الحديثة (أنظر مدى التنوع في مجموعات المكتبات في فقرة ١٠ سابقا) .

١٣ – لا توجد معايير تقوم على أساسها المكتبات العامة وخدمات الأطفال على غرار المعايير القياسية التي أشرنا إليها خلال صفحات هذه الدراسة . وقد تحدثنا منذ قليل عن المعايير الضرورية للمجموعات والحقيقة أنه لا يوجد أى نوع من المعايير لا العددية الكمية ولا النوعية الموضوعية لأى جانب من الجوانب ، ويمكن الاستفادة في هذا من الدول التي سبقتنا في هذا المجال .

سبل تطوير مكتبات الأطفال :

من الواضح أن المكتبات في الوطن العربي تعاني من القصور في كل جوانبها ، والمكتبات العامة أوضح في هذا من غيرها . فربما كانت المكتبات الجامعية تضم نماذج متقدمة بعض الشيء ولكن المكتبة العامة مهملة في معظم أجزاء الوطن العربي . فإذا أتينا إلى خدمات الأطفال فسوف نجد أن حظها من الأهتمام أقل من غيرها . ولما كنا قد حددنا أن المسئولية عن الخدمة المكتبية للأطفال تقع على عاتق المكتبة العامة ، وقلنا أنه حتى لو وجدت مكتبات مستقلة للأطفال فهي تعتبر مكتبات عامة ، فإننا قد تناولنا دور المكتبة العامة على اعتبار أنها المكتبة الأم ، وعلى اعتبار أن ما تعاني منه ينسحب على الخدمات التي تقدم للأطفال ، وأن سبل تطويرها سوف تطبق على خدمات الأطفال كجزء من تطوير المكتبة العامة .

ورغم أننا قد استعملنا كلمة « تطوير » إلا أن هذه الكلمة قد لا تعبر عن واقع الحال في الوطن العربي ، فالكلمة تدل على أن هناك خدمات تحتاج إلى تطوير . والحقيقة أن ما نحتاج إليه في الوطن العربي في كثير من الحالات هو « إنشاء » الخدمات . وإلا فما ظنك بعاصمة مثل القاهرة يسكنها ما يقارب العشرة ملايين ، وتحتاج على الأقل إلى مائة مكتبة عامة وكل ما بها لا يتجاوز ١٥ مكتبة فرعية أكثرها في حالة يرثى لها . إن العلاج الشافي والحاسم لقضية المكتبات العامة وخدمات الأطفال هو وضع خطة شاملة لإنشاء ومد الخدمات المكتبية في الوطن العربي ، بحيث يتم توفير حد أدنى من الخدمة لكل فرد في أجزاء هذا الوطن .

والذى نقصده هو أن الخدمات المكتبية للأطفال لايمكن عزلها عن الخدمات المكتبية التي تقدم للكبار ، فلا يمكن أن ننادى بإنشاء وتطوير خدمات للأطفال وحدهم بينما الكبار أنفسهم لا تقدم لهم هذه الخدمة بكفاية . لا يعني هذا أن ننتظر وننتظر ، ولكن يعني أننا لا نتصور إنشاء هذه الخدمات للأطفال إلا في إطار خطة شاملة للنهوض بالمكتبات العامة في أجزاء الوطن العربي ، على أن نؤكد ضرورة أن يكون بكل مكتبة عامة بجميع درجات الخدمة أركان للأطفال .

إن هذه المسئولية تقع في وطننا العربي على الحكومة ، حيث لايمكن الاعتماد في مثل هذه المشروعات الضخمة والهامة والخطيرة على أية جهود فردية ، ولا على أية حكومة أو سلطة محلية . إن إنشاء وتطوير المكتبات العامة وخدمات الأطفال لايمكن أن ينتظر طويلا ، ويجب أن تعطى له الأولوية ضمن الخطط الشاملة التي تضعها الدول للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فهو مشروع قومي يحتاج إلى الإسراع في تنفيذه إذا كنا نريد لمجتمعاتنا ولأفرادنا تثقيفا وتهذيبا وتنويرا .

وقد ذكرت في المقدمة أن دراسة كهذه لا يمكن أن تتسع لوضع خطة شاملة مفصلة لإنشاء وتطوير هذه الخدمات ، فمثل هذه الخطة تحتاج إلى إمكانات وقوى بشرية وإحصاءات وبيانات ووقت ، كما تحتاج إلى أن تعتمد على دراسات ومسوح سابقة ، وهذا كله غير متوفر الآن .

ولذلك فإن الاقتراح الأول والأهم هو الحاجة إلى مزيد من الدراسة لهذا الموضوع الحيوى . وأقترح في هذا الصدد أن تخصص إحدى الندوات له في إطار ما يعقده المجلس الوطني من ندوات . إن الكتاب يمر بدورة تبدأ وتنتهي بالمكتبة ، فالمؤلف يبدأ بالمكتبة قبل أن يصبح البحث أو الكتاب فكرة ، هذه الفكرة تنشأ في المكتبة ، ثم يحتاج في كل مرحلة من مراحل البحث إلى المكتبة ، فإذا ما أتمّ تأليف كتابه ، دخل في حلقات أخرى من الدورة هي الطبع والنشر والتوزيع ، فإذا ما أصبح الكتاب جاهزا للقراءة فإنه يصبح من المواد المطلوبة للاقتناء في المكتبات ومن ثم يشترى وينظم وييسر للباحثين ويقدم إليهم . وهكذا يبدأ الكتاب وينتهي بالمكتبة . ولذلك فلابد أن تأخذ المكتبات مكانتها في مجال الاهتمام بالكتاب . هذا فضلا عن أن وجود قاعدة قرائية تتمثل في المكتبات العامة والمدرسية ، والعامة بالذات ، هو من أهم عوامل تنشيط صناعة وتجارة الكتاب ومن ثم التوزيع ، ومن ثم التأليف حيث تمثل المكتبات العامة بقاعدتها الشعبية العريضة أهم منافذ التوزيع والاقتناء . ولعل الحالة التي عليها مكتباتنا العامة الآن هي أحد الأسباب الرئيسية لضآلة التوزيع ومن ثم عدم تشجيع المؤلفين والناشرين على إنتاج الكتب .

لكل هذا فإننا يجب أن نهتم بالمكتبات من حيث الدراسة فتخصص ندوات لدراسة كل جوانب المكتبات . وقد كانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نشيطة في هذا المجال حينما بدأت عقب إنشائها في عقد سلسلة من المؤتمرات ، وكانت هذه المؤتمرات مناسبات علمية رائعة لبحث الأمور المتعلقة بالكتاب والمكتبات في الوطن العربي ، ومناسبة نادرة لالتقاء العلماء من كافة الأقطار العربية في جو علمي ممتاز يحثّ على المنافسة ويهدف إلى الوصول إلى رفعة المكتبات ودعم البحث العلمي . والأهم من هذا أن المنظمة كانت تأخذ على عاتقها تنفيذ التوصيات التي يتوصل إليها المؤتمرون ، فأشاعت بهذا جدية وثقة بأن ما يقال لن يضيع هباء شأنه شأن توصيات المؤتمرات . ونأمل أن تعود هذه الجهود إلى سابق عهدها ،

ولعل قضايا الخدمة المكتبية العامة ومعها خدمات الأطفال جديرة بأن يعقد لها أحد المؤتمرات .

فلتكن هذه الورقات مجرد دعوة لمزيد من الدراسة ، تلفت انتباه التربويين والمثقفين والمتخصصين في المكتبات إلى أهمية هذا الموضوع ، وتضع أمامهم بعض الأفكار والعناصر الرئيسية ، حيث لا يمكن أن تدخل في التفاصيل .

التفاصيل تحتاج إلى دراسات تفصيلية وقد سبق أن أشرت في المقدمة إلى أن التفاصيل موجودة في الأدلة والموجزات . أما الخطة الشاملة فلها شأن آخر .

سوف أحاول - إذن - فيما تبقى من صفحات قليلة - أن ألخص بعض العناصر الرئيسية لعملية إنشاء وتطوير المكتبات العامة ومعها مكتبات الأطفال .

وربما كانت الكتب التي تصدرها اليونسكو مفيدة فيما نحن بصدده ، فهي أولا تصدر للدول النامية ، وثانيا : تستفيد من تجارب الدول جميعا المتقدمة والنامية ، وتعطي نماذج من هذه التجارب وفيما يتعلق بالموضوع الذى نحن بصدده فإن اليونسكو تصدر سلسلتين تتعلقان بالمكتبات :

(1) Unesco Manuals for Libraries

(2) Doumentation, Libraries and Archives, Studies and Research.

وقد صدر في السلسلة الأولى كتاب هام عن مكتبات الأطفال ، أعده ليونيل ماك كولفن وهو : Public Library Service to Children

وقد ترجم إلى العربية ونشر سنة ١٩٦١ . وقد سبقت الإشارة إليه . كما تتضمن هذه السلسلة مجموعة من الدراسات التي تتناول جوانب مختلفة من المكتبات العامة وتطويرها في قارات العالم الثالث : أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ودراسات أخرى خاصة بتطوير جوانب معينة من المكتبات العامة ، ودراسات في علم المكتبات عامة .

أما السلسلة الثانية فقد صدر منها دراسات متعددة تتعلق بالتشريع لأغراض المكتبات العامة ، ودراسات تتناول المعايير أو المواصفات القياسية للمكتبات في العالم ، ويهمنا الآن كتابان :

1- Library Service to Schools and Children, by Colin Ray.

2- Developing Public Library Systems and Services, by H.C. Campbell

ولم أعثر على الكتاب الأول رغم أهميته في موضوع الدراسة . والثاني حديث جدا ألفه كامبل سنة ١٩٨٣ . وقد أشرت إليه من قبل .

وهناك في نفس الموضوع دراسات بالعربية ، منها :

١ - المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ للدكتور أحمد أنور عمر ، وترجع مادته إلى الخمسينات أو قبل ذلك ، رغم أنه طبع لأول مرة في سنة ١٩٦١ ، وطبع بعد ذلك عدة طبعات . وتاريخ النسخة التي أشرنا إليها هنا سنة ١٩٧٨ . ورغم ذلك فمادته هي هي .

٢ - الخدمة المكتبية العامة للأطفال ، لسهير أحمد محفوظ . وقد طبع مرتين أولاهما في سنة ١٩٧٧ ، والثانية في سنة ١٩٨٢ . وهو جزء من رسالتها للماجستير ، ولكنه يتناول الموضوعات التي توجد في الأدلة أو الموجزات Manuals الأجنبية . ويمكن أن يفيد في تحديد مواصفات مكتبات الأطفال من حيث الموقع والمبنى والتجهيزات ، والمجموعات والتنظيم والخدمات والبرامج شأنه في ذلك شأن أى كتاب أجنبي في موضوعه . وقد يعرج أحيانا وفي مناسبات ليست كثيرة على ما يخص الطفل العربي .

أما الكتب الأجنبية في هذا الموضوع فهي كثيرة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة كتب تعد موجزات إرشادية مفيدة في إنشاء مكتبات الأطفال وهي مفيدة من حيث المواصفات المتعلقة بجميع الجوانب المشار إليها في الفقرة السابقة :

1- Children's Libraries, by Anne Fleet 1967.

2- An Introduction to Children's work in Public Libraries, by Dorothy M. Broderick, 1965.

3- Public Liborary Service to Children, By Elizabeth H.Gross, 1967.

أما كتاب : Public Library Service to Children: Foundation and Development, By Harriet Long.

فرغم أن عنوانه يوحي بالكثير ، إلا أنه يهتم في الأعم الأغلب بالتطور التاريخي لهذه الخدمة في الولايات المتحدة منذ عصر الاحتلال البريطاني . وعلى القارىء أن يستشف أسس التطور من قراءته للكتاب .

وقد اعتمدت هذه الصفحات على الكتب السابقة ، مع إضافة ما يرتبط بنا عند اللزوم .

هناك وضعان بالنسبة لبدء الخدمة المكتبة العامة للأطفال :

الأول : تحديد المكتبات العامة الموجودة والتي لا تقدم هذه الخدمة وإضافة هذه الخدمة إليها ، وهذه لا تحتاج لكل الدراسات التخطيطية المطلوبة .

الثاني : عندما تقرر الحكومة وضع برنامج شامل لإنشاء وتطوير الخدمات المكتبية العامة على أن تكون خدمات الأطفال ضمنها .

وقد ذكرنا من قبل أن هناك أجزاء كاملة من الوطن العربي لا تصل إليها الخدمات المكتبية العامة . وبالتالي فإن الأفضل – وحتى تأتي هذه العناصر مناسبة لكل أجزاء الوطن العربي – أن تحدد عناصر الخطة الشاملة :

أولا : دراسة البيئة المحلية . لا يمكن أن تبدأ مشروعات مد الخدمات المكتبية العامة على نطاق وطني (قومي) دون دراسة البيئة وتحليل عناصرها وذلك حتى تنبنى مشروعات التوسع المكتبي على معرفة تامة بظروف البيئة المحلية ، وتختار أنسب الأنماط لهذه البيئة . وهناك عناصر لابدّ من تحليلها بالتفصيل والدقة : الظروف التعليمية ، الإحصاءات التعليمية ، الظروف الاجتماعية ، السكان ، التراث الثقافي والتقاليد ، الموارد المالية ، وغير ذلك من الأمور اللازمة كنقطة بداية لمشروعات التوسع .

وبالنسبة لدراسة البيئة لأغراض بدء خدمات الأطفال ، فقد أعطى ماك كولفن شيئا من التفاصيل المتعلقة بمسح الأوضاع السابقة وغيرها . فهو يرى أنه لوضع أسس سليمة للخدمات يجب أن نعرف التفاصيل الآتية :

: فيما يختص بالأطفال أنفسهم :

١ – كم عددهم .

٢ – عدد كل مجموعة من مجموعات الأعمار المختلفة .

٣ – أين يقيمون .

٤ – أين تقع المدرسة التي يذهبون إليها .

٥ – حالتهم التعليمية وفرص التعليم ، كم عدد الذين يذهبون إلى المدرسة ، ومن أى مجموعات الأعمار هم ، وكم عدد المتعلمين وبأى لغة يتعلمون ، والمستويات العامة للتعليم والقدرة على القراءة .

٦ – مجموعات أجناسهم .

٧ – ظروفهم الاقتصادية .

٨ – فرص أخرى لتنمية المدارك والتعلم الشخصى – هل يستطيعون الاستماع إلى الراديو ، أو مشاهدة التليفزيون أو الذهاب إلى السينما ... الخ .

٩ - نواحي النشاط الأخرى التي يشتركون فيها - الأندية ومنظمات الشباب الأخرى .

١٠ - من هم الأشخاص الآخرون الذين يهتمون بهم ، المعلمون ، الاخصائيون الاجتماعيون ، قادة الشباب ، وهكذا .

١١ - تحركاتهم - هل يسافرون للوصول إلى المدرسة أو الأندية أو إلينا ، الخ .

١٢ - فرصهم السابقة للاتصال بالكتب ، كم عدد المنازل التي لا تدخلها الكتب .

١٣ - الاهتمام الشخصي - في مجموعات الأعمار المختلفة ، ما هي الموضوعات التي يحبون القراءة فيها ، ونوع الكتب التي يستمتعون بها ، كيف يقضون ساعات فراغهم ، وهكذا .

أما بالنسبة لأوضاع البيئة عموما فيرى ماك كولفن ضرورة معرفة :

١ - كيفية توزيع السكان .

٢ - مدى تجمع هؤلاء السكان المطلوب خدمتهم في نواحي المدينة أو في الضواحي أو القرى المنعزلة .

٣ - ما هي وسائل النقل .

٤ - ماهي العوامل الجغرافية التي تؤثر في الانتقالات .

٥ - ما هو الوضع الاقتصادى ومدى ملاءمته .

٦ - ما هي المقدرة المالية للمنطقة .

٧ - حالة التطور التعليمي .

٨ - أنواع النشاط الأخرى الخاصة بالأطفال والشباب والجارى القيام بها ، الخ .

مثل هذا المسح للبيئة وتحليل عناصرها ضرورى جدا حتى نتفادى الأخطاء في التنفيذ[١] .

---

(١) ماك كولفن ، الخدمات المكتبية العامة للأطفال ، ص ص ١٦١ - ١٦٤ . وفيما يتعلق بتحليل البيئة فقد أفاض في ذلك الدكتور أحمد أنور عمر في كتابه المشار إليه ، أنظر الصفحات ٦٤ - ٧٧ ، وكذلك :

H.C. Campbell, Developing Public Library Systems, pp. 38 - 41.

ثانيا : إصدار التشريعات المناسبة لأغراض نشر الخدمة على نطاق الوطن . والمقصود أساسا بالتشريع أن يضمن أن تكون الخدمات المكتبية العامة مسئولية الدولة من النواحي المالية والبشرية على تفصيل في ذلك ، وذلك لضمان مستويات معينة للخدمة[١] .

ثالثا : إنشاء الهيئة الوطنية للخدمات المكتبية العامة .

المفروض أن تكون الخدمات المكتبية العامة (وخدمات الأطفال) جزءا من خطة شاملة لشبكة وطنية للمعلومات . وقد تلحق هذه بالمكتبة الوطنية على أساس أن لها نوعا من الإشراف والقيادة – بالنسبة للكثير من الدول النامية – للخدمات المكتبية والببليوجرافية . وأن مهام هذه الهيئة الوطنية ووظائفها ودورها في قيادة حركة المكتبات العامة في القطر لما يحتاج إلى تفصيل[٢] .

رابعا : وضع الخطط الشاملة للمكتبات العامة على مستوى الوطن :

إن وضع خطة شاملة ومفصلة على مستوى القطر Master Plan وكما ذكرت في مقدمة البحث – لما يحتاج إلى تكوين فرق وطنية وذلك للقيام بالدراسات التي اشرنا إليها من قبل . والمطلوب في هذه الخطوة هو إعداد الخطة تمهيدا لتنفيذها ، على تفصيل في ذلك[٣] .

خامسا: تحديد نقط الخدمة وتوزيعها :

المقصود هنا هو تحديد : هل تكون المكتبات العامة وحدات أو نقط خدمة مستقلة أم تكون كل نقطة جزءا من جهاز للمكتبات العامة Public Library System[٤] .

وهناك الآن ما يشبه الإجماع على أن يكون مد الخدمة على مستوى الوطن في صورة جهاز أو عدد من الأجهزة بحسب حجم الوطن ومساحته ، ثم توزع نقط أو وحدات الخدمة على النحو الآتى فى كل جهاز :

---

(١) أنظر في ذلك Campbell, op. cit., pp. 49 - 58

وكذلك : أحمد أنور عمر ، نفس المصدر ، ص ص ٧٨ – ٨٠ .

(2) Campbell, op, cit., p. 46

وكذلك : أحمد أنور عمر ، نفس المصدر ، ص ص ٨١ – ٨٤ .

(3) Campbell, op. cit., pp. 30 - 38.

(٤) يستخدم الدكتور أنور عمر – ترجمة لهذا : التشكيل المكتبي ' Library System

المكتبة المركزية .
المكتبة شبه المركزية .
المكتبات الفرعية .
محطات الكتب .
سيارات الكتب .

ولكل واحدة من هذه الوحدات مكانها ودورها ووظائفها في جهاز المكتبات العامة . ويمكن أن يتكرر الجهاز في كل وحدة إقليمية (محافظة مثلا) تخدم عددا معينا من السكان ، وترتبط كلها في النهاية بالهيئة الوطنية للمكتبات العامة ، وهذه بشبكة المكتبات الوطنية .

وهذا يكتل الإمكانات ويضع موارد الدولة كلها من المواد القرائية تحت تصرف كل فرد فيها ، ويحقق مستوى عاليا من الأداء في الإجراءات الفنية وفي الخدمات ، إلى غير ذلك من المزايا . ويلاحظ أن هذا هو النمط الذى أوصت به كل دراسات اليونسكو ، ولهذا وضع كامبل كتابه المشار إليه ليكون دليلا للدول المختلفة عند تطوير أجهزة أو أنظمة المكتبات بها .

سادسا: تنفيـذ الخطـة :

وقد أصبحت الدراسات جاهزة والخطط معدة والسلطة المهيمنة على أمور المكتبات العامة موجودة والتمويل مكفولا وشكل الوحدات المقبولة موصفا ، فإن الخطوة التالية هي الإنشاء فعلا .

وقد وضعت معايير قياسية لإنشاء وتقويم المكتبات العامة ومكتبات الأطفال . وبعد أن تنشأ هذه الخدمات ، فإنها يجب أن تقوم من حين لآخر بدراسة تقويمية لمواردها وخدماتها وأن تراجع حتى المعايير القياسية سواء العددية أو الكمية في كل جانب من الجوانب في إطار ما يستجد من ظروف وما يتغير من عوامل ، كتحوير في أهداف المجتمع وآماله ، أو تغيير كيفي في ظروف الحياة مثل سيادة التكنولوجيا ، الخ .

وتتفق المعايير القياسية مع كتب الأدلة والموجزات الإرشادية على العناصر المختلفة للمكتبة ، فهناك اتفاق على أن ثمة معايير قياسية للعناصر الآتية :

١ - الموقـع .
٢ - المبنى والأثاث والتجهيزات والديكور .
٣ - العاملون في مكتبات الأطفال من حيث المؤهلات والتدريب ، والخبرات والمواصفات الشخصية ، الخ .

٤ - المجموعـــات .

٥ - تنظيم المجموعـات .

٦ - الخدمات التي تقدم للأطفال .

٧ - ساعة القصـة .

٨ ه النشاطات والبرامج الأخرى .

٩ - مكتبات الأطفال وعلاقتها بالمكتبات المدرسية .

ولا يتسع المقام لتفصيل في ذلك ، فهذه مهمـة الكتب الإرشادية والمعايير القياسية .

وكل مؤسسة من المؤسسات تحتاج بين حين وآخر إلى تقويم لخدماتها لمعرفة مدى نجاحها في تحقيق أهدافها ، وتقديم تقرير عن عملها إلى من يهمهم الأمر وإلى الشعب .. وهذه المعايير القياسية نفسها تستخدم لهذا الغرض .

وختاما نحمد الله على توفيقه وهدايته ونسأله سبحانه أن يجعل عملنا خالصا لوجهه .

* * * *

ملحوظـــة :

فيما يلي بعض المصادر التي تفيد في متابعة الموضوع وقد استبعدنا بطبيعة الحال ما كتب عن أدب الأطفال وهو كثير جدا بالعربية والإنجليزية .. وبالنسبة للمصادر الخاصة بالمكتبة العامة فلـم تتضمن هذه الببليوجرافية المختصرة إلا بعض أهم الأعمال لأن ماكتب عن المكتبات العامة كثير جدا ، وكذلك الشأن بالنسبة لمكتبات الأطفال حتى لا نطيل الببليوجرافية .

وقد تضمنت هذه الببلوجرافية بعض المصادر التي لم يتسن لنا الاطلاع عليها ووجدنا أن ذكرها هنا مفيد للقارىء الذى يود المتابعة وقد يكون أحسن حظا في الحصول عليها .

أولا : الأعمـال العربية :

١ – أحمد أنور عمر . الخدمة المكتبية العامة في الإقليم الجنوبي . القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٦٠ . رسالة الدكتوراه . قسم المكتبات ، كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ١٩٦٠ .

٢ – ـــ . المعنى الاجتماعي للمكتبة : دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية . ط ٥ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣ .

٣ – ـــ . المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ .

٤ – أحمد بدر وهاشمية العدساني . مشروع تخطيط خدمات المكتبات والتوثيق بدولة الكويت . الكويت : مجلس التخطيط ، إدارة تخطيط القوى العاملة ، ١٩٧٥ .

٥ – باركر ، ج . س . المكتبات في الكويت : واقعها وأسلوب تطويرها ؛ ترجمة إدارة التعليم الفني والمهني وإدارة المكتبات . الكويت : وزارة التربية ، ١٩٧٥ .

٦ – روز ، إرنستين . المكتبة العامة وأثرها في حياة الشعب الأمريكي ؛ ترجمة حبيب سلامة ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٤ .

٧ – سهير أحمد محفوظ . الخدمة المكتبية العامة للأطفال . ط ٢ . الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٣ .

٨ – ـــ . الخدمة المكتبية العامة للأطفال بالقاهرة . دراسة ميدانية لواقع الخدمة بأقسام الأطفال بفروع دار الكتب وبمكتبة الروضة المركزية للأطفال : دراسة لما يجب أن تكون عليه الخدمات المكتبية للأطفال في مصر . رسالة الماجستير ، قسم المكتبات كلية الآداب . جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

٩ – عبدالوهاب عبدالسلام أبوالنور . قضية التراث ، مجلة الدارة (الرياض) س ٥ ع ١ مارس ١٩٧٩ ص ١٧٨ – ٢٠٦ . نشر ضمن هذا الكتاب .

١٠ – فارجو ، لوسيل ف . المكتبة المدرسية ؛ ترجمة السيد محمد العزاوى ؛ مراجعة أحمد أنور عمر . القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٧٠ .

١١ – فير ، إثل م . ومحمد كفافي . فن المكتبات في خدمة النشء ؛ نقله إلى العربية محمد كفافي . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٩ .

١٢ – الكويت ، جمعية المعلمين الكويتية . توصيات وأبحاث ندوة أسبوع التربية الثامن المنعقدة في الفترة من ٥ – ٣٠ مارس ١٩٧٨ تحت عنوان : طفل ما قبل المرحلة الابتدائية . الكويت : ١٩٧٨ .

١٣ – الكويت ، مركز بحوث المناهج . دليل رياض الأطفال . الكويت : ١٩٧٩ .

١٤ – ماك كولفن ، ليونيل . الخدمات المكتبية العامة للأطفال ؛ ترجمة عبدالمنعم السيد فهمي . القاهرة دارة المعرفة ، ١٩٦١ .

١٥ – محمد أبوالفتح سيد نصار . تقييم الخدمات المكتبية العامة في محافظة القاهرة : دراسة ميدانية . القاهرة ، ١٩٧٢ . رسالة الماجستير . قسم المكتبات ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

١٦ – محمد مجاهد يوسف . الإعداد المهني لأمناء المكتبات العامة في الجمهورية العربية المتحدة . رسالة الماجستير . قسم المكتبات ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٣٩٧ /١٣٩٨ هـ – ١٩٧ /١٩٧٨ م .

١٧ – محمدين السيد فراج . الأطفال وقراءاتهم . الكويت : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .

ثانيا : الأعمال الأجنبية

18 - Ahmad Badr. «Kuwait Libraries» in Encyclopedia of Library and In-Fomation Science. 14:10 .

19 - American Library Association. Minimum Standards for Public Library Systems, 1966. Chicago: A. L. A.,1967.

20 - Public library Association. Standards for Children's Services in Public Libraries, 1964. Chicago : A. L. A., 1964.

21 - Broderick, Dorothy M. An introduction to Children's Work in Public Libraries. New Yorke: H.W. wilson, 1965.

22 - Butler, Dorothy. Babies Need Books. London: The Dolbey Head, 1980.

23 - Butler Florence W. «Children's Libraries and Librarianship». Encyclopedia of Library and Information Science. 4:559.

24 - Campbell, H.C. Developing Public Library Systems and Services: A guide to the organization of national and regional puplic library systems as a part of overall national information Service planning. Paris: Unesco, 1983.

25 - Fleet, Anne. Children's libraries. London: Andre Deutsch, 1973.

26 - Gross, Elizabeth H. Public library Service to Children, Dobbsferry: Ocean Publications, 1967.

27 - Issues in Children's Book Selection:
A collection of Articles reprinted from School Library Journal. New York: Bowker, 1973.

28 - Long, Harriet G. Public Library Service to Children: Foundation and Development. Metuchen, N.J.: The Scarecrow Press, 1969.

29 - Mohammad Mohammad Aman. «Egypt, Libraries in» Encyclopedia of Library and Information Science. 7:575.

30 - Raywerd, W. Boyd, ed. The public Library Circumstances and Prospects: Proceedings of the thirty-ninth conference of the Grduate Library School. April 10-11, 1978. Chicago: the University of Chicago Press, 2978.

31 - Woolond, Wilma lee Boughton. Conbined School Puplic Libraries. Metuchen, N.J. The Scarecrow Press, 1980.

نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة

مجلة الدارة (الرياض) :

العدد الرابع ، السنة الثالثة . صفر ١٣٩٨ هـ - يناير ١٩٧٨ م ؛

العدد الأول ، السنة السابعة ، شوال ١٤٠١ هـ - أغسطس ١٩٨١ م .

مقدمة وتعريفات :

تتناول هذه الدراسة قضية فكرية هامة وهي تنظيم المعرفة عند المسلمين . وقد يكون من المفيد أن نبدأ بتحديد مفهوم واضح لتنظيم المعرفة قبل أن نتناول القضية الأساسية في الدراسة وقد يجرنا هذا إلى تعريف بعض الألفاظ التي سوف نستعملها .

تنظيم المعرفة

يقصد بتنظيم المعرفة Organization of Knowledge المحاولات التي قام بها العلماء والفلاسفة وعلماء المكتبات والمعلومات وغيرهم على مر العصور لتصنيف العلوم وتصنيف المعرفة والكتب . وقد استعمل اللفظ هنري افلين بليس/H.E. Bliss عالم التصنيف الأمريكي في عنوانين لكتابين من كتبه :

1. The organization of knowledge and the system of the sciences (1929).
(تنظيم المعرفة ونظام العلوم)

2. The organization of knowledge in libraries and the subject approach to books (1939).
(تنظيم المعرفة في المكتبات والمعالجة الموضوعية للكتب)

وقد تتبع في أولهما المحاولات التي قام بها العلماء لاعداد تصانيف للمعرفة والعلوم على مر العصور تمهيدا للوصول إلى نظرية خاصة بتنظيم المعرفة بصورة معينة ، وهو ما أسماه باصطلاح العلماء والتربويين: Educational and Scientific Consensus

وفي كتابه الثاني درس أنظمة التصنيف التي كانت نستعمل في المكتبات حين صدور الكتاب ، كما نقد هذه الأنظمة ، ودرس المفاهيم الأساسية للتصنيف ووضع في النهاية نظرية أو أساسا لتصنيف المكتبات بنى عليها فيما بعد تصنيفه البيليوجرافي . ومن هذا يتضح أن تنظيم المعرفة ذو شقين :

١ - تصانيف الفلاسفة والعلماء .

٢ - وتصنيف المكتبات .

وهما مرتبطان ارتباطا قويا[1] . وتتبني نظرية بليس على الربط بينهما . وليس هنا مجال مناقشة آراء بليس عن الاصطلاح أو عن ارتباط تصنيف المعرفة بتصنيف الكتب ولكننا أردنا فقط الخروج بتعريف لتنظيم المعرفة وعلاقته بالتصنيف[2] .

وفي سنة ١٩٦٤ أصدر نيدهام وهو من أساتذة التصنيف كتابا يحمل العنوان التالي :

The organizing of knowledge in libraries

وهو يقارب كتاب بليس الثاني من حيث العنوان الأمر الذي قد يوحي بأن المحتوى متشابه ، ولكن نيدهام يختلف اختلافا كبيرا عن بليس ، فهو يعني بوظيفة التنظيم في المكتبة أساسا . وقد أصبحت وظيفة التنظيم في المكتبة تشمل كل عناصر الاعداد سواء منها ما كان شكليا يعني بالملامح المادية للمواد أو ما كان منها موضوعيا يعني بالمحتوى الفكري . وقد اصطلح على تسمية الجانب الأول بالفهرسة الوصفية ، واصطلح على تسمية الثاني بالفهرسة الموضوعية . وتضم الأخيرة محورين : التصنيف ورؤوس الموضوعات . وترتيب الأخيرة هو الترتيب الألفبائي أما الأول فيتخذ الترتيب العلمي ، وهو الذي ينطبق عليه مفهوم تنظيم المعرفة بصفة خاصة اذ أن الترتيب الألفبائي لايهتم بالجانب العلمي وانما يهتم بالترتيب العرضي . ولذلك فإن الذي يعنينا هنا من عناصر التنظيم هو التصنيف .

والتصنيف Classification هو بالمعنى العام جمع الاشياء المتشابهة وفصل الأشياء غير المتشابهة . ويتحدد التشابه والاختلاف على أساس امتلاك الأشياء أو عدم امتلاكها لصفة جوهرية تسمى الخاصية Characteristic .

وهناك تطبيقات متنوعة لهذا التعريف في مجالات مختلفة :

فالتصنيف الفلسفي Philosophical هو المحاولات التي قام بها الفلاسفة لتصنيف المعرفة ، ولم يكن لهذا النوع من التصنيف غاية عملية يبتغيها الفيلسوف ، بل كان مجرد رياضة عقلية يعرض من خلالها تصوره لتنظيم المعرفة ، وتعد جزءا من فلسفته ، ولم يكن هذا بهدف الاستعمال في المكتبات .

والتصنيف العلمي Scientific هو نوع من التصنيف يصدق على تصنيف الكائنات الحية بصفة خاصة . وهو يعرف باسم Taxonomy أي تصانيف الأحياء . وهناك أمثلة كثيرة على هذه التصانيف في علوم النبات والحيوان خاصة . وقد كان الغرض منها مساعدة

---

(١) لمعرفة العلاقة بين النوعين انظر : عبدالوهاب أبوالنور : التصنيف عند العرب . (في : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . المقدمة . جـ١ . ص|ص ٤٣ - ٧٦) .

(٢) ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل في : دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف في الفصل الخاص بالعلاقة بين تصنيف المعرفة وتصنف الكتب .

العلماء في نسبة مكتشفاتهم الجديدة من النباتات والحيوانات . ففي هذا النوع من التصنيف تقسم الكائنات الحية (النباتات والحيوانات) وفقا للصفات التشريحية لها إلى رتب وطبقات وطوائف وفصائل معينة . ويسجل عن كل فصيلة أو طائفة سلسلة من الخصائص يمتلكها أفرادها . وحينما يظهر كائن جديد يكتشفه العلماء يقومون بتشريحه . وبمقارنة سلسلة الخصائص التي لهذا الكائن مع الخصائص المختلفة لكل فصيلة أو طائفة يمكن معرفة الفصيلة التي ينتمي إليها الكائن الجديد ، أي يمكن تصنيفه ونسبته إلى القسم الأكبر الذي ينتمي إليه .

وقد كانت هذه العملية مفيدة للعلوم الطبيعية وساهمت في تقدمها . ورغم أن غاية هذا النوع من التصنيف غاية عملية ، إلا أن الغرض منه كان خدمة العلوم الطبيعية ومن ثم فهو يعد جزءا منها ولا يتعداها إلى الاستعمال في المكتبات . وهناك نماذج كثيرة من التصانيف العلمية[١] .

أما تصنيف الكتب Book Classification أو التصنيف البيليوجرافي Bibliographic فهو يهدف إلى جمع الكتب والمواد التي تعالج موضوعا واحدا في مكان واحد من رفوف المكتبة أو فهارسها أو من البيليوجرافيات المختلفة التي ترتب بالموضوع . وقد أطلق عليه تسميات أخرى منها تصنيف المكتبات .Biblibothetical, Library Class وتصنيف الوثائق Documentary وتصنيف المعلومات Information ، وأخيرا التصنيف لأغراض تنظيم واسترجاع المعلومات[٢] . والتسميات جميعا تصدق على تصنيف الكتب وغيرها من أوعية المعلومات . وحيثما توجد المعلومات فلابد من التنظيم ، إذ لابد أن العلماء سوف يطلبون المعلومات من خلال الموضوع ، أي سوف يطلبون معلومات في موضوع معين ، ولذلك فإن التصنيف قديم قدم المعلومات نفسها . ولكن التسميات السابقة حديثة نسبيا ، فقد وجد رجال المكتبات أن التصنيف يستعمل في العلوم الطبيعية بنجاح فأرادوا هم أيضا أن يستفيدوا منه في عملهم ، اذ أنهم يهتمون كذلك بتنظيم العلوم والمعارف المسجلة في الكتب . كما أن العصر كان عصر العلوم الطبيعية وكانت المجالات المختلفة تحاول أن تحذو حذوها في الطرق والمناهج . ولذلك لجأ رجال المكتبات في المرحلة الأولى إلى تصنيف العلوم . ولما كانت هذه التصانيف تعتمد اعتمادا كبيرا على التصنيف المنطقي دخلت الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف الى تصنيف الكتب .

---

(١) انظر في ذلك مثلا : Vickevy, B.C. Classification and Indexing in Science

(٢) انظر في ذلك : عبدالوهاب أبوالنور : التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات . ويلاحظ أن العنوان الأخير يكاد يتطابق مع التسمية فيما عدا حذف كلمة تنظيم . وقد اوضحنا في الكتاب أن الاسترجاع يتضمن التنظيم لأن الأخير بغرض الاسترجاع .

وحينما دخل التصنيف بالمفهوم الحديث إلى عالم المكتبات كانت الوحدة الببلوجرافية السائدة والمقبولة هي الكتاب ، ولذلك ارتبطت التسمية به فقلنا تصنيف الكتب والمكتبات ، كما قلنا التصنيف الببليوجرافي للتفرقة بينه وبين التصنيف الفلسفي والتصنيف العلمي .

ولكن في العقود الأخيرة بدأت أوعية جديدة للمعلومات تظهر وتحتل مكانها في عالم النشر والبحث ، مثل المجلات والأبحاث والتقارير ، والأفلام ، والمصغرات الفلمية وغيرها . ولذلك كان من الضروري أن يعبر علم المكتبات عن هذه التطورات فاعتبرت هذه جميعا وثائق تضم معلومات . ومن هنا جاءت التسمية : تصنيف الوثائق ، ثم التصنيف لأغراض تنظيم واسترجاع المعلومات . بل إن علم المكتبات نفسه قد عبر في تسميته عن هذه التطورات فأصبح علم المكتبات والمعلومات ، أو علم المعلومات فقط .

وقد قام علماء تصنيف المكتبات بإعداد عدد من التصانيف أو الأنظمة التي تطبق في المكتبات على وحدات الانتاج الفكري . وأصبح التصنيف من أهم فروع علم المكتبات إن لم يكن أهمها على الإطلاق . وذلك لأنه يعني بالمحتوى الفكري للوثائق . وهو – أي المحتوى – هو السبب الذي من أجله تقتنى الكتب والوثائق ومن أجله تنظم وتستعار ، بل من أجله نشأ علم المكتبات أصلا . ولما كان التصنيف يعتمد على الخاصية الجوهرية ، وهي هنا المحتوى الفكري أو الموضوع ، فإن كلمة تصنيف الكتب تعني تنظيمها بالموضوع وليس بأية طريقة أخرى من طرق الترتيب .

ونظام التصنيف أو خطته System or Scheme هو الأداة التي يستعملها المصنفون لتعيين أرقام التصنيف للموضوعات المختلفة . وهو نوعان :

التصنيف العام أو الشامل General والخاص أو المتخصص Special .

والأول يضم كل فروع المعرفة البشرية ، والثاني يضم فرعا واحدا منها فقط .

التصنيف في المكتبات العربية :

مما لاشك فيه أن العرب قد عرفوا التصنيف ، فحيث توجد المكتبات يوجد التصنيف . وقد كانت المكتبات مزدهرة في العالم الاسلامي ، وعليها اعتمدت النهضة العلمية التي وصلت إلى القمة في قرون قليلة . ولكن الدراسات التي تعرضت لتاريخ المكتبات في الإسلام – على قيمتها وأهميتها – لم تهتم اهتماما كبيرا بالجوانب الفنية ، بل اهتمت بالمكتبات نفسها كظاهرة علمية حضارية أو تربوية ، وقد جاءت دراسات كثيرة منها وسط كتب تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين ، أو الحياة التربوية ، أو في كتب التاريخ والخطط والأدب والتراجم ، ولا زلنا بحاجة إلى دراسة معمقة للجوانب الفنية في المكتبة الإسلامية على ضوء علم المكتبات الحديث ، من حيث الفهرسة والتصنيف ، الخ .

ولو أننا اعتمدنا في تقدير حالة تصنيف المكتبات الإسلامية على ما تضمنته المصادر المختلفة عن التصنيف عند العرب ، لأمكننا أن نفترض أن التصنيف في المكتبات الإسلامية كان على درجة عالية من الرقي . فقد حفلت المصادر الإسلامية بالتصانيف التي أعدها الفلاسفة والببليوجرافيون والعلماء ابتداء من القرن الرابع الهجري وحتى وصلت إلى ذروتها في القرن العاشر . بل لقد رفع العلماء المسلمون التصنيف الى مرتبة العلم حيث جعله طاش كبري زادة واحدا من العلوم التلاثمائة التي اشتمل عليها مفتاح السعادة وأسماه علم تقاسيم العلوم . ولقد زاد على ذلك تعرفه على طريقتين من طرائق التصنيف هما في الحقيقة أهم ما أدركه العقل الإنساني في هذا الصدد وحتى عصرنا الحاضر ، بل إن طريقة التحليل عند طاش كبري زادة تماثل أحدث الطرق العلمية في التصنيف والتي لا تزال قيد الدراسة والبحث في لندن في الوقت الراهن .

ولا شك أن هذه هي صورة التصنيف عند المسلمين لأن طاش كبري زادة لا يأتي بشيء من اختراعه وإنما هو مسجل أمين لحالة العلوم عند العرب والمسلمين ، ولولا أنه وجد تراثا فكريا قويا في الموضوع لما جعله فرعا من الفروع التي سجلها قائمة برأسها . وقد يتضح هذا أكثر عند الحديث على التصنيف الإسلامي فيما بعد .

وقد كان هذا هو شأن التصنيف إبان عصر الحضارة الإسلامية الزاهر ، ولكن الأمور لم تستمر على هذا النحو ، إذ عملت عوامل متعددة على تأخر المسلمين وعلى انتقال زمام الحضارة والتقدم إلى الغرب فنشأت العلوم الحديثة وقطعت شوطا بعيدا في طريق التقدم .

وقد بدأنا في العصر الحديث نحاول تعويض التخلف وسد الفجوة التي تفصلنا عن الأمم المتقدمة ، وكان لابد من إدخال العلوم الحديثة فوفدنا إليها أو وفدت إلينا . إدراكا منا لأهمية العلم في صنع التقدم .

وقد كان علم المكتبات من العلوم التي وفدت إلينا من جديد ، فدخل إلى أوطاننا على المستوى الأكاديمي متمثلا في إنشاء دراسات أكاديمية في الجامعات العربية ، وعلى المستوى التطبيقي متمثلا في محاولة المكتبات العربية تطبيق الممارسات الحديثة .

وإذا كان التقدم الحضاري يعتمد على العلم ، فإن العلم لا يمكن أن ينهض بدون المكتبات والمعلومات والخدمات الببليوجرافية . وهي تهدف إلى توصيل المعلومات المناسبة للقاريء المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب . وتحقيق هذا لايتم إلا بالتنظيم ، والتصنيف قوام عملية التنظيم وأساسها ولبها لأنه كما ذكرنا يهتم بالمحتوى الفكري الذي من أجله تقتنى المعلومات أصلا .

لذلك كان من الضروري ، ومع بداية دخول علم المكتبات نظريا وتطبيقيا ، أن تثار قضية التصنيف ، أي بماذا تصنف المكتبات العربية . بل لعل هذه القضية كانت ولا تزال أهم

القضايا التي تهتم بها المكتبات العربية باعتبار التصنيف أهم الركائز التي يستند إليها العمل في المكتبات ، وباعتبار أن غايته هي خدمة الباحثين والعلماء في آلاف المكتبات في الوطن العربي على امتداده .

وللإجابة على السؤال فلابد من دراسة ثلاثة بدائل :

١ - اختيار أحد الأنظمة الأجنبية وتطبيقه كما هو .

٢ - اختيار أحد الأنظمة الأجنبية وتطبيقه بعد تعديله .

٣ - إعداد نظام عربي لحما ودما ينبع من احتياجات المكتبات العربية ويوفر بكفاية للموضوعات العربية والإسلامية ويعبر عن الفكر العربي الإسلامي .

ودراسة البدائل الثلاثة تتطلب مايأتي :

١ - دراسة أنظمة التصنيف الأجنبية دراسة نقدية ومقارنة لمعرفة هل تصلح كما هي للتطبيق في المكتبات العربية .

٢ - دراسة المحاولات العربية في التصنيف سواء كانت تعديلات لأنظمة أجنبية أم كانت نظما خاصة ببعض المكتبات .

٣ - دراسة نظرية التصنيف ، وهي المنهج الذي وضعه علماء التصنيف لكي تبنى على أساسه وتقيم أنظمة التصنيف ، ثم عرض الأنظمة الأجنبية عليها لمعرفة هل تصلح من وجهة نظر المنهج أم لا .

٤ - دراسة التراث الكفري العربي والإسلامي في موضوع التصنيف من جهة وفي الموضوعات الأخرى من جهة ثانية لمعرفة إلى أي حد نتفق أو نختلف مع الثقافات الأخرى .

وقد تمت دراسة القضايا السابقة جميعا منذ أكثر من عشر سنوات ولسنا نريد الإطالة بإيراد أية تفاصيل ولكن مانود أن نقوله هنا هو أن الدراسة المشار إليها[١] قد خلصت إلى النتائج الآتية :

أولا : أن أنظمة التصنيف الأجنبية لا تصلح كما هي للمكتبات العربية :

١ - فهي باعتبارها أدوات للتنظيم المقنن للمعرفة تتبع إطارا عقيما لتنظيم المعرفة ولا تتوافق

---

(١) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافي في الاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف . رسالة الماجستير . كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ .

مع المعرفة الحديثة ؛ الانظمة الأجنبية – فيما عدا تصنيف الكولون لرانجاناتان عالم التصنيف الهندي – خطط حاصرة والمعرفة الحديثة معرفة تحليلية تركيبية . فالموضوعات الجديدة لا تنمو من خلال الانشطار أو التقسيم فقط ولكنها تنمو من خلال الاندماج أو الالتحام مكونة موضوعات مركبة جديدة . ولا شيء يمكن أن يدلنا على أي العناصر سوف تلتحم معا اليوم أو غدا لأننا لا يمكن أن نتوقع الارتباطات الموضوعية الجديدة التي سيكتب فيها المؤلفون والعلاقات الجديدة التي سينتهجها البحث العلمي ، ومن ثم لايمكن أن نعين سلفا عددا من القوالب الموضوعية التي يجب أن تقحم فيها الموضوعات . وانما يجب أن تكون ثمة طريقة تتوافق مع الطريقة التي تنمو بها المعرفة . وهذه الطريقة هي الربط الحر للعناصر التي تتألف منها الموضوعات حيثما تظهر في الإنتاج الفكري . وهو ما يعرف بالتركيب ، أي تحليل الموضوعات ثم تركيبها . وهو ما يعرف بالتصنيف التحليلي التركيبي أو المتعدد الأوجه . ورغم أن تصنيف الكولون يسير وفق هذه الاتجاه إلا أنه لازال معمل بحث أكثر منه خطة مكتملة يمكن العمل بها في المكتبات . وخطط التصنيف العامة الأخرى هي من النوع الحاصر الذي يحدد قوالب جاهزة لتصنيف الإنتاج الفكري ، ومن ثم فهي لا تتوافق مع الطريقة التي تنمو بها المعرفة وتتكون بها الموضوعات المركبة الجديدة .

٢ – ان أنظمة التصنيف الأجنبية لا تعالج بكفاية الموضوعات العربية والإسلامية . لقد أعدت هذه الأنظمة لثقافات ومكتبات مختلفة عن ثقافتنا . ومن حقها أن توفر للموضوعات التي تكون ثقافتها وتراثها وأن تجعل هذه الموضوعات في المقدمة ، وأن توفر لها المكان المناسب والكافي . وهذا لابد أن يأتي على حساب الموضوعات التي تكون ثقافات وأديان البلاد الأخرى . وإذا كانت هذه الخطط على صواب فيما تفعله بالنسبة لثقافاتها وأديانها فإن الخطأ كل الخطأ هو في محاولة تطبيقها – وحالها تلك – على ثقافتنا وديننا . فهي تضع الإسلام ضمن الديانات الأخرى موفرة له مكانا واحدا مقابل سبعين مكانا للمسيحية ، ونفس الشيء يصدق على اللغة العربية والأدب العربي إذ يوضعان في الموضوعات الأخرى – أما التاريخ فينطوي تصنيفها له على أخطاء كثيرة .

هذا فضلا عن أن الإطار العام الذي يضم تلك التفاصيل يختلف عن الإطار العام للثقافة الإسلامية . وهذا ما سوف نفصله فيما بعد .

ثانيا : الأعمال العربية في التصنيف نوعان :

أنظمة خاصة ببعض المكتبات مثل دار الكتب بالقاهرة ومكتبة الأزهر بالقاهرة أيضا .

وتعديلات لبعض الأنظمة الأجنبية انصبت كلها على الموجز الثالث للتصنيف العشري لديوي فيماعدا عمل واحد انصب على الطبعة الثامنة الموجزة (١٩٥٩).

وهذه الأعمال لا تصلح هي الأخرى :

١ - فالأنظمة الخاصة لا ترقى إلى مستوى خطط التصنيف الحديثة ولا تضم من خصائص التصنيف الحديث قليلا أو كثيرا . وهي مجرد رؤوس موضوعات واسعة جدا لا تضم التفاصيل المطلوبة لتصنيف الإنتاج الفكري الحديث ، ولا رمز لها ترقم به الموضوعات ولا كشاف .

٢ - التعديلات العربية لموجز التصنيف العشري اعتمدت على التصنيف العشري وهو خطة معيبة أصلا . وقد حملت كل عيوب الأصل وأضافت إليه المزيد . وليس بوسعنا هنا أن نفصل في هذه الصدد منعا للاطالة[١] .

ثالثا : يبقى البديل الثالث وهو إعداد خطة عربية عامة للتصنيف . وهذا هو أصعب البدائل ولكنه أفضلها لأنه يحقق آمال المكتبات العربية ويضع حدا لحالة الفوضى في الممارسة والتي تعاني منها . وكل من يعمل بالتصنيف في المكتبات العربية يقدر قيمة هذه الكلام ، فهم يعبرون دائما عن عدم الرضا عن الأدوات الموجودة .

هذا فضلا عن أن لنا تراثا تصنيفيا حافلا كما سوف يتضح بعد قليل ، ولنا في الموضوعات العربية والإسلامية تراث يجب أن يكون أساس إعداد تصانيف هذه الموضوعات .

الخطة العربية للتصنيف :

أما وقد استقر بنا الرأي على أن نتخذ موقف التأصيل بإعداد خطة عربية كاملة للتصنيف وليس موقف التعديل ، فقد كان ولابد من مزيد من الدراسات :

١ - ما المنهج الذي سوف تبنى عليه الخطة العربية .

٢ - ما الإطار العام للخطة ، بمعنى ما الاقسام الرئيسية للخطة والإطار الفكري الذي سوف ينتظمها .

---

(١) عالجنا هذه القضية بالتفصيل في دراسة أخرى هي : التعديلات العربية للتصنيف العشري لديوي . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٤ . وثيقة رقم ٤/١/٧/٣ تنفيذا لتوصيات مؤتمر الإعداد الببليوجرافي الأول الرياض : ٢٤ نوفمبر /تشرين ثان - ديسمبر / كانون أول ١٩٧٣) .

٣ – ما الموضوعات التي ستعد لها تصانيف أصيلة ، وما الموضوعات التي يمكن الاستفادة فيها من إنجازات الآخرين .

والتسلسل السابق هو التسلسل المنطقي لمراحل إعداد الخطة العربية للتصنيف ، فلابد من أن نحدد أولا الأسس والمنهج ، ثم نحدد الإطار العام وذلك من خلال تعيين الأقسام الرئيسية للخطة ثم ترتيبها ، ثم تحديد العلاقات بين المجالات الموضوعية المختلفة ، الخ . ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي إعداد التصانيف لعدد من العلوم العربية والإسلامية الأصيلة ، والتي هي من مسئوليتنا نحن ، وهي الدين واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا ، ثم المرحلة الأخيرة وهي إعداد تصانيف لبقية الموضوعات .

وقد حدث تخالف في هذا التسلسل لظروف خاصة ، فقد بدأ تحديد المنهج وتعميقه ثم تطبيقه في إعداد تصنيف لعلوم الدين الإسلامي ، وذلك قبل تحديد الإطار العام للخطة(١) . ولم تكن ملامح النظرية الإسلامية في تنظيم المعرفة قد وضحت أو كتبت بعد . ولكن كان الافتراض الأساسي وقتها هو أن الدين الإسلامي يجب أن يسبق غيره من الموضوعات في خطة التصنيف العربية وذلك لمكانة الإسلام في نفوس المسلمين وفي المنهج التربوي عندهم . وكل أنظمة التصنيف الأجنبية تبدأ بالفلسفة وهي تضم كتب الإلحاد . والقارىء المسلم يكره أن يرى كتب الإلحاد تسبق كتب الإسلام وهي تضم علوم القرآن الكريم ، فهو يكره أن يرى على رفوف مكتبته كتب الإلحاد تسبق الكتاب العزيز .

على أي حال فقد تم إعداد تصنيف مفصل لعلوم الدين الإسلامي على أساس المنهج الحديث في إعداد قوائم التصنيف ، وهو المنهج التحليلي التركيبي ، ثم أعطيت قوائم التصنيف المفصلة لعلوم الدين الإسلامي(٢) .

وقد خطت الخطة العربية بعد هذا خطوات أخرى ، فقد أوصى مؤتمر الإعداد البيلوجرافي الأول للكتاب العربي (الرياض في نوفمبر /ديسمبر ١٩٧٣) بتجريب الخطة العربية للتصنيف مبتدئة بعلوم الدين الإسلامي(٣) . وهكذا خرجت الخطة إلى نطاق التطبيق

---

(١) عبدالوهاب أبوالنور . التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي · دراسة في منهج إعداد أنظمة التصنيف مع تطبيقه في إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامي . رسالة الدكتوراه . القاهرة : كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٢) اتخذنا هذا التصنيف أساسا لتنظيم « البيليوجرافيا الموضوعية العربية · علوم الدين الإسلامي » وهي تحليل لمقالات المجلات الإسلامية تضم ما يقرب من ستين ألفا من المقالات .

(٣) قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي . الرياض ، ١٩٧٣ . وانظر بحثنا لهذا المؤتمر وهو بعنوان : نظم التصنيف في الوطن العربي ، المشكلات والحلول المقترحة . ص ص ١٥١ – ٢٤٧ .

والتجريب[١] .

والمفروض أن تستمر عملية إعداد تصانيف الموضوعات العربية الإسلامية بعد الإسلام ، مثل اللغة والأدب ، الخ . وهذا يستلزم وضع الإطار العام للخطة وتحديد العلاقات بين الموضوعات وترتيب الموضوعات فيما بينها ، وهو ما يعرف بقضية ترتيب الأقسام الرئيسية . والحقيقة أنه في هذه النقطة بالذات تبدو أهمية اتباع النظرية الإسلامية في تقسيم العلوم وترتيبها . وقد حاولنا ذلك من خلال دراسة معمقة للفكر الإسلامي في هذه النقطة والحياة العقلية للمسلمين وأمكن في النهاية الخروج بنظرية لتنظيم المعرفة عند المسلمين من خلال ضم الجزئيات والشذرات التي وجدناها .

وحتى لا تطول الصفحات فسوف أركز على هذه القضية وحدها من قضايا الخطة العربية للتصنيف فيما تبقى من صفحات هذه الدراسة .

الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف العربية

الخطوة الأولى في بناء نظام التصنيف العام هي تقسيم عالم المعرفة إلى عدد من الأقسام تسمى الأقسام الرئيسية . وهذه لاتزال هي الطريقة السائدة والمتفق عليها حتى الآن ، مهما اختلف المنهج فيما وراء الأقسام الرئيسية . وعلى هذا جرى أصحاب الخطط العامة السبع التي أنتجت حتى الآن بما فيهم رانجاناتان صاحب تصنيف الكولون .

وقد جرت محاولتان لنبذ فكرة الأقسام الرئيسية وإجراء التحليل على المعرفة ككل وبصورة مباشرة . حدث هذا من جاستون فرادان في الخمسينات ، ومن ديريك أوستن وجماعته والذين يحاولون إعداد تصنيف عام في داخل الببليوجرافية الوطنية البريطانية . وقد عرضت لهذه القضية في أماكن أخرى ولا داعي لإطالة الصفحات الآن بها . غاية ما أود أن أذكره الآن هو أن جهود الجماعة البريطانية في هذه الصدد لازالت بحثا أكثر منها حقيقة مجسدة ، ومن ثم فحتى إذا حاولنا تقويمها فإننا نقومها في هذا الإطار : كأفكار قيد البحث وليست شيئا محسوسا . ولذلك فأننا نبقى على فكرة الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف العربية كتقليد مستمر ومستقر حتى الآن[٢] .

---

(١) اعددنا دراسة عن عملية التجريب تشرح العملية وكيف أجريت في ٤٠ مكتبة في الوطن العربي كله وتناولنا فيها كل النقاط والمناقشات التي تمت في هذا الصدد وقمنا بالرد عليها : تجريب الخطة العربية للتصنيف : علم الدين الإسلامي .

(٢) عبدالوهاب أبوالنور : التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات .

القسم الرئيسي

القسم Class هو عدد من الأشياء أو المفردات التي تمتلك جميعا صفة واحدة ، هو كل الأشياء التي ترتبط أو ارتطبت أو يمكن أن ترتبط بواسطة التشابه ، وتتباعد بواسطة الاختلاف ، عن كل الأشياء الأخرى في الطباع والخواص والعلاقات الجوهرية والهامة والانتقائية التي تعرف بها[1] .

والقسم بهذا المعنى لايقتصر على الأقسام الرئيسية فقط ، ولكنه يعني كذلك الرتب أو الأقسام الأصغر . وقد عرف التراث العربي لفظ القسم بهذا المفهوم الفلسفي والمنطقي ، فهذا ابن سينا أسمى رسالة له : أقسام العلوم العقلية ، وكذلك فإن العلماء كانوا يطلبون من المؤلفين في مقدمات كتبهم تعيين أقسام العلم ، كما أن طاش كبري زادة قد سمى علم التصنيف علم تقاسيم العلوم ، وهو مشتق من القسم .

وان تعريف القسم الرئيسي Main Class من الصعوبة بمكان ، وهو مصطلح يستعمل بكثرة للتعبير عن المجالات الرئيسية للمعرفة ، ولكن ليس هناك تعريف مستقر أو كاف للقسم الرئيسي لا عند علماء التصنيف ولا عند أصحاب الخطط العامة ، حتى عند بليس ، وهو الذي حظيت عنده قضية الأقسام وترتيبها بأكبر قدر من الاهتمام . ويؤكد هذه الحقيقة أن عدد الأقسام الرئيسية في خطط التصنيف المختلفة يختلف اختلافا كبيرا ، إذ هو يرتبط بعدد الرموز المتاحة . ولو كان ثمة تعريف واضح ومتفق عليه للقسم الرئيسي لما حدث هذا الاختلاف لأن الجميع يقسمون عالما واحدا هو عالم المعرفة ، كما أن ناتج التقسيم وهو الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف يشتمل على المعرفة جميعا حتى وإن اختلف العدد من خطة لأخرى . فأقسام كتر أو براون أو بليس أو مكتبة الكونجرس أو رانجاناثان هي في مجموعها متفقة من حيث المحتوى وإن تفاوت محتوى وعدد الاقسام كل على حدة . وهذا يدل على أنه لا يوجد معيار يحدد بمقتضاه طريقة اشتقاق أو تكوين القسم الرئيسي .

والمفروض أن نبدأ بتعريف القسم الرئيسي ووضع معيار محدد له ، ثم نمضي في تطبيق هذا المعيار في تكوين الأقسام الرئيسية دون الخضوع لاحتياجات الرمز ، ثم تدبير الرمز المناسب الذي يكفي لعملية الترقيم . ولكن المشكلة هي أن عدد الرموز المتاحة محدود ، ومن ثم فلابد أن تتأثر الأقسام الرئيسية بعدد الرموز المتاحة . فالحقيقة هي أن الأقسام الرئيسية في خطط التصنيف المختلفة ليست أقساما للمعرفة بل هي أقسام رمزية . والدليل على ذلك أن عددها يتفاوت : فهي في ديوي تسعة وقسم عام ، وفي بليس ٥٣ قسما ، وفي مكتبة الكونجرس ٢١ قسما ، وفي كتر قريب من ذلك ، وفي ط ٧ من الكولون ١٠٦ قسما

---

(١) شيرا ، جيس وايجان ، مرجريت ، الفهرس المصنف : أسسه وتطبيقاته ؛ ترجمة عبدالوهاب أبوالنور . ص ٧٠ .

رئيسيا . وهي مرتبطة بالرموز التي استخدمتها كل خطة . فاستعمل ديوي الأعداد وحدها وكان أمامه عشرة أماكن ، ومكتبة الكونجرس وكتر استخدما الحروف وحدها (للأقسام) فكان أمامهما ٢٦ قسما . أما بليس فقد استعمل الحروف الكبيرة والصغيرة والأعداد فكان أمامه مدى رمزي أكبر . وقد استعمل رانجاناتان كل هذه وأضاف اليها علامات أخرى ولذلك جاء العدد عنده أكبر .

ولو كانت الأقسام الرئيسية معرفة تعريفا كافيا على المستوى الذهني لما حدث هذا التفاوت ، ولكنها تقليد مرتبط بعدد الرموز المستعملة .

وقد كان من الضروري معالجة هذه القضية بالنسبة للخطة العربية للتصنيف ، بمعنى : ما القسم الرئيسي ، وما الأقسام بالنسبة للخطة العربية ، ثم ما ترتيب هذه الأقسام فيما بينها .

وقد وضعنا التعريف التالي للقسم الرئيسي :

القسم الرئيسي من أقسام المعرفة هو مجال أو دراسة متمايزة عن غيرها ومتجانسة فيما بينها ، فتكون الدراسة متمايزة بحيث لا يدخل فيها غيرها ولا تختلط بأقسام أخرى ويكون محتواها متجانسا . وقد لا يكون هذا التعريف قاطعا وكافيا لكل أغراض تصنيف المعلومات ولكنه ربما كان يصلح على الأقل للطبقة الأولى من خطة التصنيف ويصلح أساسا لعزل الأقسام الرئيسية للمعرفة .

وقد قمنا بدراسة مقارنة لمفهوم القسم الرئيسي على المستوى الذهني وفي خطط التصنيف المختلفة . وقد خرجنا من الدراسة بقائمة للأقسام الرئيسية وأضفنا إليها الدراسات العربية والإسلامية الرئيسية كأقسام مستقلة[١] .

ترتيب الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف العربية والنظرية الإسلامية لتنظيم المعرفة :

بعد تحديد قائمة الأقسام الرئيسية فإن الخطوة التالية هي ترتيب هذه الأقسام . بمعنى تحديد تبلسل ترتب بمقتضاه الأقسام في القائمة . ولاشك أن هناك ترتيبا أفضل من ترتيب آخر . وقد كان من الضروري تعرف الجذور والتأثيرات الثقافية التي تخضع لها عملية ترتيب الأقسام الرئيسية . وإذا كنا قد بدأنا بالإسلام فقد كان من الضروري تكملة التسلسل من جهة واكتشاف الأساس العقلي والعلمي للعملية كلها . والبعض لا يهتم بهذه القضية ويرون

---

(١) انظر : الخطة العربية للتصنيف · الأسس والإطار العام : الفصل الثاني كله .

تطبيق نظام أجنبي ولا يجدون بأسا في أن تكون الفلسفة هي أول الأقسام في خطة تصنف بها المكتبات العربية[1] .

لقد وضعت منذ عشر سنوات تقريبا افتراضا سجلته في مقدمة كتاب مفتاح السعادة فقد كتبت في تلك المقدمة مبحثا عن التصنيف عند العرب ، وعددت الأسباب التي تدعونا لدراسة تاريخ التصنيف ، فكتبت في ذلك الحين :

« وفوق ذلك : فإن نظم تصنيف المعرفة تعد صورة للحياة العقلية لدى أصحابها وعند الأمة التي نشأت فيها وفي العصر الذي وضعت فيه ، هي مرآة تنعكس عليها الحياة العقلية وصورة للنظام التربوي عند هؤلاء الأقوام في العصور الثقافية المختلفة ، وهي صورة توضح المسار الذي سارت فيه حركة المعرفة منذ أقدم العصور حتى انتهت إلى عصرنا الحاضر ، وهي صورة لمجرى التفكير البشري في تاريخه الطويل »[2] .

وقد كان هذا الافتراض قد سجل في ذلك الوقت لمجرد تبرير دراسة أنظمة التصنيف التي أعدها العلماء والفلاسفة للمعرفة ومنها التصنيف الذي أعده صاحب مفتاح السعادة نفسه . ولم يكن يدور بظني في ذلك الوقت المبكر أن الافتراض خطير وصادق إلى درجة أنه يجب أن يكون أساسا لتنظيم المعرفة في خطة التصنيف ، فيدور هذا التنظيم مع الخلفيات الثقافية والفكرية لكل أمة ويكون أساسا لتصنيفها .

ومنذ ذلك الحين ، أخذت تتجمع عندي ، عن قصد أو غير قصد ، شواهد تؤكد صدق هذا الافتراض وسلامته . وقد تجمع لدي الكثير :

١ – التصنيف اليوناني للمعرفة ممثلا في تصنيف أرسطو ، جعل أقسام العلوم هي أقسام الفلسفة ، اذ كانت الفلسفة اليونانية هي علم العلوم ، وكل العلوم فروع لها .

٢ – التصانيف العربية اختلفت معالجتها باختلاف منحاها :

أ – تصانيف الفلاسفة : من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا واخوان الصفا وفيها يبدو واضحا تأثر الفلاسفة العرب بالتصنيف اليوناني الأرسطي .

– ابن سينا يسمي رسالة له : أقسام العلوم العقلية وتصنيفه فيها يشبه تماما تصنيف أرسطو .

– الفارابي في إحصاء العلوم يهتم اهتماما كبيرا بالعلوم الحكمية الفلسفية ، وحينما يضطر إلى الاعتراف ببعض العلوم الشرعية مثل علم الفقه وعلم الكلام

---

(١) كانت هذه النقطة بالذات مثار مناقشة بين الكاتب وبين أحد المكتبيين الأردنيين تعقيبا على محاضرة ألقاها في جمعية المكتبات الأردنية يوم ٥ مايو عام ١٩٧٦ .

(٢) مفتاح السعادة : جـ١ ، ص ٤٥ .

لا يفردها في قسم مستقل وإنما يجعلهما جزءا من الفلسفة العملية وهي القسم الثالث من أقسام الفلسفة عند أرسطو .

ب – تصانيف العلماء من أمثال الخوارزمي (صاحب مفاتيح العلوم) وابن خلدون ، تميز بين علوم العرب وعلوم العجم ، ولهذا فقد أعطت للعلوم العربية الأصيلة مكانها المناسب .

جـ – طاش كبري زادة يخصص للعلوم العربية الصرف أربع دوحات من سبع اشتمل عليها كتابه وتصنيفه وهي تشغل اكثر من مجلدين كاملين من بين ثلاثة مجلدات . وباقي المجلد الثالث (الاول في الترتيب) للعلوم الأجنبية .

وسوف نعود الى هذه النقطة فيما بعد ، ولكننا نخلص الآن إلى أن العلوم العربية الأصيلة قد جاءت على استحياء في تصانيف الفلاسفة وتاهت وسط علوم الفلسفة أو تجوهلت تماما ، ولكنها احتلت مكانها اللائق في التصانيف العربية الحقة ، بل ان كثيرا من الكتب لم تسجل إلا هذه العلوم فقط .

وما أشبه غربة العلوم العربية الإسلامية في أنظمة الفلاسفة بغربتها في التصانيف الغربية الحديثة وفي عالم اليوم وفي التعديلات التي تنحو منحاها !!

٣ – أثر تصنيف فرنسيس بيكون للمعرفة على التصانيف التالية لأنه كان مبشرا بالمنهج التجريبي الذي ساد العلوم الطبيعية في العصور التالية له . ولكل عصر من العصور سمته ونكهته وقد كان القرنان ١٧ ، ١٨ هما عصر العلوم الطبيعية ومن هنا تأثر التصانيف التالية ببيكون مثل ديوي وكتر وتصنيف مكتبة الكونجرس .

٤ – انتشر تصنيف الأحياء في القرنين ١٧ ، ١٨ لهذا السبب أيضا ، بل وأصبح تصنيف الأحياء هو النموذج المثالي في التصنيف لفترة معينة وقبل النظريات الحديثة .

٥ – النظريات الأولى في التصنيف ، والتي يمكن القول بأنها أصبحت الآن تقليدية أو قديمة كانت متأثرة بعصرها ومرتبطة به : النصف الثاني من القرن التاسع عشر : فريتشاردسون يتأثر بنظرية التطور ويزعم أن هناك نظاما للتطور يسود الأشياء الطبيعية ، ويؤسس نظرية للتصنيف تقوم على نظام التطور الذي كان يسود العلوم الطبيعية في ذلك الوقت ، فنظام التصنيف عنده يتبع نظام العلوم ، ونظام العلوم يتبع نظام التطور .

وسايرز ثم بليس يصوغان الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف مستمدة من قواعد التقسيم المنطقي التي تعكس الأصل الفلسفي للتصنيف .

وبليس يؤسس نظرية للتصنيف تقوم على عدد من المبادىء ، منها مبدأ التبعية : Subordination ، ومبدأ التدرج في التخصص Gradation in Specialty . والمبدأ الاخير يشبه مبدأ الاعتماد Dependence عند أوجست كونت ، أي اعتماد العلوم على بعضها وتدرجها في التخصص والاعتماد . وهو يشبه مبدأ تزايد التعقيد والخصوصية أي الانتقال من البسيط الى المعقد أو المتشابك .

٦ - أنظمة التصنيف الغربية تبدأ كلها بالفلسفة ، ولاشك ان هذا أثر من آثار الفلسفة اليونايىة القديمة التي تعد الحضاره الغربية الحديثة وريثة لها .

٧ - ترتبط العلوم الرياضية والعلم العام بالفلسفة عند بليس . وهذا أيضا من آثار ارتباطها القديم بالفلسفة عند اليونانيين .

٨ - تطور توزيع الأقسام الرئيسية في خطط التصنيف الحديثة على مجالات المعرفة متأثر بالعصر الذي وجدت فيه ، وهو يتفاوت تفاوتا بينا ما بين ديوي (أول خطة حديثة ظهرت الى الوجود ١٨٧٦) الذي كان يعكس حالة المعرفة في الربع الأخير من القرن ١٩ وبين آخر خطة ظهرت وهي ط ٧ من تصنيف الكولون لرانجاناثان .

كانت المعرفة في ديوي تؤكد على المجالات التقليدية للمعرفة وهي المجالات الاستاتية ، فأعطى لها ثمانية أقسام من عشرة ، وبقي للعلوم البحتة والتكنولوجيات ، وهي المجالات الدينامية ، قسمان فقط .

بل إن توزيع بعض الموضوعات في التكنولوجيات - كالهندسة مثلا - يعكس هذه النظرة ، فقد شغلت الهندسة المدنية مكانا كبيرا بالنسبة للهندسة الميكانيكية والكهربائية .

أما في ط ٧ من تصنيف الكولون فقد خصص معظم الأماكن للموضوعات الدينامية تعبيرا عن روح العصر ونكهته وهو عصر التكنولوجيا . كما اهتم بالموضوعات التي تظهر عن طريق الالتحام والاندماج ، بل لا نغالي إذا قلنا إن تصنيف الكولون جاء استجابة لحاجة المعرفة الحديثة وهي التي تنمو من خلال التركيب أو التخليق في العلم Synthesis ولذلك جاء التصنيف التحليلي التركيبي كحل لهذه المشكلة .

ولو أخذنا في الاعتبار نظريات فراداں في محاولة تطبيق المنهج الاستقرائي في التصنيف ومحاولات جماعة البحث في التصنيف تطبيق فكرة التحليل الوجهي على المعرفة ككل وجعلها وجهين رئيسيين : وجه الموجودات Entities ووجه الصفات Attributes ، لوجدنا أن التصنيف الذي بدأ فرعا من فروع الفلسفة عند طاش كبري زادة (فرع من العلم الإلهي) قد أصبح الآن علميا يدخل في تكوينه الجزئيات والجسيمات والاجزاء والأشياء والآلات أكثر من الأقسام والشعب والفروع .

٩ - التصنيف الهندي الوحيد (تصنيف الكولون) يعكس تأثره بأصله الهندي ، فهو الخطة الوحيدة التي أفردت قسما شبه شامل للتجربة الروحية والسحر ، كما أن الجزء الثالث من الكولون قد خصص لقوائم الكلاسيات الهندية والكتب المقدسة مع أسمائها الخاصة ، سواء في الطب أو التجربة الروحية والسحر أو الفنون الجميلة أو الأدب أو اللغة أو الدين أو الفلسفة الهندية ، وهذه تشكل جانبا كبيرا من الخطة .

١٠ - التصنيف السوفيتي يبدأ بالماركسية اللينينية باعتبار أنها أصبحت عندهم محل الدين ، ثم يصبغ ترتيبه لأقسام الخطة بعد دلك بالتفسر المادي للمعرفة .

١١ - هناك أمثلة كثيرة على اختلاف التصانيف عند الأمم المختلفة بسبب اختلاف الثقافة أو العقيدة ، بل عند الأمة الواحدة في فترات مختلفة من تاريخها وتفكيرها . ومن أمثلة ذلك أن الثورة الفرنسية قد أدت الى اعادة التفكير في كثير من جوانب الحياة في فرنسا ومن بينها عالم الكتب . ولما أنشيء المعهد الوطني للعلوم والآداب في ١٧٩٥ استتبع ذلك مناقشات خاصة بتصنيف مكتبة المعهد . وقد رأى كامي Camus ان الثورة الفرنسية قد أدت إلى تغيير المجتمع إلى مجتمع علماني Seculai بعد أن كان مسيحيا ، ولذلك عارض وضع المسيحية على رأس التصنيف وهي الطريقة التي كانت متبعة من قبل !!

وهكذا ، فلو مضينا نتتبع التصانيف عند الأمم المختلفة فسوف نجد أن لكل أمة ولكل عصر خصوصياته في التصنيف ، ومن يدري ماذا عند الأمة الصينية أو اليابانية وغيرهما . فالتصنيف تابع للمعرفة والفكر والحياة العقلية للأمة والعصر . ولكل عصر نكهته الخاصة .

الفلسفة الإسـلامية :

اذا صح أن التصنيف مرآة تنعكس عليها الحياة العقلية للأمة ، فإننا في محاولتنا وضع أساس علمي للتصنيف العربي ينبغي أن نتعرف على المناخ العقلي والفكري للأمة الإسلامية : بمعنى محاولة التعرف على الاتجاهات الفكرية عند المسلمين . وإن مايعبر عن هذه الاتجاهات بصدق هو دراسة الفلسفة الإسلامية ، فالفلسفة هي عقل الأمة . وإن موقف الباحثين من الفلسفة الإسلامية هو الذي يوضح هذه الاتجاهات .

ويمكن القول أن هناك أربع مدارس كبيرة في دراسة الفلسفة الإسلامية والنظر إليها :

١ - مدرسة تضم أغلب المستشرقين الأوربيين وعددا من التابعين لهم من الباحثين العرب . وترى هذه المدرسة أن الفلسفة الإسلامية تخلو من كل إبداع ، وأنها لم تأت بجديد ، وأنها هي الفلسفة اليونانية في ثوب عربي ، أي أنها مذاهب اليونان قد ترجمت إلى لغة

العرب ، وأن العرب قد قاموا بدور الناقل الأمين لهذه الفلسفة دون أن يضيفوا إليها شيئا . بل غالى بعضهم مدفوعين بتعصب ديني وحنسي إلى حد القول بأن العرب الذين انحدروا عن حنس سامي لا يستطيعون أن يبتكروا فلسفة جديدة ، وأن الدين الإسلامي الذي كان يعتنقه فلاسفة الإسلام يعوق حرية الفكر وطلاقة النظر(١) .

ويرى هؤلاء أن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا فلسفة الفلاسفة : الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ... ، الخ .، ممن عرفوا بفلاسفة الإسلام ، وحاولوا بمنهج مقارن أن يبينوا التطابق التام بين ما يسمى فلسفة اسلامية وفلسفة يونانية قديمة ، وأن يردوا الأولى إلى الثانية . أي أن أصحاب هذه المدرسة قد قصروا بحثهم في الفلسفة الإسلامية على طريقة يونان ولم يتعدوها(٢) .

٢ – المدرسة الثانية تنتصر لفلاسفة الإسلام هؤلاء ، ولكنها ترى أن فلسفتهم التي بدأت متابعة لفلسفة يونان لا تخلو من عناصر أصالة وابتكار أضافوا بها إلى رصيد الإنسانية من الفلسفة . وتنتصر هذه المدرسة للمذهب العقلي وتفضله على مناهج الأصوليين والمتكلمين . وترى أن فلاسفة الإسلام في محاولتهم التوفيق بين المعتقدات الدينية الإسلامية وبين فلسفة يونان كانوا أقرب إلى روح الإسلام من المتكلمين من أمثال الأشاعرة . ويمثل هذه المدرسة المرحوم الدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة الاسلامية بدار العلوم بالقاهرة .

٣ – المدرسة الثالثة ، وهي التي وضع أصولها المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق . وهو يرى أن الفلسفة الإسلامية الحقة تلتمس في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية . فلما أقبلت هذه الفلسفة أو مايسمونه بالفتنة اليونانية بدأ المسلمون يوفقون بين مالديهم من تفكير وحضارة دينية وبين هذه الفلسفة الدخيلة الطارئة . أي أن مصطفى عبدالرازق يرى أن الفلسفة الإسلامية لا تقتصر على فلاسفة الإسلام . بل تلتمس كذلك في كتابات المتكلمين وعلماء الأصول . والفضل الأول لهذه المدرسة هو أنها وجهت النظر إلى أصالة الفلسفة الإسلامية في العلوم الإسلامية الحقيقية : علم أصول الفقه وعلم الكلام ، أي أنها خطت خطوة كبيرة في سبيل التأصيل ووسعت مدار بحث الفلسفة الاسلامية الذي كان المستشرقون وأتباعهم من أصحاب التقليد يقصرونه على فلسفة المشائين المتابعين للفلسفة اليونانية ، فأصبحت الفلسفة الاسلامية تشمل علوما إسلامية حقيقية .

---

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة . الفصل الخاص بالفلسفة الإسلامية .

(٢) على سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ط٣ . حـ١ ، ص٢٠ .

٤ - المدرسة الرابعة ويمثلها علي سامي النشار ، وبينما يتفق النشار مع مصطفى عبدالرازق في ضرورة تلمس عبقرية المسلمين الفلسفية في كتابات الأصوليين ؛ علماء أصول الدين وأصول الفقه ، فهو يختلف معه بعد ذلك في اعتبار وجود فلسفة اسلامية أصيلة أيضا في كتابات فلاسفة الإسلام(١) .

ويرى النشار أن فلسفة فلاسفة الإسلام غير إسلامية ، مشائية في كلياتها وجزئياتها ، وأن الفلسفة في أية أمة انبعاث داخلي يعبر عن الروح الحضاري لهذه الأمة ، وليس من المعقول أن تتشابه الانبعاثات الداخلية العقلية لأمتين مختلفتين أشد الاختلاف جنسيا وعقليا ولغويا : هما الأمة الإسلامية والأمة اليونانية ، وأن فلسفة أمة من الأمم لا تخرج عن دائرة « السنة » التي تضمها هذه الأمة ومن خرج على هذه السنة لفظ حتما من دائرتها' ولم يعد يمثل فلسفيا سوى فكره الذاتي . وهذا ما حدث لفلاسفة الإسلام ، فما كان « تكفير » هؤلاء باسم الإسلام سوى ثورة فكرية للروح الفلسفية الأصيلة إزاء فلسفة دخيلة لم تنقدح في أعماق الشعب المسلم (٢) .

وقد أثبت النشار في كتاب أخر له (٣) أن العقل اليوناني يختلف تماما عن العقل العربي ، وأن المسلمين قد رفضوا رفضا قاطعا المنطق الأرسطي ، وأن لهم منطقا تجريبيا في علم أصول الفقه خاصة يعتمد على المنهج التجريبي الذي نسب خطأً الى فرنسيس بيكون ، بينما حضارة اليونان تعتمد على المنهج القياسي .

ويمكن عند هذا الحد أن نخلص إلى مايأتي :

١ - الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة من بين الحضارات جميعا التي ارتبطت بالدين وانبعثت عنه وانبنت عليه . بل إن هذه الحضارة مدينة للإسلام بكل شيء ، إذ لولا العقيدة الإسلامية لما كان للعرب أي شأن . وقد حدث هذا حينما ابتعدوا عن الدين فصاروا عزلا من أهم وأمضى أسلحتهم

٢ - إن الحركة العلمية عند المسلمين كانت حركة أصيلة . بدأت قبل بدء حركة الترجمة ، وكانت تستهدف فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فالأصل كتاب وسنة وما تفرع عنهما من أصول وفقه ، وما احتاجوا إليه للدفاع عن عقائدهم وهو علم الكلام أو أصول الدين . وقد احتاج فهم كتاب الله إلى علوم اللغة والأدب ، فنشأت هذه

---

(١)) مصطفى عبدالرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (مستندة في علي سامي النشار : نفس المصدر) .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ص ص ٦٤٢ - ٦٤٤ .

(٣) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .

أصلا لخدمة علوم الدين ولذلك الحقت بها ، وعلم التاريخ نشأ فرعا لعلم الحديث ، إذ بدأت نشأته بالسيرة النبوية وهي حديث ، كما أن منهج علماء الحديث قد ساد العلوم الأخرى من تفسير وقراءات وتاريخ (في عهده الأول) . ومنهج علم الحديث هو الرواية أو الإسناد ، ولذلك اهتموا بالراوي أو الناقل فنشأ علم الرجال .

٣ - المنهج النقلي السابق يعتمد على النصوص الثابتة . فلما كانت العقيدة الإسلامية غضة والإسلام وليدا والفطرة سليمة لم تحتاجوا إلى التعقل . ولما بدأت الأفكار الدخيلة في القرن الثاني تترجم وتتداول كان موقف الإسلام منها واضحا ويمثله موقف الإمام أحمد ابن حنبل من مسألة خلق القرآن . وظل المنهج النقلي هو الممثل للروح الإسلامية الحقة ، ورفض الفكر الإسلامي كل دخيل .

ولذلك فإن الفلاسفة المتابعين للفلسفة اليونانية لم يصدروا عن الإسلام ، ومن ثم فهم لا يمثلونه : هم تلاميذ في مدرسة يونان ، ومهما قيل عنهم ومهما نسب إليهم فهم لا يزيدون عن هذا الحجم . وما أشبههم بتلاميذ العصر الحديث المفتتنين بالأفكار الغربية الحديثة .

وقد ظل الفكر الإسلامي يرفض الآراء الدخيلة ، حتى ما اصطنعه المتكلمون من آراء عقلية لتأييد مذاهبهم . والأمثلة والشواهد كثيرة : موقف الإمام الشافعي من علم الكلام وذمه له ، موقف الامام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن ، قتل الحلاج بسيف الشرع ، تكفير ابن رشد واحراق كتبه ، فتوى ابن الصلاح بتحريم الاشتغال بالمنطق ، وهكذا وهكذا .

التصـنيف الإســلامي :

لقد كان هدفي من دراسة مدارس الفلسفة الإسلامية أن أوضح أن قضية التصنيف مرتبطة بالحياة العقلية ، والحياة العقلية لأمة انعكاس لفلسفتها ، والفلسفة الإسلامية نابعة من الإسلام أي من العلوم الإسلامية الحقة . وإذا كانت الفلسفة هي تجريد لحياة الفكر التي تحياها أمة من الأمم . فإن التصنيف تجريد التجريد ، أي هو تجريد للمعرفة في صورة رؤوس الموضوعات التي تعالجها تلك المعرفة . ومن ثم فإن إطار التصنيف وتنظيمه يجب أن يتبع إطار المعرفة وتنظيمها .

ليست القضية هي إذن مجرد ترتيب لعدد من الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف ، بل هي أعمق وأخطر من هذا بكثير ، هي تجريد للثقافة الإسلامية في صورة الموضوعات التي تهتم بها هذه الثقافة ، وإذن فلو اتخذنا أي ترتيب من الترتيبات التي اصطنعتها الخطط المختلفة فكأننا نقلنا صورة للحياة العقلية لأمة من الأمم وطبقناها على الحياة العقلية للأمة الاسلامية . وفي

هذه الحالة يجب أن تكون الأمتان متماثلتين ، فهل هذا ممكن ؟ وإذا كنا قد خلصنا منذ قليل إلى تميز الثقافة الإسلامية وارتباطها بالإسلام . فما أثر دلك على التصنيف ؟.

إذا نحن حاولنا بحث موضوع التصنيف الإسلامي فسوف نجد موقفا مشابها جدا لموقف الفلسفة الإسلامية ، وقد وقع الكثيرون أيضا في خطأ كبير وهو اعتقادهم بأن التصنيف عند المسلمين يشبه تماما التصنيف اليوناني متمثلا في أرسطو . وهؤلاء إما من المستشرقين أو ممن حذوا حذوهم أو تأثروا بهم عن قصد أو غير قصد . وقد وقع أحد الباحثين في خطأ من هذا القبيل في رسالة للدكتوراه(١) . ولهذا السبب ربطنا بين التصنيف وبين الفلسفة الإسلامية . وخاصة وأن أوائل من القوا في التصنيف من المسلمين كانوا من الفلاسفة .

ولسنا نريد أن نخوض في التفاصيل الدقيقة وانما نريد أن نخلص سريعا إلى ملامح التصنيف الإسلامي ، وقبل ذلك لابد من نبذة عن أنواع التصانيف عند المسلمين وارتباطها بالفلسفة الإسلامية . وأسجل هنا أن الموضوع لازال بحاجة إلى مزيد(٢) .

أولا : هناك التصانيف الفلسفية الصرف . مثل رسالة في أقسام العقلية لابن سينا ، وتصنيف الفارابي في كتابيه : التنبيه على سبيل السعادة ، واحصاء العلوم ، ثم الكندي . وهذه التصانيف تشبه تصنيف أرسطو وخاصة ابن سينا والفارابي في التنبيه على سبيل السعادة . والمعرفة هنا هي الفلسفة والعلوم أقسام للفلسفة . وقد أدخل الفارابي علمين من العلوم الإسلامية هما علم الفقه وعلم الكلام ضمن الفلسفة العملية .

وهؤلاء الذين يعتبرون أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة هؤلاء الفلاسفة يعتقدون في نفس الوقت أن تصنيفهم هو تراث العرب في الموضوع . ومن ثم لم يضيفوا شيئا إلى إسهام يونان .

ثانيا : هناك تصانيف علماء الدين مثل الغزالي في إحياء علوم الدين . فقد كتب الغزالي الباب الثاني : في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها . ولا يقصد الغزالي هنا إلى وضع تصنيف ولكن يمكن استشفاف نظرته إلى العلوم . وفي هذا الباب تحليل طيب يوضح وجهة نظر علماء الدين في العلوم المذمومة والممدوحة وما يجب تعلمه ومالا يجب .

---

(١) انظر تفاصيل المسألة في بحثنا : الخطة العربية للتصنيف . الأسس والإطار العام . ص ص ٥٤ - ٥٦ .

(٢) انظر التفاصيل في المصدر السابق ص ص ٥٦ - ٧٠ . ولازال التصنيف الإسلامي بحاجة إلى مزيد من التعميق .

وقد كان لهذا تأثير في كتب اخرى تالية فوجدنا السيوطي يؤلف كتابيه النقاية والدراية ويقصرهما على العلوم الشرعية بالمعنى الواسع ومعها الطب ، كما أن كثيرا من المؤلفات في مباديء العلوم تقتصر على عدد أقل منها فهي تقتصر على أحد عشر علما فقط [١] .

ويمكن أن نخلص إلى أن الغزالي يجعل العلوم قسمين كبيرين :

١ - العلوم الشرعية وهي علوم الدين ، ويلحق بها العلوم اللغوية لاحتياج العلوم الدينية إليها ، وبعض هذه العلوم فرض عين ، وبعضها الآخر محمود . وهذه هي العلوم العربية الأصيلة .

٢ - العلوم غير الشرعية ، وهي علوم الفلسفة ، وبعضها مباح أو محمود مثل الحساب والهندسة والطب والفلاحة والحجامة والحياكة والسياسة .

فالطب ضروري لبقاء الأبدان ، والحساب ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها . وأصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات : كالفلاحة والحياكة ، بل الحجامة . وماعدا هذه العلوم فهو مذموم ومحرم .

ثالثا : هناك تصانيف العلماء الذين لم يكونوا أصلا من علماء الدين بالمعنى الضيق . ونخص منهم هنا الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب) وابن خلدون .

أما الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) فقد ألف كتابه مفاتيح العلوم ، وجعله قائمة تضم المصطلحات الدائرة في الاستعمال لذلك العهد وأعطى تعريفاتها . وقد قسم العلوم قسمين كبيرين :

أحدهما لعلوم العرب أو العلوم الشرعية أو العلوم العربية .

والثاني لعلوم العجم أو العلوم الدخيلة أو العلوم الفلسفية .

وهو أول من يتوصل إلى هذه القسمة فيما نعلم (الغزالي جاء بعده بما يزيد عن قرن حيث توفى ٥٠٥ هـ) . وهذه تعد بداية الفكرة العربية في التصنيف ، وهي التي جاءت واضحة فيما بعد عند الغزالي ، ثم أوضح عند ابن خلدون في القرن الثامن .

يقسم ابن خلدون في مقدمته العلوم قسمين :

العلوم النقلية : وهي تضم العلوم الدينية واللغوية .

العلوم العقلية : وهي تضم علوم الفلسفة .

---

(١) انظر للتفاصيل : المصدر السابق .

وقد فرق ابن خلدون بينهما على أساس المنهج كذلك ، فالأولى تعتمد على النقل عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول . والثانية تعتمد على العقل .

وقد خطا ابن خلدون خطوة أخرى في سبيل الوضوح ، وهي أنه يذكر أن العلوم الإسلامية النقلية مختصة بالملة الإسلامية ، وأن كل أمة لها مثل ذلك . وهذا يشير الى تقسيم سنعود إليه بعد قليل .

رابعا : تصنيف الببليوجرافيين . ونخص منهم هنا ابن النديم في الفهرست وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ، وكتاباهما في الحقيقة موسوعيان يضمان كل المعارف في عصريهما . ومع أن التركيز عندهما واضح على العلوم الشرعية إلا أنهما في الترتيب النهائي لم يلتزما النسق الإسلامي . وربما كانا متأثرين إلى حد كبير بالفارابي من حيث المعتقد [١] .

النظرية الإسلامية لتنظيم المعرفة :

يمكن أن نحدد فيما يلي أهم ملامح النظرية الإسلامية لتنظيم المعرفة . والتي ينبني عليها ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية :

أولا : التصنيف تجريد لفكر الأمة في صورة الموضوعات التي تهتم بها وتنبع من ثقافتها ، ومن ثم فيجب أن يخضع تسجيل هذه الموضوعات وترتيبها لفكر الأمة .

ثانيا : أن فكر الأمة العربية الإسلامية ينبع من ارتباطها بالإسلام كعقيدة وسلوك ومنهاج متكامل للحياة من جميع زواياها . وعلى ذلك فان هذا يجب أن ينعكس في ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية .

ثالثا : ليست القضية إذن مجرد عدد من الأقسام الرئيسية يختلف ترتيبها في الخطط الأجنبية ، وإنما هي قضية أساسية لأنها تعبر عن تميز الفكر الإسلامي عن الأفكار الأخرى . وقد رأينا أن كل أمة تفضل أن يكون ترتيب الأقسام عندها انعكاسا لفكرها . وهذا من حق كل أمة ، وليس فيه من بأس ، ولكن الخطأ هو تطبيق ترتيب وضع لثقافة مختلفة عن ثقافتنا دون وعي أو تبصر ودون دراسة لأصول ثقافتنا العربية الإسلامية . وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أصحاب تعديلات عديدة .

رابعا : التقسيم الإسلامي للعلوم ، وهو يتمثل بصورة واضحة في تصنيف الخوارزمي والغزالي وابن خلدون يمكن أن يكون أساسا نستهدي به في عملية الترتيب ، وهو تقسيم مفيد يجد له سندا من العلم والعقل واستقراء الأمور .

---

(١) انظر المصدر السابق ، وانظر أيضا : مقدمة مفتاح السعادة .

خامسا : يمكن أن نحدد أهم خصائص هذا التصنيف فيما يأتي :

١ - أنه يقدم العلوم العربية الأصيلة ، وبهذا يربط خطة التصنيف العربية بالفكر الإسلامي الأصيل ، فتبدأ بعلوم الدين الإسلامي ، وقد ذكرنا من قبل أن الإسلام يجب أن يسبق العلوم الأخرى .

٢ - أنه يربط العلوم اللغوية بالعلوم الدينية . والحقيقة أن علوم اللسان العربي من لغة وصرف ونحو وبلاغة ، الخ . مرتبطة بالدين في التراث العربي ، وذلك لأسباب لعل أهمها :

(أ) أن هذه العلوم مقدمات أو آلات لدراسة العلوم الدينية من قراءات وتفسير وأصول فقه خاصة ، وهذا ينصب أثره على الفقه أيضا ، اذ هو المصب الذي تصب فيه الدراسات الدينية جميعا . فعلوم الدين متوقفة في فهمها على علوم اللغة ، وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يفسر القرآن بالشعر العربي . لذلك لا عجب اذا وجدنا هذه العلوم تنشأ معا وتنفق سوقها في القرن الثاني الهجري ويظهر فيها عدد كبير من العلماء البارزين .

(ب) واذا كانت علوم الدين تستفيد من علوم اللسان ، فان الأخيرة تستفيد بنفس الدرجة وربما أكثر ، فهناك ما يسمى بتبادل الاعتماد بينهما . فالقرآن الكريم هو المصدر الأول والأصلي لجامعي اللغة العربية ، وألفاظه الكريمة وتراكيبه اللغوية كانت معينا لاينضب للغويين والنحويين ، وأساليبه التي جاءت في أعلى الذروة من البلاغة كانت ملاذ البلاغيين ... وهكذا ..

(جـ) لذلك لا عجب وجدنا مباحث من علوم اللغة وعلوم الدين مشتركة معا . فعلوم القرآن تضم كثيرا من المباحث التي تعد في الأصل لغوية أو بلاغية ولكنها ضرورية لتتميم الدراسات القرآنية ، وعلم دراية الحديث يضم كذلك مباحث لغوية . وعلم أصول الفقه نصفه مباحث لغوية .

وهناك أيضا دراسات كثيرة تنصب على تأثر اللغة العربية وعلومها بعلوم القرآن : مثل تأثير القراءات في الدراسات النحوية ، وتأثير القرآن في الدراسات البلاغية .

٣ - لذلك فإن من الضروري والمفيد أن ترتب علوم اللسان بعد علوم الدين .

٤ - العلوم الإسلامية العربية هي التي تعبر عن شخصية الأمة وخصوصياتها ، وهي كذلك عند كل أمة من الأمم ، ولذلك كانت هذه الشعبة من العلوم مثار المشكلات في أنظمة التصنيف الأجنبية ، ليس عندنا فقط ولكن عند الأمم الأخرى كذلك . أما العلوم العقلية بالمعنى الواسع فإن منهجها واحد لأنها تتناول حقائق ونظريات واحدة ،

والاجتهاد أو إعمال الفكر فيها يمكن أن يؤدي الى نفس النتائج مهما تعددت الأماكن والأزمان . هي تتناول حقائق كونية أو بدنية أو مادية لا تتقيد بتغير الأزمان والأماكن ، وانما الذي يتغير هو مدى ما نكتشفه منها ، وهو يتوقف بدوره على مدى معرفتنا وامتلاكنا لأسبابها من أجهزة علمية وإمكانيات مادية ، الخ . ، فالتفاوت هو في قدر معرفتنا بها وليس في حقائقها أو مظاهرها .

٥ – ولذلك فإن هذه العلوم لم تكن مصدرا للشكوى والمتاعب ، وحينما لجأ بعض العرب إلى ترجمة موجز ديوي ، ترجموا دون تعديل الأقسام المتصلة بالعلوم والتكنولوجيات .

٦ – لا يتجاهل التصنيف الإسلامي للمعرفة العلوم العقلية ، وإنما تدخل ضمن تقاسيمه ، فقد أفرد لها كل من الخوارزمي وابن خلدون شعبة مستقلة ، كذلك عالجها ابن النديم وطاش كبرى زادة . أما الغزالي فقد جعل بعضها كالطب والحساب من فروض الكفايات ، بل قدم تعلم الحساب على تعلم دقائق المسائل الفقهية إذا كان البلد يخلو ممن يجيدون الحساب .

٧ – ولذلك فيجب ألا يفهم من مناقشتنا عن موقف المجتمع الإسلامي من الفلسفة والمذاهب الدخيلة أننا ندعو إلى نبذ العلم ، فهذا لم يخطر ببالنا ، ولكننا كنا نريد أن نوضح أن الأولوية يجب أن تكون لعلوم الدين وما يرتبط بها . أما ترك المفيد من العلوم فهو مالم نقصد إليه . ومن البديهي أن العلوم سيكون لها مكان في خطة التصنيف .

٨ – أن تصنيف العلوم العقلية يمكن الاستفادة فيه من أي تصنيف آخر لأن هذه العلوم لا وطن لها وليست ملكا خاصا لأي أحد ، أما العلوم النقلية فينبغي أن تعد تصانيفها بالرجوع إلى إنتاج علمائها وتعرف طريقتهم في تسجيلها وتقسيمها وترتيبها . وهذا ما حدث بالفعل عند إعداد « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » .

سادسا : إذا كانت هناك علوم محلية هي العلوم النقلية – ومعها الجغرافيا والتاريخ ، وإذا كانت هناك علوم لا محلية هي العلوم والتكنولوجيات ، فان هناك طائفة أخرى من العلوم تقع بين هاتين الطائفتين وتضم بقية العلوم الاجتماعية والإنسانيات . وهي علوم ذات طابع محلي ولكنها تستفيد في حقائقها من منجزات الآخرين كذلك . فالسياسة والاقتصاد والإدارة والاجتماع تتسم بثنائية تجمع بين المحلية واللامحلية ، ويمكن أن نطلق عليها : العلوم شبه المحلية .

سابعا : الإطار العام الذي سوف ترتب تفاصيل الأقسام وفقا له هو إذن :

- العلوم المحلية وتشمل علوم الدين واللغة والجغرافيا والتاريخ .
- العلوم شبه المحلية وتشمل بقية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية .

– العلوم اللامحلية وتشمل العلوم والتكنولوجيات .

ثامنا : العلوم المحلية ذات طبيعة وطابع محلي في الترتيب تماما . والأخيرة يمكن أن يستفاد في ترتيبها من أية نظرية أو نظام . وشبه المحلية يمكن أيضا أن تكون ثنائية الطبيعة والطابع فيستفاد في تنظيمها من النظريات والأنظمة المحلية والأجنبية على السواء .

تاسعا : هذه الخطوط الرئيسية يمكن أن تكون أساسا لترتيب أية خطة تصنيف ، وإذا ما طبقت فلن تكون هناك أية مشكلات في ترتيب الأنظمة ، لأن الشكوى كانت دائما من العلوم المحلية وشبه المحلية . ويمكن لأية أمة أن تقدم في الترتيب علومها المحلية وشبه المحلية مكان علومنا .

عاشرا : لم توجد خطة ولا يمكن أن توجد خطة تستطيع أن تحقق العالمية ، لأن هناك خصوصيات يجب أن نعترف بها في التصنيف : فلا يمكن أن توجد نظرية لترتيب الموضوعات ترضي كل الثقافات والعقائد : الغربية بفلسفتها ودياناتها المسيحية وآدابها ولغتها وتاريخها وجغرافيتها ، الخ .. والإسلامية بدينها ولغتها وأدبها ، الخ .. إن معنى هذا هو أن تعالج هذه الخطة العالمية المزعومة المحليات بنفس الدرجة من الكفاية والتفصيل وأن تقدم الفئات المفضلة في كل الثقافات وهذا مستحيل .

حادي عشر : بعد المحليات والفئات المفضلة تأتي أفكار التقارب الموضوعي المكاني أو الثقافي . فاللغات الإسلامية مثلا أقرب إلى اللغة العربية وكذلك اللغات السامية الأخرى . والديانات السماوية أقرب من الديانات غير السماوية ، وهكذا . أي بعد تحديد الفئة الأولى وهي الاسلام والعربية ، الخ . ، تحدد الفئة الثانية في كل موضوع من الموضوعات ثم الثالثة ، وهكذا .

ثاني عشر : هناك موضوعات ضمن اللامحلية ، ولكن قد يكون للمحليات فيها بعض الظلال ، مثل تواريخ العلوم ، خصوصيات في الأمراض (في الطب) في المؤسسات العلمية .. الخ .، وهذه يمكن أن تراعى عند إعداد التفاصيل .

وقد قمنا بترتيب موجز الخطة العربية للتصنيف وفق الخطوط العامة السابقة ، ولا داعي للاطالة بذكر تفاصيل الترتيب ، أو بإيراد موجز الخطة كاملا ، وإنما سوف أعطي فقط موضوعات الشعبة الأولى من العلوم وهي العلوم المحلية مرتبة فيما بينها دون تعرض للتفاصيل .

علوم الدين الإسلامي
الإسلام عامة
علوم القرآن

وهذا هو ذات الترتيب الذي جاءت عليه في « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين

علوم الحديث
علـم أصول الفقه
علم الفقه
علم الكلام أو التوحيد أو العقائد أو أصول الدين
الفرق
التصوف
الإحياء والإصلاح الديني

الإسلامي » وقد ناقشنا أساسياته في مكانها .

فلسفات المسلمين

الفلسفة الإسلامية (المستمدة من الإسلام)
فلسفة الإسلاميين (مكان بديل في تاريخ الفلسفة – وهي الفلسفة المتأثرة بالفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات ، تشمل الفلسفة الحديثة).

الدين والفلسفة

(يشمل الديانات المقارنة)

الديانات الأخرى

اليهودية
المسيحية
الديانات غير السماوية

علوم اللسان العربي

الأدب العربي

تفصل

اللغة العربية

اللغات والآداب الأخرى

اللغات

تفصل

الآداب

الجغرافيا والتاريخ

الجغرافيا (تشمل الجغرافيا العامة والسياسية فقط . فروع الجغرافيا الأخرى في العلوم البحتة) .

السياسة
جغرافية الوطن العربي
جغرافية البلاد المختلفة

التاريخ

علم التاريخ والتاريخ العام (يشمل تاريخ العالم وتاريخ الحضارة الإنسانية)
المصادر التاريخية
التاريخ الاقتصادي
تاريخ الوطن العربي
تاريخ البلاد المختلفة

ملحوظة عن المصادر :

مصادر هذه الدراسة كثيرة جدا ومتنوعة لدرجة لا يمكن معها تسجيلها ، فهي تشمل مصادر في التصنيف وهي كثيرة ، ومصادر في الفلسفة الإسلامية ، ومصادر في موسوعات العلوم العربية ، ومصادر في تاريخ العلوم . ولذلك فسوف أكتفى بتسجيل الوثائق الأساسية التي تمت في الخطة العربية للتصنيف ، وبعض المصادر القليلة التي ترجمت إلى العربية حتى إذا أريدت المتابعة أمكن ذلك . هذا علما بأن المصادر التي تلي بعد تضم في نهاياتها ببليوجرافيات متنوعة تفي بالغرض .

١ - عبدالوهاب عبدالسلام أبوالنور . تجريب الخطة العربية للتصنيف ؛ علوم الدين الإسلامي . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥ . وثيقة رقم ٤/١/٦/٤ تنفيذا لتوصيات مؤتمر الإعداد الببليوجرافي الأول (الرياض : ٢٤ نوفمبر/ تشرين ثان - ١ ديسمبر/كانون أول ١٩٧٣) . ٦٧ ص . طبعة خاصة . عرض على مؤتمر الإعداد الببليوجرافي الثاني في بغداد في شهر أكتوبر ١٩٧٧ .

٢ - ـــ. التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي ؛ دراسة في منهج إعداد أنظمة التصنيف مع تطبيقه في إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامي . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ . ٦١٤ ص .

٣ - ـــ . التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات . القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧ .

٤ - ـــ . التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٤ . وثيقة رقم ٤/١/٧/٣ تنفيذا لتوصيات مؤتمر الإعداد الببليوجرافي الأول بالرياض (انظر رقم ١) ٨٦ ص . طبعة خاصة .

٥ - ـــ. الخطة العربية للتصنيف ؛ الأسس والإطار العام . القاهرة : المنظمة العربية للتربية والتقافة والعلوم ، ١٩٧٧ .

٧ - ـــ . الخطة العربية للتصنيف والببليوجرافيا الموضوعية العربية ودورهما في خدمة التراث العربي . مكتبة الادارة (الرياض) ، س ٤ ، ع ٣ ، صفر ١٣٩٦ هـ /فبراير ١٩٧٦ م . ص ص ٥-٣٨ .

٨ - ـــ . دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف . رسالة الماجستير . كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ . ٣٠٠ ص .

٩ - ـــ . مقترحات لجمع وخدمة التراث العربي . الثقافة العربية ، ع ٤ ، ١٩٧٦ . ص ص ١٩٦ - ٢٣٤ .

١٠ ـــ . نظم التصنيف في الوطن العربي ؛ المشكلات والحلول المقترحة . في : قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الاعداد الببليوجرافي للكتاب العربي ، الرياض ، وزارة المعارف ، ١٩٧٣ . ص ص ١٥١ ه ٢٤٧ .

تحقيقات :

١١ طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبوالنور . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ٤ مج . ويلاحظ أن المقدمة تحوي معلومات عن التصنيف عند العرب : جـ ١ ، ص ص ٤٣ - ٧٦ .

ترجمات :

١٢ شيرا ، جيس وايجان ، مرجريت . الفهرس المصنف ، أسسه وتطبيقاته . ترجمة عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . جدة : دار عكاظ ، ١٩٨٣ .

١٣ - فوسكت ، أ . س . تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق . ترجمة عبدالوهاب عبدالسلام أبوالنور . الرياض : دار العلوم ، ١٩٨٠ . ٢ مج .

١٤ ملز ، ج . نظم التصنيف الحديثة في المكتبات : أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية ترجمة عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . مكتبة غريب ، ١٩٨٢ .

أعمال ببليوجرافية :

١٥ عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور (محرر) الببليوجرافيا الموضوعية العربية : علوم الدين الإسلامي . القاهره ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٦ ١٩٧٨ ٧ مج .

التصنيف الببليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى .

مجلة الثقافة العربية (القاهرة) العدد الأول ، يناير ١٩٧٣

يجتاز علم المكتبات في عالمنا العربي مرحلة هامة من مراحل تطوره ، فلا يزال بعد علما وليدا لم يتجاوز مرحلة النشأة . وبصرف النظر عما كان للأمة العربية من ماض حضاري علمي تعددت جوانبه ، فإن هناك علوما كثيرة تعد بالمفهوم الحديث الذي نعرفها به الآن علوما أجنبية نمت وتطورت في الخارج . ومن هذه العلوم علم المكتبات . ولقد تطور هذه العلم في الدول المتقدمة تطورا كبيرا سواء على المستوى الأكاديمي أو على مستوى الممارسة ، ولقد وصل في تلك الدول إلى آفاق واسعة بحيث دخل الآن عصر الآلية سواء في اختزان المعلومات أو في استرجاعها أو في وسائل وتقنيات التوثيق الحديثة .

ومن حيث النظم الفنية والأدوات الببليوجرافية تنوعت هذه النظم وتقدمت تقدما عظيما . أما من حيث الإنتاج الفكري ، فهو إنتاج ضخم من كتب وأبحاث ومجلات بحيث يمكن القول أن من العسير الآن على الباحث أن يلاحق ما يصدر كل يوم . هذا بينما لا تزال مكتباتنا متخلفة عن مكتبات الدول المتقدمة في جميع المجالات . فإن عددا قليلا منها هو الذى يتبع الأساليب الحديثة في التنظيم ، في حين أن الغالبية منها لاتزال تتبع أساليب بدائية أولا تنظم مجموعاتها على الإطلاق . ولا تزال تنقصنا الأدوات والخدمات الببليوجرافية الفعالة ولا تزال مكتبة علم المكتبات العربية فقيرة لا تشتمل إلا على عدد محدود من المؤلفات والترجمات .

وهذا يفرض على العاملين في المكتبات العربية بصفة عامة وعلى علماء المكتبات بصفة خاصة تحديا يجب عليهم أن يواجهوه لكي يصلوا بحقلهم إلى المستوى اللائق ، ولكى تسهم المكتبات ومراكز التوثيق إسهاما حقيقيا في دفع عجلة التقدم العلمي والتكنولوجي التي تحتاجها مجتمعاتنا ، والتي عليها ان تسرع في هذه التقدم ما وسعها الجهد حتى لا يفوتها هذا العصر كما فاتها من قبل عصور أخرى . ولا يتسع المجال هنا لوضع وتفصيل برنامج شامل للعمل والبحث يوصلنا في النهاية إلى التقدم المنشود ، وإنما اقتصر فقط على بعض رؤوس المسائل ، فإن التحدي الحقيقي أمام علماء المكتبات العرب يتمثل في :

١ - دراسة حقائق هذا العلم التي نمت وتطورت في الخارج : كتبا ومجلات وأبحاثا ، ونقل أهم ما يحويه هذا التراث الفكري إلى العربية سواء بالترجمة أو التأليف حتى تكون لنا مكتبة عربية في علم المكتبات ، ويدخل في هذا العمل ضرورة تعريب وتوحيد المصطلحات حتى يكون لعلمنا لغة مشتركة

يمكن فهمها وتداولها بقدر كبير من الوضوح ، أي أنه من الضروري تكوين قاموس عربي لعلم المكتبات .

٢ - بحث المشكلات التي تواجه المكتبة العربية خاصة ، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها ، وبهذا يكون لدينا فكر عربي في علم المكتبات وننتقل إلى مرحلة التأصيل والابتكار . وحينئذ فقط يمكن لعلماء المكتبات العرب أن يسهموا في التراث العلمي لموضوعهم على المستوى العالمي ، وأن يشاركوا في تطوير هذا العلم .

ويأتي في مقدمة المشكلات التي تواجه المكتبة العربية توفير الأدوات اللازمة لممارسة العمل المكتبي وفي مقدمتها قواعد الفهرسة الوصفية وخطة التصنيف وقائمة رؤوس الموضوعات . فهذه الأدوات لا يمكن للمكتبة العربية أن تعمل وأن تنظم مجموعاتها بدونها . كما أنه من البديهي أن الخدمات الببليوجرافية والتوثيقية وغيرها من جوانب العمل المكتبي تعتمد على وجود هذه الأدوات الأساسية . ولذا فإن البحث عن حلول لإنشاء وتقنين هذه الأدوات ينبغي أن يسبق البحث في أي ميدان آخر . ومن الطبيعي إذان أن حظيت هذه الأدوات بقدر كبير من الاهتمام سواء في الأبحاث الجامعية أو في المقالات التي تنشر في المجلات أو في مناقشات الحلقات والمؤتمرات التي تعقد في نطاق اليونسكو أو الجامعة العربية . كما اتجهت المؤلفات والترجمات اتجاها مشابها لذلك : فنجد أن أهم الكتب التي ترجمت أو ألفت تعالج هذه الموضوعات .

الخطة العربية للتصنيف :

وربما كان السؤال الأول على لسان العاملين في المكتبات العربية اليوم هو : بماذا نصنف ؟

وحتى الآن لانجد إجابة شافية عن هذا السؤال ، فخطط التصنيف العامة المتعددة التي أنتجت في الخارج لاتصلح بوضعها الراهن للمكتبة العربية ، كما أن التعديلات العربية لخطة ديوي لا تكفي أيضا لتصنيف المجموعات العربية . وإن خطة التصنيف أساسية جدا بالنسبة للعمل المكتبي ، ذلك لأن التصنيف يعني بالمحتوى الفكري للكتب والمواد الأخرى ، وهذا المحتوى هو الذى من أجله تقتني هذه المواد ومن أجله أنشئت المكتبات ، ومن أجله أيضا نشأ علم المكتبات ، ثم إن خطة التصنيف هي أساس قائمة رؤوس الموضوعات وأساس خدمات التكشيف لأن خطة التصنيف هي التي ترسم خريطة شاملة للمعرفة سواء بصفة عامة أو في مجال معين ، وتحدد علاقات هذه المعرفة بعضها بالبعض الآخر ، وهذا عمل أساسي في أي مدخل موضوعي للمعلومات وليس في التصنيف فحسب .

وإن الرأي الذي يعتقده الكاتب والذي عبر عنه في بحث سابق له[1] أن الأفضل هو إعداد خطة تصنيف عربية تقوم على أسس انتقائية « تمثل أفضل ما توصل إليه العمل في نظرية التصنيف . وعلى هذا فقد حدد الكاتب ثلاث مراحل لإنشاء الخطة العربية للتصنيف :

١ – دراسة النظم المختلفة دراسة مقارنة ، ودراسة الجهود العربية في مجال التصنيف العشري لديوي ، ثم دراسة أسس التصنيف ومبادئه كما تمثلها نظرية التصنيف أو علم بناء الخطط وذلك حتى يمكن الخروج بأفضل الأسس لإنشاء خطة عربية للتصنيف .

٢ – إعداد عدد من التصانيف لعدد من الموضوعات الخاصة بالأمة العربية والإسلامية لكي تكون أجزاء في خطة التصنيف العربية . ذلك أن خطة التصنيف تشتمل على صنفين من الموضوعات :

أ – صنف عام تشترك فيه الأمة مع غيرها وهي العلوم البحتة والتكنولوجيات وهذه لا وطن لها .

ب – وصنف خاص بكل أمة تتميز به عن غيرها من الأمم وتظهر فيها ذاتيتها وهي علوم الدين وعلوم اللسان .

. وقد أدرك أجدادنا هذه التفرقة منذ أيام الخوارزمي الذي ميز في كتابه : مفاتيح العلوم بين علوم العرب وعلوم العجم وجعل كلا في مقالة . وقد نقل عنه هذا التقسيم الثنائي للمعرفة كثيرون جاءوا بعده . فالعلوم عندهم قسمان : العلوم الشرعية أو العربية والعلوم الأجنبية أو الدخيلة أو الأعجمية . وقد سمي ابن خلدون القسم الأول : العلوم النقلية . والثاني : العلوم العقلية . وهذه التفرقة لاتزال صادقة إلى الآن . وإن العلوم التي تحتاج إلى تصانيف جديدة هي : علوم الدين الإسلامي ، علوم اللغة العربية ، الأدب العربي ، الفلسفة الإسلامية ، التاريخ العربي والإسلامي ، جغرافية البلاد العربية والإسلامية . ثم أجزاء من القانون والاقتصاد والسياسة والتربية والإدارة العامة والفولكلور . وهذه الموضوعات هي التي لا توفر لها بكفاية خطط التصنيف الحالية جميعا . وأن تصانيف هذه العلوم سوف تعد بطبيعة الحال على الأسس المختارة في (١) .

٣ – استكمال تصنيف بقية موضوعات الخطة على نفس الأسس . وربما كانت هذه المرحلة أسهل من سابقتها . ذلك لأنه بعد أن تتضح الأسس فإن المشكلة سوف تكون مشكلة ترجمة مصطلحات وتركيب لموضوعات موجودة بالفعل . وهو عمل المتخصصين في

---

(١) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف . رسالة الماجستير . كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ .

الموضوعات المختلفة بالتعاون مع علماء التصنيف وليس معنى هذا أن مشكلات إعداد الخطة العربية العامة قد حلت وأن هذه الخطه على الأبواب فإن هذا عمل شاق يحتاج إلى تكاتف مجموعات من العلماء وإلى جهود وإمكانيات بشرية ومادية ضخمة . ويمكن أن يتجلى في هذا العمل العلمي الهام التعاون العلمي العربي .

ولسوف أعني في هذه الصفحات فقط بعمل محدد هو محاولة تطبيق منهج إعداد خطط التصنيف على علوم الدين الإسلامي كنموذج لما يمكن أن يجرى على أساسه العمل في الموضوعات الأخرى . أي هي محاولة لتطبيق منهج معين في إعداد قوائم التصنيف على حقل موضوعي متمايز ومتجانس هو الدين الإسلامي . ومما يجدر ذكره أن إعداد القوائم يمكن أن يطبق على أي موضوع آخر بعد أن يؤخذ في الاعتبار طبيعة كل موضوع .

ويتضح من دراسة علم بناء خطط التصنيف أن هناك منهجين لأعداد الخطط :

أولاً – المنهج التقليدي الذي اتبعه أصحاب خطط التصنيف العامة الحاضرة : مثل التصنيف العشري لديوى أو تصنيف مكتبة الكونجرس أو التصنيف الببليوجرافي لبليس . ووفقا لهذا المنهج يحصر عالم التصنيف أو يحاول أن يحصر كل موضوعات المعرفة البشرية . وهو يبدأ بتقسيم عالم المعرفة إلى عدد من المجالات أو الموضوعات الرئيسية المتجانسة تسمى الأقسام الرئيسية . ثم يأخذ كل واحد منها على حدة ويقسمه إلى شعبه ثم الشعب إلى فروع ثم الفروع إلى أجزاء والأجزاء إلى مباحث حتى يصل إلى أقصى غايته من التقسيم . وفي عملية التقسيم هذه يسير وفق قواعد التقسيم المنطقي ويحاول أن يراعى بقدر الإمكان قوانين التصنيف : قوانين التسلسل ، قوانين المصطلحات ، الخ ،، والتي وضعها علماء التصنيف التقليدي ابتداء من ريشارد سون ، ثم سايرز وانتهاء ببليس . وأخيرا يصل عالم التصنيف إلى قائمة تشمل المعرفة جميعا وتنتقل من العام إلى الخاص في سلسلة متتابعة الحلقات . ويعرف هذا النوع من الخطط بتصانيف شجرة المعرفة . وفيها يأتي الموضوع متبوعا ومسبوقا بالموضوعات ذات الصلة الوثيقة به . والعلاقة بين الموضوع والموضوع الذي يليه في المرتبة هي نفسها علاقة الجنس – النوع في شجرة فور فوريوس .

تأتي بعد ذلك مرحلة إضافة الرمز إلى الموضوعات حسب قواعد بعينها . ويكون الناتج النهائي أرقام تصنيف جاهزة للموضوعات المركبة التي تشتمل عليها خطة التصنيف .

ثانيا – المنهج الثاني يسير على الخطوط التي أصلها عالم التصنيف الهندي د. رانجاناثان وطورتها فيما بعد مدرسته الهندية وجماعة البحث في التصنيف في لندن . وهو المنهج التحليلي التركيبي . وهنا لا يحاول عالم التصنيف أن يحصر الموضوعات المركبة ، بل يحصر فقط ويسجل العناصر التي تتألف منها هذه الموضوعات . فهو يبدأ باختيار الحقل الذي يجرى

تصنيفه ثم يحاول التعرف على خصائص التقسيم المؤثرة في هذا الحقل وهي تسمى أوجها . ثم يطبق كل خاصية على حدة مسجلا تحت كل وجه المفردات التي تندرج تحت هذا الوجه وتسمى البؤرات (وبؤراتها الفرعية) ثم يرتب الأوجه فيما بينها والبؤرات تحت كل وجه ترتيبا مفيدا ويسجلها في قوائم التصنيف التي تصبح قابلة لإضافة الرمز إليها .

والناتج هنا عناصر أو بؤرات يحمل كل منها رقما . فإذا أراد المصنف أن يحدد أرقام التصنيف فانه لن يجد أرقاما جاهزة للموضوعات المركبة وإنما سوف يلجأ أولا إلى تحليل موضوع الكتاب أو الوثيقة إلى العناصر التي يتألف منها ثم يحدد رقم التصنيف لكل عنصر على حدة ثم يعيد تركيب أرقام العناصر معا وفق ترتيب مسبق في رقم تصنيف متعدد الأبعاد مستخدما علامات الربط المناسبة . وتعرف خطط التصنيف من هذا النوع بخطط التصنيف التحليلية التركيبية أو المتعددة الأوجه .. ويتم إعدادها وفق ما يسمى بالتحليل الوجهي . وهو لب منهج إعداد هذا النوع من خطط التصنيف .

وإن تفاصيل المنهجين والمقارنة بينهما وتعيين مميزات كل من النوعين من خطط التصنيف ، كل هذا يكون مناقشة هامة ومثيرة لعلها أهم ما شغل به علماء التصنيف أنفسهم منذ أن ظهر التصنيف العشري إلى الوجود في سنة ١٨٧٦ ، ثم حينما ظهر تصنيف الكولون الذي ابتكره رانجاناتان سنة ١٩٣٣ إلى الآن ، وتعرف هذه المناقشات بنظرية التصنيف أو علم بناء الخطط . وأحيل في هذا الصدد إلى بحثي السابق أيضا حيث أن المجال هنا لايتسع لمقارنة المنهجين . ففي ذلك البحث توصلت بعد الدراسة المقارنة إلى اختيار المنهج الثاني ثم تطبيقه لإعداد تصنيف لعلوم الدين ولسوف أقتصر في هذه الصفحات إذن على عرض لهذا المنهج الثاني ثم تطبيقه لإعداد تصنيف لعلوم الدين الإسلامي .

تمهيد عن المنهج :

بدأ رانجاناتان يطور أفكاره عن التصنيف التحليلي التركيبي أو المتعدد الأوجه بعد عودته من بريطانيا سنة ١٩٢٥ . ثم جسد أفكاره هذه في تصنيف الكولون الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٣ والذي أعلن أن طبعته السابعة ستظهر عام ١٩٧١ ولكن لانعرف حتى الآن إن كانت قد ظهرت أم لا . كان رانجاناتان يطور أفكاره ويدرسها لتلاميذه وينشرها في كتبه ومقالاته المتعددة ويجسد نتائجه في طبعة جديدة للكولون . ولقد خرجت هذه الأفكار إلى دائرة الضوء حينما عرضها برنارد بالمر وكتب عنها لزملائه البريطانيين ثم حينما تأسست لجنة للبحث في التصنيف سنة ١٩٤٨ في نطاق الاتحاد الدولي للتوثيق رأسها رانجاناتان .

لعل أهم الأحداث في الخمسينات هو تكون جماعة البحث في التصنيف في لندن سنة ١٩٥٢م . وهدفها هو البحث في التصنيف لايعوقها ولاء لاية خطة مطبوعة وإن كانت قد

تأثرت بالخطوط العامة لمنهج رانجاناثان ، وخصوصا مايتعلق منها بالتحليل الوجهي ، وأخذت تطور هذه الأفكار أحيانا وفق خطوط مخالفة . وخلاصة ماتعتقده الجماعة أنه لايوجد خطة من بين الخطط الموجودة بما فيها الكولون تصلح للتطبيق كما هي ، وأن هناك حاجة ماسة إلى إنشاء خطة جديدة ، وأن التصنيف المتعدد الأوجه يجب أن يكون أساسا لكل أنواع وطرق استرجاع المعلومات . وحتى الآن لم تنجح الجماعة في إنشاء هذه الخطة الجديدة بسبب قصور في إمكانياتها . ولكنها نجحت نجاحا كبيرا في مجالين : مجال إنشاء الخطط المتخصصة ومجال البحث في التصنيف المتعدد الأوجه . ولذلك فإن أحدث الأفكار عن التحليل الوجهي والرمز ، الخ . توجد فى كتابات الجماعة : الكتب والمقالات وخطط التصنيف التي أعدتها وفي محاضر اجتماعاتها . لقد تأثر بمنهج الجماعة ، وأسلوبها مصنفون آخرون في بريطانيا وأمريكا فأنشئت جماعات متعددة على غرارها .

ولقد حقق البحث في التصنيف المتعدد الأوجه نجاحا آخر في مؤتمرين دراسيين. دوليين عقدا للبحث في التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات . أولهما عقد في لندن سنة ١٩٥٧ والآخر في الزينور بالدانمرك سنة ١٩٦٤ . وقد نشرت أعمال وتوصيات المؤتمرين ، وأهم ما يمكن الخروج به منها هو أن كل الدلائل تشير إلى أن تطور التصنيف لأغراض الاسترجاع سيسير وفقا لمنهج المدرسة الهندية والمدرسة البريطانية . وأن أسلوب التحليل الوجهي يلقى اتفاقا عاما من جانب الباحثين في التصنيف . فإن دور هذه الخطوط يتعاظم الآن وبخاصة في مجال إنتاج الخطط المتخصصة لأنه أصلح دون شك لحاجات المكتبات المتخصصة ومراكز التوثيق الحديثة في حين يتضاءل دور المنهج التقليدي الذي لم يعد يستخدم إلا في خطط التصنيف الحاصرة التي أنتجت من قبل . كما أن البحث في التصنيف يسير الآن وفقا لهذه الخطوط الحديثة . وتقوم الآن معاهد المكتبات بتعديل برامجها بحيث تخصص الجزء الأكبر من موضوع التصنيف للاتجاهات الحديثة . في حين تختفي تدريجيا آراء التقليديين وقواعد المنطق من برامج هذه المعاهد . وحتى خطط التصنيف الحاصرة تستفيد من الاتجاهات الحديثة مثال ذلك مايحدث في الببليوجرافية القومية البريطانية التي تصنف مادتها بخطة ديوي ، كذلك مايحدث في الاتحاد الدولي للتوثيق بالنسبة للتصنيف العشري العالمي .

طريقة تصميم القوائم :

لايمكن القول بأن منهج إعداد الخطط المتعددة الأوجه قد وصل إلى المرحلة النهائية وإنما هو لايزال في مرحلة البحث والتجريب . فالمدرسة الهندية تجرب وجماعة البحث في التصنيف تجرب وكلاهما ينشر نتائج تجاربه وأعماله . ولتكوين منهج متكامل يشتمل على خطوات محددة كان لابد من دراسة كتابات هاتين المدرستين واستيعاب تجاربهما في مجال إنتاج الخطط المتعددة الأوجه ، ومن هذه الدراسة أمكن الخروج بسبع خطوات رئيسية يمكن على أساسها

إعداد تصنيف متعدد الأوجه لأي موضوع محدد . ويلاحظ في هذا الصدد أمران :

١ - أن المنهج قد جرب في إنتاج خطط لموضوعات بعيدة عن مجال الدين بعامة والإسلام بخاصة . فالتصانيف المتخصصة التي أعدتها جماعة البحث في التصنيف معظمها في مجالات العلوم والتكنولوجيا ، مثال ذلك التصنيف الذي أعده فيكري لعلم التربة ، وفراداس لتكنولوجيا الماس ، وهما معا لعلم الطيران . والتصنيف الذي أعده فوسكت للسلامة المهنية والصحة ، وغيرها . وأما التصانيف الأخرى فهي أيضا بعيدة عن مجال الدين ، مثال ذلك : التصنيف الذي أعده ملز للإدارة ، وفوسكت للتربية ، وكوتس للموسيقى ، وبروكسيس للفنون الجميلة ، والتصنيف الذي أعدته جماعة البحث في التصنيف أخيرا لعلم المكتبات والمعلومات .

٢ - معنى هذا أن المنهج لا يصلح في تفصيلاته للتطبيق على علوم الدين الإسلامي وإنما يصلح في خطوطه العامة فقط فمثلا أسماء الأوجه وعددها وطريقة ترتيبها وترتيب البؤرات وتسجيل القوائم تختلف في الدين الإسلامي عنها في التصانيف التي جربت عليها خطوات المنهج . ولذلك فإن الأفضل أن تترك هذه الأشياء لطبيعة الموضوع وأن يستفاد بالخطوط العامة فقط .

خطوات التحليل الوجهي :

تسمى العملية الرئيسية في إعداد قوائم التصنيف المتعدد الأوجه بالتحليل الوجهي ويكملها خطوات أخرى . ويمكن أن نوجز هذه العمليات أو الخطوات فيما يلي :

١ - تكوين الأوجه .

٢ - حصر البؤرات .

٣ - ترتيب البؤرات .

٤ - ترتيب الأوجه .

٥ - ترتيب القائمة .

٦ - إضافة الرمز .

٧ - اختبار القوائم .

وسوف أتناول كل واحدة منها بالتفصيل وأحاول تطبيقها على علوم الدين لمحاولة الخروج بصورة واضحة عن طريقة إعداد قوائم التصنيف المتعدد الأوجه .

الأقسام الأساسية للإسلام :

تجرى عملية التحليل الوجهي في نطاق حقل موضوعي متجانس ومتمايز عن غيره يعرف بالقسم الأساسي . والقسم الأساسي إما أن يكون قسما رئيسيا من أقسام خطة التصنيف العامة أو يكون قسما اصطلاحيا . فقد لوحظ أن بعض الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف لا تقبل عملية التحليل الوجهي في الخطوة الأولى وإنما تنقسم إلى أقسام اصطلاحية أو عرفية وهي أقسام جرى العرف والاصطلاح على تقسيم تلك الموضوعات إليها في البداية . وهكذا الشأن بالنسبة للإسلام فحينما يحاول المرء – مثلما فعل رانجاناتان في تصنيف الكولون – أن يطبق عليه عملية التحليل الوجهي ككل فلن يقبل هذه القسمة لأن معنى ذلك أننا نتجاهل حقيقة تقسيم الإسلام في البداية إلى العلوم التي جري العرف والاصطلاح بين علمائه على تقسيمه إليها . إذن فإن هناك خطوة تسبق عملية التحليل الوجهي بالنسبة للإسلام هي محاولة تحديد هذه الأقسام الاصطلاحية أو الأساسية . فإذا ما تم ذلك فلابد من ترتيبها فيما بينها .

أولا : تحديد الأقسام الأساسية :

يطلق علماء المسلمين على علوم الدين « العلوم الشرعية » وتشمل هذه العلوم الشرعية عند بعضهم علوم العربية كذلك لأنها ضرورية لفهم الدين . ولمعرفة علوم الدين عند علماء المسلمين لابد من دراسة قائمة علوم الدين عندهم . وإن القدماء يدرجون تحت علوم الدين خمسة فقط هي : علم التفسير وعلم الحديث وعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه ، وأضاف بعضهم مثل ابن خلدون والسيوطي وطاش كبرى زادة علم التصوف ، ويلاحظ أن هذه القائمة تخلو من مكان للفرق الإسلامية.ولحركات الإصلاح الديني التي ظهرت في العالم الإسلامي في العصر الحديث .

أما عن الفرق فيبدو أن علماء المسلمين تجاهلوها لأنهم كانوا يدعون كل مخالف لأهل السنة صاحب فرقة . ولذلك جعلوا الفرق مع أصحاب الملل والنحل الزائغة ولم يعترفوا بعلومهم . والمكان الذي ذكرت فيه هذه الفرق هو في كتب الفرق أو مع علم الكلام وذلك لمناقشة مقالاتها والرد عليها . فكأن إيراد مؤرخي الفرق وعلماء الكلام لها في صورة إلزامات لخصومهم في المذهب . ولما كانت خلافيات المتكلمين مع الفرق وأصحاب الملل والنحل المختلفة فقد اضطروا إلى توسيع تعريف علم الكلام بحيث يشمل رأي المخالف في المذهب . ولا يمكن أن نضع الفرق مع علم الكلام إلا إذا سلمنا بأنها مذاهب كلامية ، وليس هذا صحيحا بل إن التفرقة الصحيحة بين المذاهب الإسلامية المختلفة تقسمها إلى ثلاثة أنواع :

١ – المذاهب السياسية وهي الفرق : مثل الشيعة والخوارج وهي التي نشأت بسبب النزاع حول الخلافة وهي قضية سياسية ولكنها لا تنفصل عن الدين .

٢ – المذاهب الكلامية . مثل المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمرجئة وهي التي نشأت بسبب الخلاف حول مسائل القضاء والقدر وصفات الله والمعاد والنبوة وغيرها من المسائل العقائدية .

٣ – المذاهب الفقهية المعروفة .

ومن الواضح أن المذاهب السياسية والمسائل التي اختلفت حولها غير المذاهب الكلامية والمسائل التي تكلمت بشأنها . وإذا كان رجال الفرق قد تكلموا في المسائل الكلامية فيما بعد عند نشأة علم الكلام فقد كان لهم فقههم وأحاديثهم وتفاسيرهم ، الخ . ، ولكنهم ليسوا فقهاء فقط أو متكلمين فقط أو محدثين فقط أو مفسرين فقط ، فهم هذا كله ولكنهم قبل هذا وبعد هذا فرق لهم علومهم وشروحهم للإسلام والتي تخالف أهل السنة .

والمذاهب الكلامية مكانها علم الكلام والفقهية مكانها علم الفقه ، وتبقى الفرق وهذه لامكان لها في قائمة علوم الدين مع أنها وجه آخر للإسلام مواز للإسلام السني ، ولها وعنها إنتاج فكري ضخم وعلوم موازية لعلوم أهل السنة . لذلك كان لابد من توفير مكان لهذه الفرق بين الأقسام الأساسية . فالتصنيف يعالج تصنيف المعرفة في الإنتاج الفكري ولا يصح أن يكون نقديا بمعنى أن يقف موقف الحكم بين الآراء والمذاهب المختلفة ، بل يسجل مايجده . وإن إحدى هذه الفرق وهي الشيعة بل الاثنى عشرية فقط لها وعنها إنتاج فكري كبير ومتنوع لابد من استيعابه في خطة التصنيف التي تعد لعلوم الدين الإسلامي . وربما كانت هذه النظرة إلى الفرق أقرب إلى توحيد الصف ولم الشمل لتحل محل النزاع والخلاف بعد أن زالت أسبابهما .

أما الحركات الحديثة فقد ظهرت في العالم الإسلامي استجابة للتغيرات الحديثة التي طرأت عليه وفي مواجهة تحديات العصر الحديث بما يمثله من حضارة غربية ونفوذ أوربي الأمر الذي أثار قضايا كثيرة حضارية وسياسية واقتصادية ودينية . وقد ظهرت هذه الحركات في كل مكان من العالم الإسلامي تقريبا واتخذت مواقف متقاربة وكلها تجد في الإصلاح الديني سبيلا إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وإن تفاوتت الاستجابات بين السلفية والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة . والذي يهم المصنف هو ظهور هذه الحركات بما عالجته من قضايا وبما ظهر عنها ولها من إنتاج فكري لابد لاستيعابه من تخصيص مكان لها في قائمة علوم الدين ، وإن إنتاج هذه الحركات ينساب في اتجاهين :

١ – الاتجاه القديم ، إذ أن لها مؤلفاتها في علوم الدين تلك التي يمكن إحلالها بسهولة في الموضوعات القديمة .

٢ - والاتجاه الحديث الذي يعالج قضايا حديثة لم ترد عند القدماء مثل القضاء على الاستعمار والنفوذ الأوربي والديمقراطية وعلاقة الإسلام بالقضايا الاقتصادية المختلفة والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ... الخ .

وعلى هذا يمكن أن نحدد الأقسام الأساسية للإسلام على النحو التالي : علوم القرآن ، علوم الحديث ، علم الكلام ، علم أصول الفقه ، علم الفقه ، علم التصوف ، الفرق الإسلامية ، حركات الإصلاح والإحياء والتجديد .

ثانيا : ترتيب الأقسام الأساسية :

يتناول التصنيف العلاقات بين الموضوعات المختلفة . ولذلك فهو يهتم بالتسلسل المفيد للموضوعات . فمن المؤكد أن هناك من بين الطرق الكثيرة لترتيب الموضوعات طريقة أفضل من غيرها . ويعمل التصنيف على الكشف عن الطرق المفيدة لترتيب الموضوعات . والسؤال الآن هو : كيف ترتب الأقسام الأساسية للإسلام ؟ ولابد هنا أيضا من الرجوع إلى كتب علماء المسلمين لمعرفة آرائهم في هذا الصدد .

عني الكثيرون من علماء المسلمين بوضع مقدمات للعلوم يسمونها مبادىء العلوم ، والمبادىء عندهم تعاريف الموضوعات .

ومن تقاليدهم أنهم كانوا يذكرون في أوائل كتبهم مايعرف عندهم بالرؤوس الثمانية .. وهي مقدمات الشروع في العلم ، وهي : الغرض .. والمنفعة ، والاسم ، والمؤلف ، ومن أي علم هو ليطلب فيه مايليق به ، وفي أي مرتبة هو ليقدم عما يجب ويؤخر عما يجب ، والقسمة ، أي أقسامه ليطلب في كل باب مايليق به ، والانحاء التعليمية ، وهي التكثير من فوق والتحليل وهو عكسه ، والتحديد أي فعل الحد .. والبرهان ، أي الطريق للوقوف على الحق والعمل به ، وقد شرحوا المقصود بهذا كله .

والذي يهمنا هو مرتبة العلم فيما بين العلوم والظاهر أن الهدف من معرفة شرف العلم ومرتبته عندهم هدف تعليمي لمعرفة أي العلوم يقدم عند التحصيل وأيها يؤخر .. وأرى أن أفضل ترتيب لهذه العلوم هو : علوم القرآن ، علوم الحديث ، علم أصول الفقه ، علم الفقه ، علم الكلام ، الفرق ، التصوف ، حركات الإحياء والإصلاح والتجديد .

فالقرآن هو كلي هذه الشريعة ، وهو المصدر الرئيسي لها ، وجميع العلوم الأخرى مستفيدة منه ومترتبة عليه . يليه الحديث فهو مكمل للقرآن ومفصل لما أجمل فيه . والقرآن والسنة هما الدليلان الأصليان في علم الأصول ، ولذلك يأتي بعدهما . والفقه يتبع أصوله لأن النظرية تسبق التطبيق دائما ، والعلم الذي يكون منهما آلة لغيره يسبقه ، ثم علم الكلام . وهو آخر العلوم الخمسة في اصطلاح أهل السنة ، يليه الفرق لأن كثيرا من خلافياته كانت

معها فهناك مادة مشتركة بينهما ، ثم التصوف وهو التطبيق العملي السلوكي للعلم النظري الذي يتحصل من العلوم السابقة جميعا . وأخيرا حركات الإصلاح وهي التطوير الحديث للمعرفة الدينية .

ويمكن الآن أن نشرع في محاولة تطبيق خطوات التحليل الوجهي ومكملاته على كل من هذه العلوم على حدة ، وإيثارا للاختصار فسوف تكون طريقتنا هي الحديث عن كل خطوة نطبقها على كل العلوم إجمالا مع إعطاء أمثلة من هذا العلم أو ذاك .

أولا - تكوين الأوجه :

معناه التعرف على الأوجه أو خصائص التقسيم المؤثرة في الحقل الذي يجرى تصنيفه . ويساعد على ذلك دراسة هذا الحقل واستعراض إنتاجه الفكري . وإن دراسة تعريف العلم يساعد في إلقاء الضوء على حدوده ومجاله ومحتوياته ويفتح الطريق أمام العناصر التي يتألف منها . فمثلا يعرف علم التفسير (أو علوم القرآن) بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحصل عليها حالة التركيب : ومتممات لذلك .

وقولنا : يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم هو علم القراءة .

وقولنا : ومدلولاتها ، أي مدلولات تلك الألفاظ . وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم .

وقولنا : وأحكامها الإفرادية والتركيبية يشتمل على التصريف والبيان والبديع .

وقولنا : ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشتمل على ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز .

وقولنا : ومتممات لذلك . وهو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح ما أبهم في القرآن ونحو ذلك . وهذا التعريف يلقى كثيرا من الضوء على محتويات الموضوع والأوجه المؤثرة فيه كما يتضح بعد قليل .

ويمكن أن تستمر دراسة محتوى الموضوع وتعريفاته لتحقيق أكبر درجة من الوضوح فيما يتعلق بالتعرف على الأوجه . ففي علوم القرآن مثلا يتضح من دراسة الموضوع أنها تنقسم إلى ثلاثة موضوعات أو مجالات أخرى متمايزة هي : علم القراءات ، علم التفسير ، علوم القرآن العامة . وإن دراسة كل واحد من هذه المجالات سوف تعرفنا بالأوجه المؤثرة فيها . فمثلا يعمل في القراءات وجهان هما : السند أي الرواية وهي القراءات المختلفة ، ثم الأداء والتجويد .

ويندرج تحت الوجه الأول القراءات مثل قراءة نافع أو حفص أو أبو عمرو بن العلاء الخ . وتحت الثاني يندرج مباحث التجويد مثل الوقف والابتداء والفتح والإمالة وما بينهما الخ .

أما العلوم القرآنية العامة فمنها ما يتعلق بتاريخ القرآن ، ومنها ما يتعلق بالنزول ، ومنها مايتعلق بالألفاظ من الناحية اللغوية ، ومنها ما يتعلق بالألفاظ من الناحية البلاغية ، ومنها ما يتعلق بالمعاني المتعلقة بالأحكام ، ومنها ما لايتعلق بالخصائص السابقة جميعا وهي عدد من العلوم القرآنية المستقرة والمستقلة والتي لا يمكن أن تدرج تحت خاصية واحدة ، مثل إعجاز القرآن والناسخ والمنسوخ ودفع مطاعن القرآن . الخ .

ويمكن أن نلاحظ أن بعض العلوم الاصطلاحية يعاد تقسيمه مرة أخرى بطريقة اصطلاحية مثل علوم القرآن السابقة وعلوم الحديث التي تقسم في البداية إلى علم الدراية أو المصطلح وعلم الرواية أي النصوص ، والسيرة النبوية ، هذه يتبع بشأن ترتيبها فيما بينها قواعد الترتيب المفيد أيضا ، ويفضل هنا الترتيب الاصطلاحي لأن هذه العلوم نقلية وللنقل والاصطلاح فيها شأن كبير .

وهكذا نتناول كل واحد من الأقسام الأساسية على حدة ونظل نتتبع الأوجه المؤثرة فيه . وفي النهاية سوف نخرج بعدد من الأوجه تحت كل علم من العلوم . ولقد وجد مثلا أن علم دراية الحديث يعمل فيه الخصائص التالية : وجه الإسناد ، وجه الراوي ، وجه طريقة الرواية أو التحمل أو الاداء . ثم عدد من العلوم الحديثية المستقلة كما في علوم القرآن مثل الناسخ والمنسوخ ، توفيق الحديث . دفع مطاعن الحديث الخ . أما علم الرواية فهو لايقسم تبعا لأوجه وإنما يقسم بحسب طبيعة كتب الحديث : مثل الكتب الستة ، الجوامع ، المستدركات ، المسانيد ، السنن ، المستخرجات ، الأربعينات ، الخ . وهكذا يمكن تتبع الأوجه في العلوم الأخرى .

ثانيا - حصر البؤرات :

بعد معرفة الأوجه يأتي تسجيل البؤرات أي المفردات أو العناصر تحت كل وجه من الأوجه تحت كل علم من العلوم . وتسمى هذه الخطوة عند بعض العلماء إشباع الأوجه . وفي نهاية هذه الخطوة نصل إلى قوائم مبدئية لكل البؤرات والبؤرات الفرعية تحت الأوجه . ففي علم الفقه مثلا يتضح من الخطوة السابقة أنه يشتمل على وجهين : وجه المسألة ووجه المذهب . ومن دراسة الموضوع يتضح أن مسائل الفقه تندرج تحت أربعة رؤوس رئيسية هي : العبادات ، والمعاملات ، والمناكحات ، والجنايات . والعبادات مثلا تشتمل على عدد من الرؤوس الفرعية مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج .. الخ . وكل منها تضم عددا من

الرؤوس الفرعية فالصلاة مثلا تشتمل على : الأذان ، إقامة الصلاة ، صلاة الجماعة ، النوافل .. الخ .

ووجه المذهب يضم المذاهب الفقهية الأربعة : الحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي ، والمذاهب المنقرضة مثل المذهب الظاهري ، مذهب الطبري ، مذهب الأوزاعي ... الخ .

وهكذا في كل الأوجه تحت العلوم الأخرى . وبعد أن يتم الحصر نصل في النهاية إلى قوائم بعلوم الدين الإسلامي تضم الأوجه وتحتها بؤراتها وبؤراتها الفرعية ويمكن أن يصل حجم هذه القوائم إلى عشرات الصفحات .

ثالثا - ترتيب البؤرات :

البؤرات التي تم حصرها في الخطوة السابقة سجلت غير مرتبة فيما بينها ومن الأفضل البحث عن أساس لترتيبها . وكما ذكرت فلاشك أن هناك طرقا للترتيب أفضل من غيرها والمهم هو أن نحاول اكتشاف أفضل الطرق ، ويتم ذلك أيضا من خلال دراسة الموضوع .

ومن دراسة الموضوع الذي بين أيدينا يمكن القول بأن الترتيب الاصطلاحي أو العرفي إن وجد يمكن أن يكون ترتيبا مفيدا للقارىء والمصنف لما ذكرت من أن العلوم التي نصنفها الآن علوم نقلية ولذا فإن إصطلاح أهلها وتواضعهم عليه معول كبير في الترتيب .

ومن الأمثلة على الترتيب الاصطلاحي للبؤرات : في علم القراءات تحت الوجه الأول وهو وجه السند نجد أن اصطلاح العلماء وكذا في الإنتاج الفكري للموضوع هو أن هناك قراءات سبعا متواترة تكملها ثلاث مشهورة ثم أربع قراءات للآحاد . ولذا تأتي القراءات السبع في البداية يليها الثلاث المتممة للعشر يليها الأربع المكملة للأربع عشرة . وهو ترتيب عرفي .

وفي التفاسير تأتي في البداية التفاسير المأثورة لأنها الأساس في التفسير إذ هي مروية عن النبي ﷺ . وفي علم دراية الحديث يمكن أن ترتب البؤرات في وجه السند ترتيبا اصطلاحيا رتبيا . فالصحيح يسبق الحسن وهو يسبق الضعيف ، وهكذا . وفي وجه طريقة التحمل (الرواية) يأتي في البداية أعلاها وهي السماع ثم التي تليه وهي القراءة ثم وثم حتى نصل إلى الوجادة . وهو نفسه ترتيب علماء أصول الحديث .

وفي أصول الفقه مثلا رتب علماء الأصول الأدلة بحسب مراتبها فتأتي في أولها الأدلة الأصلية : الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ثم تليها الأدلة التبعية . وفي وجه المسألة في علم الفقه رتب الفقهاء المسائل على النحو التالي : العبادات ، المناكحات ، المعاملات ، الجنايات

والعبادات ترتب فيما بينها أيضا ترتيبا عرفيا : الطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج . وهذا الترتيب مبنى على حديثين لرسول الله ﷺ : حديث بنى الإسلام على خمس ، وحديث مفتاح الصلاة الطهور . لذلك رتبها الفقهاء على هذا النحو . وهكذا يمكن اتباع هذا الترتيب الاصطلاحي أو العرفي حينما يوجد وحينما يكون له سند .

ويمكن في بعض الحالات اتباع ترتيب الأهمية . ففي التجويد مثلا يمكن أن يأتي الوقف والابتداء في البداية لأنه علم مستقر ظهر عنه إنتاج لا بأس به . وفي فرق الخوارج يمكن أن تسبق الإباضية لأنها الفرقة الوحيدة التي لازالت باقية من بين فرق الخوارج المتعددة والتي انقرضت . ونفس الشيء يقال عن فرقة الدروز من بين فرق الشيعة الغالية فهي والنصيرية من غلاة الشيعة لايزال لهما اتباع حتى الآن .

ومن المعايير الهامة التي يمكن اتباعها في ترتيب البؤرات الترتيب الزمني . وهو معيار مفيد جدا في ترتيب المذاهب والنظم والمدارس والفرق ، فمثلا يمكن أن ترتب المذاهب الفقهية ترتيبا زمنيا على النحو التالي :

الحنفي . المالكي.. الشافعي . الحنبلي . وهكذا في المذاهب المنقرضة . كذلك المذاهب الكلامية المتعددة تبدأ بالمرجئة لأنها أسبقها في الظهور ثم الغيلانية فالمعتزلة ، وهكذا . وفي داخل كل مذهب كبير يمكن أن ترتب مذاهبه الفرعية ترتيبا زمنيا كذلك . فالمعتزلة ترتب مذاهبها الفرعية على النحو التالي : الواصلية . العمرية . الهذيلية . النظامية . الجاحظية الخ .. حتى نصل إلى الجبائي وابن هشام ثم الخياطية . وعلى الترتيب الزمني يمكن أن ترتب الفرق وفرقها الفرعية ومدارس التصوف والطرق الصوفية وحركات الإحياء والإصلاح والتجديد ، ويمكن دائما التعرف على التاريخ التقريبي لنشأة المذهب أو المدرسة أو الفرقة .

وهناك حالات قد لا يكون لترتيب البؤرات فيها أية أهمية . مثال ذلك غلاة الشيعة وفرق الخوارج المنقرضة .

رابعا :- ترتيب الأوجـه :

معناه تحديد صيغة ترتب الأوجه فيما بينها بمقتضاها في تسلسل مفيد . والغرض الأساسي من تحديد التسلسل هو معرفة أن وجه كذا أهم وبذلك تجمع مادته معا وأن وجه كذا يليه في الأهمية وبذلك يتبعه . وهكذا . فالتصنيف يجمع ولكنه أيضا يفصل . يجمع مادة أهم الأوجه ويفصل مادة الأوجه الأقل أهمية . وإن تحديد الأهمية يعتمد على أهمية كل وجه في دراسة الموضوع . ففي القراءات مثلا هناك وجهان : وجه القراءة أو السند ووجه الأداء أو التجويد . ووجه القراءة هنا أهم لأن السند أو الرواية أصل في العلوم الشرعية وما عداها تابع . وعلى هذا فإن العمل الذي يتألف منهما معا يوضع تحت السند ولا يوضع تحت الأداء .

ويمكن أن نعطي أمثلة أخرى . ففي علم أصول الفقه يلاحظ أن الدليل هو مدار البحث في علم الأصول . لذا يجب أن يسبق ماعداه يليه الحكم ثم الاستنباط ، لذا يجب أن ترتب على هذا النحو ، وفي علم الفقه يلاحظ أن دراسة مسائله إما أن تجرى في نطاق مذهب معين أو في نطاق المذاهب كلها دراسة مقارنة . وإن الشائع أن دراسة المسائل تجرى وفق مذهب معين . وإنه في العصر الحديث فقط بدأت الدراسات المقارنة للمسائل في المذاهب المختلفة تكثر بعد أن تخلص الفقه من الجمود والتعصب المذهبي . وعلى هذا فلا يزال الشائع هو دراسة المسائل داخل المذهب . ولذا فإن المسألة تتفرع من المذهب وليس العكس . وهذا يجعل كل مسائل الفقه الحنفي مثلا مجمعة معا . وهو ترتيب مفيد مادام مرتبطا بتوقعات القراء .

وهكذا يمكن تتبع عملية رصد ترتيب الأوجه حسب أهميتها من خلال دراسة الموضوعات المختلفة حتى نصل في النهاية إلى ترتيب لأوجه كل علم من العلوم .

ومما يجدر ذكره أن الأفضل هو عدم اتخاذ صيغة عامة للأوجه في كل الموضوعات لأن عدد الأوجه وتسمياتها وأسس ترتيبها يرجح أن يختلف من موضوع لآخر بحسب طبيعة الموضوع .

خامسا - ترتيب القائمة :

وصلنا حتى الآن إلى قوائم لعلوم الدين محددة الأوجه مسجلة البؤرات وهذه وتلك مرتبة فيما بينها ترتيبا مفيدا . والسؤال الآن هو : كيف تسجل الأوجه في القائمه . وفي هذا الصدد نلمح رأيين :

١ - رأي يرى أن يكون ترتيب الأوجه في قوائم الخطة هو نفسه تسلسل الأوجه في صيغة الأوجه .

٢ - والرأي الثاني يرى أن يكون ترتيب الأوجه في القائمة عكس تسلسلها في صيغة الأوجه . ويعرف هذا بمبدأ القلب .

ويرى أصحاب الرأي الأول أن هناك نقصا من الناحية السيكولوجية حينما يفاجأ القاريء بأن أهم الأوجه وهو الذي ورد في صيغة الأوجه في البداية قد ورد في قوائم التصنيف وعلى الرفوف في النهاية ، فهذا من شأنه أن يصدم القاريء الذي يريد أن يصل إلى مادته بسرعة . وهم في هذا يعتقدون أن أهم الأوجه هو أكثرها خصوصية ، وأن أقلها أهمية هو أكثرها عمومية .

أما أصحاب الرأي الثاني فيرون أن ترتيب الأوجه حسب الأهمية سوف يكون حسب علاقة الخاص – العام وأن هذا يخالف علاقة عميقة الجذور في العقل البشري وهي علاقة العام – الخاص . ولذلك يجب أن نعكس هذا الترتيب بحيث نجعل أعم الأوجه تأتي في البداية وأخصها في النهاية .

وأرى أن المناقشة هنا كما هي في كثير من مشكلات التصنيف نظرية أكثر منها حقيقية فليس من المؤكد أن أهم الأوجه هو أكثرها خصوصية وأن أقلها أهمية هو أكثرها عمومية . فلكل سياق طبيعته كما أنه إذا كانت علاقة العام – الخاص جوهرية في الخطة العامة لأنها تستخدم في مكتبة شاملة فهي ليست بنفس الدرجة من الأهمية في الخطة المتخصصة التي تتناول جزءا محدودا من المعرفة وتستخدم في مكتبة متخصصة ذات جمهور محدود ومتخصص يعرف ما يريده بالضبط ، أو تستخدم في خدمة تكشيف أو استخلاص ، وليس على رفوف المكتبة . لذا فإنني أفضل أن تترك هذه المسألة لطبيعة كل موضوع ولكل نوع من أنواع المكتبات على حدة .

سادسا – إضافة الرمز :

أوصلتنا الخطوات الخمس السابقة إلى قوائم لخطة التصنيف ، وهذه القوائم لايمكن أن تعمل بدون الرمز . وإنني هنا أتحدث عن الرمز من زاوية خاصة هي زاوية إضافته إلى القوائم . إما المناقشات الخاصة بالرمز فقد سجلتها في بحثي المشار إليه ، والذي تناولت فيه كذلك مشكلة الرمز في خطة التصنيف العربية . وهنالك اقترحت بعد مناقشات طويلة – أن يكون رمز الخطة العربية على النحو التالي :

١ – الأرقام المئوية (١١ – ٩٩) للأقسام الرئيسية .

٢ – الحروف العربية للخطوة التالية وهي إما أن تكون الأقسام الاصطلاحية أو الأوجه في داخل الأقسام الرئيسية .

٣ – الأرقام العربية العشرية للخطوات التالية وهي إما أن تكون الأوجه أو أن تكون البؤرات .

٤ – الأعداد من ٠١ – ٠٩ للأوجه العامة : الزمان والمكان والشكل . ويلاحظ أن الرمز يستخدم هنا بالطريقة العشرية .

والمفروض أن الإسلام سيكون قسما رئيسيا فى خطة عامة .. ولكننا نترك الآن جانبا مكانه في تسلسل الأقسام الرئيسية للخطة لأن هذا يخرج عن إطار الدراسة الحالية .. وبقي أن نتناول في إيجاز خطوات توزيع الرمز :

١ – الحروف العربية تخصص للأقسام الأساسية للإسلام ونظرا لوجود عدد من الحروف المتشابهة في الرسم فإن عدد الحروف ينقص إلى ١٧ حرفا يمكن زيادتها برسم بعض الحروف المتشابهة بطريقة مختلفة إلى ٢٢ حرفا وهو عدد كاف جدا للأقسام الأساسية للإسلام وهي ثمانية بل يمكن مد الحروف على الموضوعات بحيث يأخذ كل واحد من المجالات الهامة حرفا حتى يتحقق رمز أقصر وحتى لا يحدث ازدحام في بعض الموضوعات . ويمكن أن يكون الشكل العام للرمز على النحو التالي :

٠١ – ٠٩	الأوجه العامة (الزمان والمكان والشكل)
ء	الأعمال العامة (حرف الهمزة)
ب – د	علوم القرآن (الأعمال الشاملة)
ب	علوم القرآن (ماعدا القراءات والتفسير)
ح	القراءات والتجويد
د	التفسير والتفاسير
ر – ص	علوم الحديث (الأعمال الشاملة)
ر	علم دراية الحديث (أصول الحديث أو مصطلح الحديث)
س	علم رواية الحديث
ص	السيرة النبوية
ط	علم أصول الفقه
ع	علم الفقه
ف	علم الكلام
ك – م	الفرق (الأعمال الشاملة)
ك	الشيعة
ل	الخوارج
م	الفرق الأخرى (البابية ، البهائية ، أهل حق ، القاديانية)
هـ	التصوف
و	الطرق الصوفية
لا	حركات الإحياء والإصلاح والتجديد

٢ – توزيع الأرقام على الأوجه . وعدد الأرقام تسعة وعدد الأوجه يقل عن ذلك في علوم الدين المختلفة . ولهذا فإن الأفضل أن تمد الموضوعات على الأماكن الخالية إيثارا لاختصار الرمز وعدم ازدحام الأوجه كما أنه يحقق مرونة في الاتجاهين الأفقي والرأسي بحيث يمكن استيعاب كل الموضوعات الممكنة ، في حين أنه يستخدم الرموز المتاحة أفضل استخدام ممكن ودون إسراف .

٣ – الخطوات التالية هي لتوزيع الأرقام أيضا على البؤرات ، ويمكن اتباع المبدأ السابق ذكره في (٢) بالنسبة للبؤرات أيضا . ويمكن إذا زاد عدد البؤرات في صف ما عن تسعة – أن يستخدم الرمز المئوي (١١ – ٩٩) وهو يستوعب عددا كبيرا من الوحدات ويحقق مرونة في الاتجاه الأفقي .

سابعا – اختبار القوائم :

لا يمكن أن تعد قوائم الخطة نهائية دون اختبارها وعرضها على عدد ممثل من وحدات الإنتاج الفكري . وإن مزايا هذا الاختبار متعددة ولكن يمكن جمعها تحت هدف عام واحد هو التحقق من صلاحية القوائم لتصنيف الإنتاج الفكري للموضوع وتحقيق التوافق بصفة عامة بين القوائم وبين هذا الإنتاج . وهنا يمكن الخروج في النهاية بخطة تصلح لتصنيف الإنتاج الفكري لموضوع الدين الإسلامي . ويلاحظ أن الخطة التي تنتج على هذا النحو هي خطة تحليلية تركيبية تعتمد على تحليل موضوع الوثيقة أو الكتاب إلى عناصره ، ثم إعادة تركيب أرقام هذه العناصر معا في رقم تصنيف مركب . ولذا فإن الرمز يجب أن يدبر لهذا التركيب بتوفير علامات الربط المناسبة للعلاقات المختلفة التي يمكن ان تظهر في الإنتاج الفكري ويحتاج المصنف إلى تمثيلها في رقم التصنيف (١) .

---

(١) لم نشر في هذه الدراسة إلى المراجع وذلك لأن مراجعها كثيرة وسوف تشغل بذكرها حيزا كبيرا .. ولكننا نقول بصفة عامة أن مراجعها قسمان : ١ – قسم عن التصنيف وهو أعمال المدرستين الهندية والبريطانية والخطط التي أنتجوها . ٢ – قسم في علوم الدين الإسلامي وهي بدورها تنقسم إلى كتب في كل علم على حدة وكتب عامة تتناول الموضوع ككل .. وكتب موضوعات العلوم أو مباديء العلوم وهي التي تعرف بكل العلوم وتعطي نبذة عن كل منها .

البيليوجرافيا الموضوعية العربيّة .

علوم الدين الإسلامي

مجلة كلية اللغة (الرياض) العدد ٨ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

تقـــديم

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، والصلاة والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد ...

فإن بحثنا هذا يتناول واحداً من المشروعات العلمية الهامة وهو « البيليوجرافيا الموضوعية العربية » مع التركيز على الحلقة التي تمت منه ، وهي عن « علوم الدين الإسلامي » .

وقد يكون من المفيد أن نبدأ بإلقاء شيء من الضوء على البيليوجرافيا بصفة عامة ، ثم على ذلك النوع الذي يخصنا وهو البيليوجرافيا الموضوعية ، تمهيداً للحديث عن البيليوجرافيا الموضوعية العربية ، ثم علوم الدين الإسلامي .

وقد ارتبط مشروع البيليوجرافيا منذ بدايته بعمل علمي آخر هو « الخطة العربية للتصنيف » . ذلك أن البيليوجرافية الخاصة بعلوم الدين الإسلامي قد نظمت مادتها وفقاً لـ « التصنيف البيليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » ثم اندمج العملان معاً ، ولذلك يصعب الحديث عن أحدهما دون الآخر . ولما كان التصنيف المشار إليه جزءاً من « الخطة العربية للتصنيف » التي نترقب وجودها فلا بأس من إشارة سريعة إلى العمل ككل .

وقد يبدو الحديث عن العملين وكأنه حكاية لتجربة شخصية مر بها كاتب البحث . والحقيقة أن ما تم من العملين قد ارتبط فعلاً بالكاتب بحيث يصعب عند الحديث فصلهما إذ كانا ميداناً لدراسته الأكاديمية وعمله البحثي منذ بدأ وحتى الآن . ولكن الحقيقة أيضاً أن المشروعين أداتان عمليتان هامتان ، تشغلان جانباً كبيراً من التفكير في علم المكتبات والمعلومات ويهتم بهما أمناء المكتبات ، كما تفيدان عامة الباحثين والعلماء وكل المهتمين بالكتاب العربي والتراث الفكري للأمة . وأنا أتحدث عنهما هنا بهذه المثابة ، حتى وإن كان الحديث حكاية لتجارب شخصية ، لأن هذه التجارب أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الفكري لمهنة المكتبات والمعلومات ، ولكل المهتمين بهذه الموضوعات في عالمنا العربي .

ولذلك فأرجو أن يكون هذا البحث تقريراً أميناً إلى زملائي في مهنة المكتبات ، وإلى زملائي من الباحثين في كافة الموضوعات ، وفي الموضوعات العربية والإسلامية خاصة . وأرجو أن يلقي ما هو جدير به من الاهتمام من جانب الهيئات العلمية والثقافية الذين يملكون سلطة اتخاذ القرارات ، والذين يهمهم ولا شك أمر تقدم البحث العلمي في وطننا العربي . وأرجو أن يجد الكثيرون من المكتبيين والباحثين والعلماء في هذا البحث صدى لما يدور في نفوسهم ولما تجيش به خواطرهم من آمال في تحقيق نهضة علمية حقيقية تستند إلى خدمات ببليوجرافية فعالة وشاملة ومقننة .

والآن إلى موضوع البحث :

الببليوجرافيا :

كلمة ببليوجرافيا تقابل الكلمة الانجليزية Bibliography. وتقول دائرة المعارف البريطانية في هذه المادة أنها مأخوذة من الكلمة اليونانية Bibiographiaومعناها الحرفي نسخ الكتب . وقد انتقلت إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحديثة . ثم انتقلت إلى لغات أخرى منها اللغة العربية .

وقد انتقلت أسماء كثير من العلوم إلى العربية قديماً وحديثاً وعرفت بشكلها الأجنبي ولم تأخذ مقابلاً عربياً صرفاً ، وهي واحدة من الطرق التي اتبعها العرب قديماً وحديثاً في نقل المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة إلى العربية . وقد أخذت بعض هذه الألفاظ في العربية الشكل اليوناني ولم تأخذ الشكل الانجليزي أو الفرنسي أو الألماني . وربما كان هذا جرياً على عادة القدماء الذين كانوا ينقلون عن اليونانية إبان عصر الترجمة ، وقبل أن تعرف اللغات الأوربية الحديثة . وهناك أسماء علوم نقلت في ذلك العصر من اليونانية واستمرت هكذا إلى العصر الحديث وبقي استعمالها كما هو ، مثال ذلك علم الجغرافيا Geography .

وجاء المحدثون فنقلوا بدورهم كثيراً من أسماء العلوم بشكلها اليوناني وليس بشكلها في اللغات الأوربية الحديثة . والأمثلة على هذا كثيرة ، منها الجيولوجيا (علوم الأرض) ، والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء ، والأنثروبولوجيا (علم الانسان) والبيولوجيا (علم الحياة) ، وغيرها ، مع أن لهذه العلوم مقابلات عربية طيبة ، كما هو واضح .

وليس من شأننا الآن أن ندخل في بحث مفصل حول مناهج تعريب الألفاظ والمصطلحات العلمية ، ولكننا نتناول هذه القضية بسرعة بمناسبة أن لفظ ببليوجرافيا قد جاء جزءاً من عنوان بحثنا هذا ، وجزءاً من عنوان المشروع الذي ندرسه ، والذي دعانا إلى إثارة

المسألة هو أن هذا اللفظ قد يكون مثار اعتراض من جانب بعض العلماء[1] الذين قد يأخذون على مهنة المكتبات عدم قدرتها حتى الآن على التوصل إلى لفظ عربي مقابل للفظ ببليوجرافيا ، وأنهم يستعملونه حتى في عناوين كتاباتهم بالشكل الأجنبي .

وقد أوضحنا منذ قليل أن نقل اللفظ بالشكل الأجنبي كان واحداً من المناهج التي اتبعها القدماء في التعريب ، ومن ثم فهي طريقة لا غبار عليها . ومن ناحية أخرى فإذا استعرضنا الألفاظ العربية الممكنة في هذا الصدد ، فسوف يقفز بسرعة لفظ « وراقة » وهو اسم لحرفة كانت رائجة إبان عصر الحضارة العربية الزاهر واشتق من الورق ، وهو يعني « نسخ الكتب » . ومعنى هذا أنه يتساوى فعلاً مع لفظ ببليوجرافيا الأصلي اليوناني ، ولكن ثمة أموراً وصعوبات ينطوي عليها استعمال لفظ « وراقة » منها :

١ - أنه يمكن أن يستعمل لاسم العلم فقط فنقول علم الوراقة بدلاً من علم الببليوجرافيا ولكن اللفظ الأخير قد بدأ بسيطاً ثم اكتسب مدلولات أخرى خلال رحلته الطويلة من العصر اليوناني إلى العصر الحديث . أما لفظ الوراقة فقد توقف مدلوله على ما كان عليه في عصر الحضارة العربية . وبينما يعني لفظ ببليوجرافيا الآن كل المدلولات الحديثة التي اكتسبها بالتدريج لا يعني لفظ الوراقة نفس الشيء .

٢ - كلمة وراقة لا يمكن أن تستعمل مضافة إلى الأنواع المختلفة من القوائم . فنحن نقول مثلاً : الببليوجرافيا الوطنية ، الببليوجرافيا الموضوعية ، الخ . فهل يسوغ أن نقول « الوراقة الوطنية ، الوراقة الموضوعية ، الخ . أو الضبط الوراقي Bibliographic Control ، أو التصنيف الوراقي Bibliographic Classification. أو الوصف الوراقي Bibliographic : Desciption ، وما إلى ذلك ؟

٣ - من المعروف أن المصطلحات هي ألفاظ اصطلح أو اتفق على أن تستعمل بمدلول معين ، وليس من الضروري أن تتساوى المدلولات مع الألفاظ ، ولكن لابد من الاصطلاح أو الاتفاق بحيث يفهم من اللفظ عند ذكره هذه المدلولات . فإذا جاز لنا أن نستعمل كلمة وراقة فيجب أن تسبغ عليها كل المعاني الحديثة التي اكتسبها اللفظ ببليوجرافيا . كما يجب أن نبحث مسألة الاشتقاقات المختلفة للفظ . وحتى نتفق على هذا كله فلا مفر من الاستمرار في استعمال كلمة ببليوجرافيا . وقد استعملناها هنا

---

(١) كان لفظ « الببليوجرافي » في عنوان « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » وهو رسالة دكتوراه مثار مناقشة من جانب أحد علماء الشريعة وهو الأستاذ الدكتور زكريا البري والذي طالب أثناء مناقشته بلفظ عربي مقابل هذه الكلمة خاصة وأن البحث هو في علوم الدين الإسلامي . ومن الممكن أن يكون لفظ الببليوجرافيا هنا مثاراً لمناقشة مماثلة خاصة وأنه مرتبط بلفظ العربية .

لهذا السبب ولتكن هذه دعوة إلى بحث الموضوع والوصول حوله إلى اتفاق .

ونعود الآن إلى اللفظ نفسه ، فنقول إن هناك عشرات من التعريفات له ، وليس من شأننا أن نتعرض لكل التعريفات ، فنقول إنها تقع تحت قسمين كبيرين :

تلك التي تنتمي إلى دراسة الكتب كوحدات مادية .

وتلك التي تنتمي إلى دراسة الكتب كأفكار .

ويطلق على القسم الأول البليوجرافيا التاريخية أو التحليلية أو النقدية .

ويطلق على القسم الثاني البيليوجرافيا الوصفية أو الحاصرة أو المقننة .

ويعني الأول بدراسة الكتب نفسها كأشياء مادية من حيث مادتها وخطوطها وطبعاتها ، الخ . ولا علاقة له بالمحتوى الفكري لتلك الكتب . وهذه دراسة أقرب ما تكون إلى تحقيق النصوص وتوثيقها ، وتقل قيمتها مع دخول عصر الطباعة حتى تتلاشى تقريباً في العصر الذي نعيشه ، إذ لا تحتاج الكتب الحديثة إلى توثيق من هذا النوع مع وجود المواصفات القياسية في صناعة النشر . ولذلك فربما اقتصرت قيمة هذا النوع مع المخطوطات وأوائل المطبوعات .

أما النوع الثاني وهو البليوجرافيا الوصفية أو الحاصرة أو المقننة فهو الذي يستأثر بمعظم النشاط الآن في مجال البليوجرافيا . وهو يعني إعداد القوائم البليوجرافية التي تحصر وتسجل وتنظم الإنتاج الفكري لخدمة الباحثين والعلماء .

لقد كان اختراع الكتابة أبعد الاختراعات أثراً في حياة البشرية ، يكمله الطباعة . فقبل الكتابة كان الإنسان يعتمد في الاتصال على المشافهة ، ولذلك كانت الأفكار محدودة بصاحبها وبالعدد القليل الذي يتصل به ، كانت الذاكرة في ذلك العصر ذاكرة شخصية . وحينما يموت الشخص تموت معه ذاكرته التي تحوي حضيلة أفكاره .

فلما عرف الإنسان الكتابة ، بدأ الاتصال الإنساني يأخذ شكلاً آخر ، فقد حل التدوين محل المشافهة ، وأصبحت الأفكار ملكاً لدائرة أوسع من الناس ، فانتقلت الأفكار من دائرة الذاكرة الشخصية إلى الذاكرة الجماعية ، وبهذا أصبحت ملكاً عاماً .

ولو استمر الأمر على ما كان عليه قبل التدوين ما حدث مانشهده الآن من تقدم ومن علم وحضارة . أما التدوين فقد نقل خبرات الأجيال ، كل جيل يأخذ ماسبقه ويضيف اليه ونتج عن هذا كله تراكم حصيلة الأفكار على مر العصور ، الأمر الذي مكن العلم من التقدم ، ومكن الإنسان من بناء الحضارة . فتدوين المعلومات كان أساس التقدم العلمي والحضاري الذي مرت به البشرية .

ومع التدوين كثرت الكتب أي المدونات ، وكان من الضروري أن تنشأ المكتبات لاستيعاب هذه المدونات . ومع المكتبات لابد أن تنشأ وظيفة التنظيم ، لأن المعلومات بدون تنظيم كم مهمل لا قيمة له . أما التنظيم فهو الذي يمكن من توصيل المعلومات المناسبة للقاريء المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب .

ومع كثرة المؤلفات في العلوم المختلفة كان من الضروري أن تنشأ البيليوجرافيات للسيطرة على الإنتاج الفكري . وقد جاء هذا مع الحضارة العربية الإسلامية . ففي القرن الرابع الهجري زادت المؤلفات والمترجمات زيادة حدت بابن النديم أن يؤلف كتاب الفهرست .

فلما ظهرت الطباعة في أوربا في القرن الخامس عشر ، أصبح إنتاج الكتب أسهل من ذى قبل ، وزادت دورة الإنتاج الفكري ، أو دورة المعلومات . وهذه الزيادة تسير بمعدل المتوالية الهندسية ، بمعنى أن كل زيادة تعني إمكانية أكبر للزيادة . ومع التقدم العلمي في العصر الحديث زادت الكتب ومصادر المعلومات الأخرى زيادة كبيرة بحيث أصبحنا نشهد الآن ما يسمى بفيضان المعلومات . وأصبح ما ينتج الآن في سنة واحدة يفوق ما كان ينتج في قرن كامل كالقرن السابع عشر مثلاً .

كما تنوعت مصادر المعلومات ، فلم يعد الكتاب هو الوعاء الوحيد ، بل أخذت تظهر وتسود أشكال جديدة مثل المجلات والتقارير والأبحاث والرسائل والخرائط والأفلام والأفلام المصغرة ، والأشرطة المسجلة والأسطوانات ، والرسومات الهندسية ، الخ . وكلها أوعية معلومات وكلها تحتاج إلى الضبط البيليوجرافي والسيطرة عليها .

وتعقدت أبعاد مشكلة المعلومات بإضافة عناصر جديدة ، منها عنصر اللغة ، فكل دولة تسعى سعياً حثيثاً إلى التقدم ، وهي في هذا لا تألو جهداً في معرفة ما عند الطرف الآخر . خاصة مع الصراع السياسي بين الدول ، ومحاولة كل منها التفوق . وقد أدركت هذه الدول أن التفوق يعتمد على العلم ، وأن حل المشكلات لابد له من البحث العلمي المستمر والفعال ، والعلم يعتمد على المعلومات .

وتعقدت وتشابكت العلاقات الموضوعية ، نظراً لتشابك البحث العلمي . فالكتاب وحدة بيليوجرافية بسيطة يمكن تعيين موضوعها بسهولة . أما الأبحاث أو التقارير أو المقالات فهي تنطوي على علاقات وتفاعلات موضوعية معقدة وفي غاية من التشابك ، الأمر الذي يستلزم عمقاً في الوصف والتحليل .

كل هذه الأبعاد قد جعلت من الصعب على الباحث في أي موضوع مهما كان صغيراً أو مخصصاً أن يعرف ما يريد وأن يصل إليه وأن يتابع ما يصدر في ميدان تخصصه . وقد أدركت المكتبات أنها بوسائلها التقليدية غير قادرة على الوفاء بالاحتياجات والمتطلبات

الحديثة ، وكان لابد في هذا الصدد من ابتكار وتقنين وسائل غير تقليدية لمعالجة وتداول المعلومات . ويلعب الحاسب الألكتروني دورا هاما في هذا الصدد ، فهو قادر على تداول ومعالجة مقادير هائلة من المعلومات بسرعة ودقة عاليتين . كما قدم علم المكتبات والمعلومات حلولاً لمشكلات التحليل بابتكار التصنيف التحليلي التركيبي الذي يصلح للتصنيف العميق للوثائق المتشابكة الموضوعات .

وبدون الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري ، وبدون تنظيم المعلومات وتحليلها لايمكن ملاحقة التقدم فضلاً عن تحقيق المزيد .

الببليوجرافيا الموضوعية :

إن محاولات الإنسان للضبط الببليوجرافي لخدمة أغراض متنوعة قد أنتجت أنواعاً مختلفة من الببليوجرافيات : فهناك الببليوجرافيات الوطنية ، والببليوجرافيات الشاملة ، والببليوجرافيات التجارية ، والببليوجرافيات الموضوعية . وسوف نقتصر هنا على النوع الأخير ، توطئة للحديث عن الببليوجرافيا الموضوعية العربية .

الببليوجرافيا الموضوعية أداة تحصر وتسجل وتنظم الإنتاج الفكري في موضوع من الموضوعات صغيراً كان أم كبيراً . ويدخل فيها كل أنواع المواد ، وقد تقتصر على نوع من المواد ، وقد يطلق عليها تسمية أخرى غير لفظ ببليوجرافيا مثل كشاف ، أو دليل ، ولكن كل هذه تدخل في مجال الببليوجرافيا الموضوعية ، أو هي تكون في مجموعها الببليوجرافيا الموضوعية للموضوع .

وربما كانت الببليوجرافيات الموضوعية أهم الأنواع بالنسبة للباحث . فالقارىء الذي يعرف كتاباً أو كتباً معينة بمؤلفيها أو عناوينها ، يذهب إلى نوع مختلف من الببليوجرافيات التي ترتب بالعنوان أو المؤلف . ولكن هناك باحثا لا يعرف عن بحثه إلا موضوع البحث ويريد المواد التي تعالجه . لمثل هذا الباحث لابد من توفير المدخل الموضوعي سواء في المكتبات أو الببليوجرافيات . والأخيرة أهم في هذا الصدد لأنها لا تقتصر على محتويات مكتبة معينة ، ولا تقتصر على نوع واحد من أنواع المواد كالكتب أو المقالات مثلاً ، ولكنها تشمل كل المواد . والببليوجرافيات بهذه المثابة أداة لا غني عنها للباحث ، وهو أهم أنواع القراء وأكثرهم جدية . لذلك لا تألو الأجهزة الببليوجرافية والمكتبات جهداً في سبيل توفير السبل أمام هذا الباحث للوصول إلى ما يريد توفيراً لوقته وجهده وضماناً لكمال البحوث .

وسوف تتضح هذه الصورة أكثر عند الحديث على الببليوجرافيا الموضوعية العربية فلنكتف بهذا القدر الآن .

البيليوجرافيا الموضوعية العربية :

كنت منذ بدأت خطواتي الأولى في البحث العلمي مهتماً بقضية توفير المدخل الموضوعي في المكتبات العربية . ولب هذه القضية وعمادها توفير خطة تصنيف تستوعب حاجات المكتبات العربية والإسلامية وتوفر بكفاية لإنتاجنا الفكري . وقد استغرقت هذه القضية وما يرتبط بها كل دراساتي وأبحاثي طيلة خمس عشرة سنة والأرجح أنها سوف تستغرق عمري كله طال أم قصر .

وفي سبيل الوصول إلى « الخطة العربية للتصنيف » مهام كبيرة ، ودونها دراسات كثيرة تحقق منها البعض ولا يزال الكثير . ولسنا هنا في مقام التفصيل فيما يتعلق بهذه الدراسات فهي موجودة وملك للجميع . كل ما أود أن أشير إليه هنا فقط هو بعض الخلاصات وجوانب من العلاقات تربط بين الخطة وبين ما نحن بصدد الحديث عنه من البيليوجرافيا الموضوعية العربية .

لقد كانت المرحلة الأولى هي ضرورة دراسة أنظمة التصنيف التي أنتجت في الخارج لمعرفة مدى كفايتها ، ودراسة التعديلات العربية لتلك الأنظمة ، وكذلك المحاولات العربية الأخرى لنفس الغرض ، ثم محاولة استكشاف نظرية التصنيف والوصول إلى الأسس التي يجب أن نبني عليها الخطة العربية للتصنيف . وقد تمت المرحلة الأولى في سنة ١٩٦٧ م ووصلت إلى نتيجة عامة مؤداها أن الأنظمة والتعديلات العربية لا تصلح كما هي ، وأن ثمة حاجة ماسة لإنشاء نظام عربي للتصنيف يقوم على أسس انتقائية تمثل أحسن ما توصل إليه العمل في نظرية التصنيف كمنهج ، وتراعى الحاجات الأصيلة للمكتبات العربية كما تتمثل في الفكر الإسلامي الأصيل ، وتستوعب بكفاية الموضوعات العربية والإسلامية[١] .

والمرحلة الثانية تتمثل في البدء في إعداد تصانيف للموضوعات العربية والإسلامية كجزء من الخطة العربية ، على اعتبار أن هذه الموضوعات لم تُعَدّ لها حتى الآن تصانيف كافية ، وأنها جهد ينبغي أن نقوم به نحن لأن هذه الموضوعات تمثل الموضوعات الأصيلة التي تكون شخصية الأمة وتميزها عن غيرها من الأمم .

---

(١) تم ذلك في دراسة بعنوان : دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف . كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ . وبالنسبة للتعديلات العربية للتصنيف العشري لديوي فهناك دراسة أحدث : التعديلات العربية للتصنيف العشري لديوي . وهي أحدى الوثائق التي عرضت على المؤتمر الثاني للإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي الذي عقد بمدينة بغداد خلال ديسمبر ١٩٧٧ . وهي دراسة نقدية مفصلة لتلك التعديلات .

والمرحلة الثالثة هي إعداد تصانيف لبقية العلوم التي لتغطي جميع فروع المعرفة البشرية . وهي مرحلة يمكن الاستفادة فيها من التصانيف الأجنبية ، لأنها تعالج العلوم الأجنبية وهذه ملك مشترك لجميع الأمم .

ولم تبدأ المرحلة الثالثة بعد . أما المرحلة الثانية فقد بدأت . وقد كان السؤال هو بأي الموضوعات نبدأ ، وكانت الإجابة سهلة : علوم الدين الإسلامي . وقد تم بالفعل إعداد « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي »[1] . وتشمل هذه المرحلة الثانية إعداد تصانيف لبقية العلوم العربية : علوم اللغة العربية ، الأدب العربي ، التاريخ العربي والإسلامي ، جغرافية الوطن العربي ، والفلسفة الإسلامية . ونأمل أن يتم ذلك في القريب إن شاء الله[2] .

وقد بدأ التفكير في إعداد الببليوجرافيا الموضوعية العربية أثناء إعداد تصنيف علوم الدين الإسلامي . وخلال اذلك اتضحت لي المشكلات الحقيقية التي يعاني منها الباحث العربي . ولذلك فلا أجد بأساً من التفصيل خاصة وأن المشكلات ليست خاصة ببحث واحد بعينه وإنما هي عامة في كل الأبحاث .

كان المطلوب هو إعداد تصنيف لعلوم الدين الإسلامي ينبع من دراسة هذه العلوم نفسها وذلك في كل خطوة من خطوات إعداده على تفصيل في ذلك . ولذلك فقد كان المطلوب إجراء مسح شامل للإنتاج الفكري لعلوم الدين . وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً كان من الممكن توفيره لو وجدت ببليوجرافية مصنفة لعلوم الدين . وحينذاك شعرت بمدى ما يعانيه الباحث العربي بسبب نقص الأدوات الببليوجرافية ، بل مدى ما تقاسيه الأبحاث نفسها من نقص بسبب ذلك .

وسوف أحاول في الصفحات القليلة التالية أن أرسم صورة سريعة لمعاناة الباحث العربي عند إجراء أبحاثه . وسوف أجعل المثال من علوم الدين توطئة للحديث عن ببليوجرافيتها .

---

(١) بدأت المرحلة الثانية بإعداد « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » . كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ . ونشر عام ١٩٧٣ م . ورغم أن البداية كانت بهذه العلوم إلا أن الأساس العلمي الذي يقوم عليه ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية قد وضع فيما بعد :

الخطة العربية للتصنيف ؛ الأسس والإطار العام (١٩٧٦) . وهو بحث يحاول وضع الأساس العلمي لتنظيم المعرفة عند المسلمين في إطار نظرية حديثة للتصنيف ويعطي موجزاً كاملا للخطة العربية للتصنيف .

(٢) انظر لشيء من التفصيل عن الخطة العربية للتصنيف البحث المعنون : نحو نظرية اسلامية لتنظيم المعرفة ، والبحث المعنون : التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي ، في كتابنا هذا .

هب أن باحثاً يريد مصادر المعلومات حول قضية من القضايا أو مسألة من المسائل الدينية : في علوم القرآن أو في الفقه أو في علم الكلام ، الخ . مثال ذلك : إعجاز القرآن ، ترجمة القرآن ، قصص القرآن ، رد المطاعن عن القرآن ، الحقيقة والمجاز في القرآن ، أو القرآن والطب ، أو القرآن والزراعة ، أو أية قضية من القضايا المعاصرة التي عالجها المفكرون المسلمون في العصر الحديث وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة المعاصرة ، وما إلى ذلك من الأمثلة التي لا حصر لها .

وسوف نأخذ مثالاً واحداً حتى تكون الصورة أكثر واقعية ، وليكن : قصة الخليل إبراهيم عليه السلام . إن المصادر المحتملة لمثل هذا الموضوع المخصص هي مايأتي :

١ ــ المؤلفات التي ظهرت بصورة مخصصة عن هذا الموضوع بحيث تعالجه وحده .

٢ ــ ما قد يكون أعد من رسائل جامعية عن الموضوع .

٣ ــ فصل أو فصول داخل كتاب أو كتب عن قصص القرآن أو قصص الأنبياء .

٤ ــ ما كتب عنه في كتب التفسير .

٥ ــ ما كتب عنه في كتب الحديث .

٦ ــ المقالات التي كتبت في المجلات .

٧ ــ المقالات التي كتبت في الصحف اليومية .

ولكي يكون البحث كاملاً من الناحية النظرية فلابد أن يرجع إلى مصادر من الأنواع السابقة جميعاً .

والأنواع الثلاثة (١) ، (٢) ، (٣) ، مفيدة جداً كمداخل للموضوع ، ولو ظفر الباحث بها في بداية بحثه لأفادته كثيراً . ولو وجد رسائل جامعية ، فإذا كان يريد أن يعد رسالة عن الموضوع نفسه فسوف يغيره بطبيعة الحال حتى لا يدرس موضوعاً سبق دراسته على مستوى أكاديمي . أما إذا كان يريد أن يكتب شيئاً أو يقرأ شيئاً غير أن يعد رسالة ، فسوف تفيده المصادر الثلاثة ولكن يجب ألا يتوقف عندها إن كان يريد أن يضيف شيئاً إلى بحث الموضوع ، أو يبحث جوانب لم يسبق بحثها وإلا فما فائدة بحثه وأي غناء فيه .

سوف يتطلب الوصول إلى المصادر الثلاثة الأولى أن تكون المكتبات التي يرتادها الباحث مصنفة تصنيفاً دقيقاً ، بحيث تجمع معاً كل المواد التي تقتنيها عن الخليل ابراهيم . كما يتطلب أن يصل التصنيف في دقة تحليلاته إلى درجة الوصول إلى هذا الموضوع الصغير نسبياً .

وللأسف فحالة المكتبات العربية الآن ليست بهذه الصورة وليست على هذه الدرجة من دقة التحليل ، فهي إن كانت تصنف أصلاً تتبع تصانيف أجنبية أساساً عدلت في بعض الأماكن ، ولكن التعديلات عبارة عن رؤوس موضوعات عامة هي أسماء العلوم الكبيرة وليست تفريعاتها أو تحليلاتها الدقيقة . وأعتقد أن التصنيف الذي تم إعداده لعلوم الدين الإسلامي يحل هذه المشكلة بالنسبة لعلوم الدين الإسلامي .

فإذا ترك المكتبات إلى الخدمات الببليوجرافية ، فإن النوع الذي يتطلبه لإجابة سؤاله هو بطبيعة الحال الببليوجرافيات الموضوعية . ولكن هذا النوع من الببليوجرافيات غير موجود بالنسبة لعلوم الدين الإسلامي . قد يجد بعض المصادر في خدمات ببليوجرافية عامة ، ولكن لم توجد بعد ببليوجرافية شامة لعلوم الدين .

فإذا انتقل الباحث إلى الكتب التي تتناول موضوع الخليل عليه السلام بصورة غير مباشرة ، وهي كتب التفسير وكتب الحديث فسوف يكون للمسألة وجه آخر . فهذا النوع من الكتب يثير قضية هامة هي تكشيف كتب التراث . ذلك أن معظم ما أنتج في العلوم الشرعية هو إما من كتب التراث أو من الدراسات التي تعتمد عليها اعتماداً كبيراً . وكتب التراث بطبيعة الحال هي المادة الأصلية ، والدراسات الحديثة هي مادة ثانوية فيما عدا بعض الدراسات التي قد يكون لها جانب أصالة .

ولذلك فيجب ألا يتوقف الباحث عند الدراسات الحديثة لأنه سيكون ناقلاً أو مجتراً لآراء الغير ، فإذا أراد أن يضيف فلابد أن يرجع إلى التراث الأصيل ، فهو النبع الصافي لكل من أراد أن يدرس وأن يتفهم وأن يستنبط . لذلك أثرنا هنا قضية تكشيف التراث .

وقبل أن نتناولها نبدأ بكتب التفسير لأنها تثير مسألة أخرى ، وهي عدم وجود تحليل موضوعي مصنف لآيات القرآن الكريم . ذلك أن كتب التفسير تسير على النهج المسلسل ، أي وفق ترتيب السور والآيات في المصحف . وإن موضوعاً مثل الخليل عليه السلام يأتي في القرآن في أماكن متعددة ومتباعدة ، وفي غياب التحليل الموضوعي المصنف لآيات القرآن الكريم ، الذي يجمع الآيات وأجزاء الآيات التي تعالج موضوعاً معيناً في مكان واحد – في غيابه يتعين على الباحث أن يقرأ المصحف من أوله إلى آخره ليستخرج بنفسه تلك الآيات والأجزاء التي تقابلها من كتب التفسير .

ولحل هذه القضية لابد من إعداد مثل هذا التصنيف ، ويمكن التوسع في الفكرة بإعداد كشاف أو مفتاح للتفاسير ، وذلك بربط الآيات بعدد من كتب التفسير التي يتم اختيارها واعتمادها وتحديد طبعاتها لهذا الغرض .

ويمكن تطبيق الفكرة على كتب الحديث المختارة .

وقد يصلح كإطار عام لهذا العمل « التصنيف البيليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » على اعتبار أنه يغطي كل تفصيلات علوم الدين ، وعلى أساس أن الموضوعات التي عالجتها كتب التفسير هي موضوعات القرآن الكريم ، وهي تدخل في الإطار العام لعلوم الدين لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الرئيسيان الأصليان للشريعة الإسلامية وكل الدراسات مترتبة عليهما ومستخرجة منهما . ويمكن بطبيعة الحال التصرف في هذا الإطار العام بالإضافة أو الحذف أو التفصيل حسبما تقتضي الأمور .

ونعود الآن إلى كتب التراث الأخرى ، فنقول إن الكثير من هذه الكتب يتسم بسمتين هامتين :

أولاً – أنها تضم كتلاً كبيرة من المعلومات وتشتمل على جزئيات لا حصر لها . والبحث الحديث لا يحتاج فقط إلى معرفة ما هي عناوين الكتب والمقالات والرسائل ، الخ . ، التي تتناول موضوعاً معيناً ، ولكنه يحتاج إلى جزئيات المعلومات . فكيف الوصول إلى جزئيات المعلومات وسط كتاب من كتب التراث يجري في عشرين مجلداً أو أكثر أو أقل . وقد يكون البحث عن جزئية واحدة من هذه الجزئيات . وحينئذ فلابد من قراءة الكتاب كله . وهناك أمثلة لا حصر لها على هذا .

ثانيا – أنها تتسم بالموسوعية والاستطراد . فكثير من الكتب التي حدد لها مؤلفوها موضوعات معينة لا تقتصر على هذه الموضوعات ، وإنما تضم معلومات موسوعية . مثال ذلك : كتاب الحيوان للجاحظ ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، وصبح الأعشي للقلقشندي ، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، وحياة الحيوان للدميري ، والخطط للمقريزي ، وغيرها . فهذه الكتب وإن كان لها موضوعات محددة أصلاً إلا أن مؤلفيها لم يلتزموها ، وإنما تجاوزوها بسبب الاستطراد وتداعي الأفكار .

بل إن الكثير من كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والتراجم وتواريخ البلدان يصدق عليه صفة الموسوعية ، وحتى المعاجم اللغوية انجر بعضها إلى الموسوعية .

ولابد في الحالتين من إبراز المصطلحات الدالة في هذه الكتب وترتيبها ترتيباً مفيداً ييسر للباحث الوصول إلى كل الأماكن التي عولج فيها لفظ واحد أو عدة ألفاظ يريدها بدلاً من قراءة الكتاب كله – وهو جهد لا يتناسب مع البحث عن جزئية صغيرة من المعلومات – فإذا كانت هذه الكتب تحوي خزائن وكنوزاً فإن هذه المفاتيح هي التي تيسر الوصول إلى هذه الكنوز ، وهو مايعرف بالتكشيف أي التحليل الموضوعي الكامل لمحتويات هذه الكتب وليس مجرد الفهارس التقليدية التي يعدها المحققون والناشرون الآن لبعض كتب التراث ، مثل : فهرس الأماكن ، فهرس الأعلام ، فهرس القوافي ، الخ . فهذه لا تكفي وإنما المطلوب هو حصر كل المصطلحات التي لها دلالة وإبرازها في مداخل مستقلة وتحديد

أماكنها في النص ، بدلاً من الاضطرار إلى قراءة الكتاب كله أو أجزاء منه ، أو التوقف عن السعي غير المجدي ، فيفوتَ الباحث الجزئية التي يريدها مع أنها موجودة داخل الكتاب إلا أن طريقة التأليف وعدم التحليل عاقاه عن الوصول إليها .

ويمكن الاستفادة في هذا الصدد من إمكانيات الحاسب الإلكتروني ، من خلال إجراء دراسات معينة حول إعداد برامج لتحليل النصوص من خلال إعداد قوائم مصطلحات مقننة ودقيقة ومفصلة . ويمكن الاعتماد في هذا الصدد أيضاً على أنظمة تصنيف مفصلة ومتعددة الأوجه .

ونصل أخيراً إلى المقالات في المجلات والصحف وربما كانت هذه أعقد المشاكل جميعاً . فلكي يعرف الباحث ما كتب من المقالات في موضوعه لابد أن يرجع إلى :

١ - المجلات التي تتناول الموضوعات الدينية الإسلامية بصورة شبه متخصصة مثل مجلة الأزهر والفتح والمنار والتضامن الإسلامي .

٢ - ما كتب عن الإسلام في المجلات العامة ، وهذه كثيرة العدد .

٣ - ما كتب في الجرائد اليومية .

ومن الواضح أن حجم الإنتاج الفكري المطلوب البحث فيه هنا يصل إلى قدر يستحيل تماماً استيفاؤه . بل إن مجرد التفكير في هذا صعب .

وسوف أدلل على هذا بالقطاع الأول فقط ، وهو من حيث الحجم ربما كان الأقل عدداً والأكثر عائداً من حيث عدد المقالات التي يمكن أن يجدها الباحث . وسوف أجتزىء هنا فقط بالمجلات التي تم فهرستها وتصنيفها بالفعل في ببليوجرافية علوم الدين الإسلامي ، والتي سوف نتحدث عنها بعد قليل . لقد تم تحليل ٦٨ مجلة ، ووصل عدد المقالات إلى ما يقارب ٦٠ ألفاً . وهذا العدد لايمثل بحال من الأحوال إلا نسبة فقط من المجلات هي التي أمكن التوصل إليها ، ولا شك أن هناك عدداً آخر لم نصل إليه بعد لأسباب سوف نتحدث عنها بعد ذلك .

فإذا كان بحثنا هو الخليل ابراهيم عليه السلام ، فسوف يتعين البحث في هذا العدد الكبير من المجلات ومقالاتها لكي نصل إلى عدد محدود نسبياً من المقالات[1] .

---

(١) مما يجدر ذكره أن عدد المقالات التي أمكن التوصل إلها في ببليوجرافية « علوم الدين الإسلامي » هو ٧٧ مقالا ؛ وذلك في قصة الخليل عليه السلام في القرآن فقط . وهي تشغل الأرقام من ٩٢٦-١٠٠٢ تحت عنوان : قصص الأنبياء - والرأس الفرعي ابراهيم عليه السلام (ص ص ٥٢-٥٥ من المجلد).

ويمكن أن نخلص في نهاية عرضنا هذا لمشكلات البحث في مجال موضوعي محدد إلى حقيقة هامة ، وهي أنه في غياب المدخل الموضوعي الفعال في المكتبات العربية ، وفي غياب البيليوجرافيات الموضوعية التي تجمع معاً كل المواد المتعلقة بموضوع معين بكل تفريعاته ، في غياب هذا وذاك يكاد البحث الحقيقي الشامل يكون مستحيلاً .

ولا مفر والحال هكذا أن يعتمد الباحث على وسائل وأدوات وطرائق غير مقننة أو عفوية عرضية وغير كاملة . مثال ذلك : قوائم المراجع في نهاية الكتب ، الإشارات البيليوجرافية في هوامش الكتب ، ما يصل إليه بالصدفة خلال المحادثة مع أساتذته ، أو المناقشة مع زملائه . وكل هذه لا توصل إلا إلى قدر محدود مما يجب أن يصل إليه . وقد يكون القدر غير المعروف هو الأهم ، ذلك لأن ما عرف واشتهر بحث ، أما ما لم يعرف فلم يبحث بعد .

ومما هو جدير بالذكر أنني عددت فقط المصادر المطبوعة ، أما المخطوطات فلها شأن آخر[1] .

ويمكن أن نخرج من النتيجة السابقة بنتيجة أخرى خطيرة ، وهي أن الأبحاث العربية لا تعتمد على مصادر كاملة ، وهذا يؤدي إلى عدم كمال البحوث نفسها بسبب نقص المصادر . هذا فضلاً عن أن البحث في المصادر غير المقننة على قلة عائده وضعف جدواه يستغرق وقتاً ويضيع جهداً ، في حين أن الاعتماد على البيليوجرافيات الموضوعية المنظمة تنظيماً جيداً يؤدي إلى الوصول إلى مصادر المعلومات في دقائق قليلة ، وهي مصادر كاملة .

كانت هذه الأفكار والأمور بين يدي وملء وجداني أثناء عملي في البحث المشار إليه ، وكنت أحس بمدى ما يعانيه الباحث العربي في تلك الموضوعات من صعوبات ومدى مايتعرض له من مشكلات ، والخلاصة هي أن البحث العلمي في المجالات المشار إليها لا يمكن أن ينهض بدون توفير الخدمات البيليوجرافية الموضوعية التي لابد وأن تعتمد في تنظيمها على نظام عربي للتصنيف يعالج بكفاية الموضوعات العربية والإسلامية وينبثق من نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة لا شرقية ولا غربية .

وكان يزكي هذا الإحساس ويقويه أنني أنتمي إلى طائفة البيليوجرافيين والمصنفين ، وأنني كنت أعمل منذ سنوات على توفير المدخل الموضوعي العربي متمثلاً في الخطة العربية للتصنيف ، وهذا يضع على عاتق المرء مسئولية أكبر ، ويشعره أكثر من غيره بالإلتزام بحل قضايا ومشكلات الباحث العربي ، خاصة وأن هذه الأعمال منوطة بأجيال البيليوجرافيين

---

(١) لمعرفة أثر ذلك على الأبحاث أنظر بحثنا : قضية التراث في هذا الكتاب وهو يضم تفاصيل بالنسبة لقضية المخطوطات .

والمصنفين ، وقد كنت ولا أزال مشاركاً في مسئولية إعدادهم وتخريجهم في معاهد المكتبات مع غيري من الزملاء ، فكان ثمة جانب آخر من المسئولية يتمثل في ضرورة زرع هذه القضايا في عقولهم حتى يحسوا بمعاناة الباحث العربي ، وأنهم مسئولون بعد تخريجهم عن تلافي النقص وحل المشكلات وسد الفجوات .

ومما يشعر المرء بالألم أننا إذا انتقلنا إلى اللغات الأوربية ، فسوف نجد أن البيليوجرافيين هناك قد خدموا الإنتاج الفكري للغاتهم وموضوعاتهم بصورة كاملة ، وأن الباحث هناك يجد كل ما يريده بصورة كاملة وسهلة وبسرعة ، وهذا يوفر له الوقت والجهد والجو النفسي المناسب لعملية البحث ، ولاشك أن الضبط البيليوجرافي بمفهومه الشامل هو سر تقدم هؤلاء في البحث العلمي .
بل انه مما يزيد الإحساس بالألم أن هذا الكلام يصدق على الإنتاج الفكري الغربي عن الموضوعات العربية والإسلامية ، فقد لقى عندهم نفس الاهتمام ، فقد اهتم المستشرقون بهذه القضية منذ بدء اهتمامهم بالدراسات الإسلامية بالمعنى الواسع ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى الكشاف الإسلامي الذي أعده بيرسون Pearson لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية Soas بجامعة لندن . فهذا الكشاف يضم تحليلاً لمقالات المجلات التي تهتم بالدراسات الإسلامية بالمعنى الواسع(١) وذلك في سبع لغات أوروبية حية من بينها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية .

ويبدأ الكشاف بسنة ١٩٠٥ ويضم مجلده الأول والأساسي تحليلاً لخمسين سنة حتى نهاية ١٩٥٥ ، وخطته هي أن يغطي السنوات التالية بملاحق يضم كلمنها خمس سنوات(٢) .
وقد سجل بيرسون في مقدمة المجلد الأول أن العمل يضم تحليلاً للمقالات باللغات الأوروبية الأساسية ، وأنها تعد المادة الثانوية وأن المادة الأصلية Primary Material هي تلك المادة التي توجد باللغات الإسلامية وفي مقدمتها اللغة العربية . ولاشك أن اللغة الأولى في هذه الدراسات هي اللغة العربية لأنها لغة الإسلام ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكل الدراسات في اللغات الأخرى بما فيها اللغات الإسلامية الأخرى تأتي بعدها في الأهمية .

ولابد أن أعترف هنا بأن وجود كشاف بيرسون كان أحد الأسباب التي دفعتني إلى التفكير في إنجاز العمل ، فنحن أولى بدراساتنا وبعلومنا من المستشرقين وغيرهم . ولكن هذه قضية أخرى لا داعي للحديث عنها الآن .

---

(١) أي كل العلوم باستثناء العلوم البحتة والتطبيقية ، كما صرح بذلك بيرسون في مقدمة الكشاف .
(٢) صدر منه حتى سنة ١٩٨٥ خمسة ملاحق يغطى كل ملحق منها خمس سنوات وهي في مجموعها تغطي حتى سنة ١٩٨٠ .

مشكلات تعترض التنفيذ :

عندما بدأ التفكير في إنجاز العمل ، كان من الضروري التفكير فيما قد يعترض ذلك من صعوبات وما قد يلاقيه من مشكلات ومعوقات ، وهناك في الحقيقة عدد من المشاكل الرئيسية منها ما هو فني وما هو إداري ومنها ما يتعلق بالمجلات نفسها وصعوبة الضبط الببليوجرافي . وسوف أحاول أن أضع هذه المشاكل أمام كل المهتمين لأنها في الحقيقة مشكلات تعترض أي عمل من هذا النوع ، ولذلك فان تسجيلها قد يكون حافزاً على محاولة التغلب عليها .

أولا : أول المشكلات هو ضخامة المجال الذي نفكر في إعداد ببليوجرافيات له ؛ فان التفكير في إعداد ببليوجرافيات موضوعية لكل العلوم العربية وجميع فروع المعرفة معناه تغطية مجال هائل من الإنتاج الفكري المطبوع والمخطوط ولكي تبدو المشكلات في صورة محددة ومحسوسة فلا بأس من محاولة حصرها بالنسبة لمجال موضوعي واحد فقط وهو علوم الدين الإسلامي ، وهو مجال واحد من عشرات المجالات التي لابد من تغطيتها :

١ – الإنتاج الفكري لعلوم الدين اسلامي يغطي من حيث المدى الزمني ثلاثة عشر قرناً .

٢ – ويغطي من حيث المكان الأقطار الآتية : المملكة العربية السعودية ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، العراق ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، مصر ، السودان ، موريتانيا ، الصومال ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، قطر ، الإمارات ، البحرين ، الكويت ، إيران ، أفغانستان ، باكستان ، الهند ، سيلان ، تركيا ، وسط آسيا (بما فيها الأجزاء المسلمة من الاتحاد السوفيتي) الصين ، أندونيسيا ، أفريقيا الشرقية ، أفريقيا الغربية . وهذه هى البلاد التي يوجد فيها المسلمون .

٣ – ويغطي من حيث اللغات عدداً كبيراً من اللغات منها على سبيل المثال : العربية ، الفارسية ، الأردية ، التركية وغيرها من اللغات الإسلامية ، ثم لغات أجنبية منها : الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية . فهو يوجد في كل مكان في العالم وفي لغات العالم كلها تقريباً .

٤ – ومن حيث أنواع المواد يغطي المواد الآتية :

(أ) المخطوطات ؛ وحالتها من حيث عدم الحصر والجمع والفهرسة والتصنيف ومن حيث التشتت في كل أنحاء العالم ماهو معروف . بل إن مشكلات المخطوطات وحدها تعد مشكلات موازية قائمة بذاتها وتحتاج إلى معالجة مستقلة . وينطوي هذا على الفحص الدقيق والشامل لمئات المجلدات من فهارس المكتبات ، أما

ما لم يسجل فله قصة أخرى .[1] .

(ب) المطبوعات وتشمل :

— الكتب .

— المجلات .

— الصحف .

— الأبحاث .

— كما تضم الرسائل الجامعية سواء أكانت منشورة أم غير منشورة .

ولاشك أن هذا المجال ضخم بالنسبة لموضوع واحد ، فما بالك بكل الموضوعات . ولذلك فقد كان من الضروري التفكير في إنجاز العمل على مراحل من خلال سلسلة من البيليوجرافيات ، بل كان من الضروري أن نجتزىء بأنواع معينة من المواد في موضوع واحد ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهر أبقى ، وسوف نتحدث عن خطة العمل عند الحديث على علوم الدين الإسلامي ، خاصة وأن التحرك هو في إطار المشكلات الأخرى وليس مشكلات الحصر وحدها .

ثانياً : كانت المشكلة الثانية هي : من الذي يتولى المسئولية المالية عن التنفيذ ، ويقوم بحل المشكلات الإدارية ومشكلات الطبع والنشر ؟ وهذه مشكلة من الممكن أن تعوق العمل حتى على فرض حل المشكلات الأخرى . ذلك أن المشروعات الكبرى مثل دوائر المعارف والقواميس ومعاجم التراجم وأنظمة التصنيف والببليوجرافيات الضخمة من هذا النوع ، وغير هذه من الأدوات الثقافية والمرجعية الهامة تحتاج إلى تنظيمات ومؤسسات لا يكون هدفها الربح المادي ، أو هكذا ينبغي أن يكون الأمر ولو في سنوات الإنشاء والتأسيس ، فإذا ماثبتت أقدامها يمكن بعد ذلك أن تعامل على أساس تجاري .

والناشرون في منطقتنا العربية يهتمون بالأعمال التي تعد في أقصر وقت ممكن وينفق عليها أقل قدر من المال وتحقق أكبر عائد في أسرع وقت ممكن . النشر في بلادنا ليست له رسالة وإنما هو تجارة محضة تطبق عليها القوانين التي تطبق على التجارات الأخرى من حيث الرواج ودوران رأس المال . وهذا يؤدي إلى عدم ظهور كثير من الكتب والدراسات والمشروعات والأبحاث التي لها قيمة علمية محققة ولكن ليس لها رواج تجاري محقق .

وحتى الهيئات الناشرة الحكومية أو شبه الحكومية ، وهي التي يفترض أن تنهض بمثل هذه المشروعات التي تحتاج إلى مال وإمكانيات ولا تحقق عائداً سهلا أو سريعا ، حتى هذه

---

(١) انظر بحثنا : قضية التراث .

الهيئات تخلت عن مسئولية رسالة النشر وتحولت بصورة أو أخرى إلى تجارة الكتب ونسيت أو تناست رسالة النشر .

هذا فضلا عن أن مثل هذا العمل يحتاج إلى حرية في الحركة عند التنفيذ ، يحتاج إلى منفذ مقتنع لايجد المرء ضرورة أو صعوبة في إقناعه بكل خطوة من الخطوات والا تحرك العمل ببطء شديد وأصبح عرضة للتعثر . هو يحتاج باختصار إلى عقليات علماء لا إلى عقليات تجار أو موظفين بما يتضمنه ذلك من مكاتب ولجان ومجالس ومؤتمرات ، فان هذا التعدد وحده كفيل بالقضاء على أى مشروع بعد أجل قصير أو طويل ، وهذا سوف يؤدى إلى معاناة العمل في النهاية .

ورغم أنه قد تحقق من المشروع حلقة صغيرة في سلسلة طويلة ، إلا أنها قد ولدت وسط معاناة طويلة ومريرة . ولازال هذا المشروع يحتاج إلى منفذ أو بالأحرى منفذين يتحررون من قيود الروتين والبيروقراطية وطول الإجراءات والمذكرات الكثيرة في كل خطوة ، أى كل تلك الأمور التي تقتل العمل والبحث العلمي . وهذا يترك الباب مفتوحا أمام المؤسسات العلمية وعلى رأسها الجامعات ذات الاهتمام للتعاون في تنفيذه بالصورة وبالشروط التي تكفل له النجاح والاستمرار وتحل له كل المشكلات .

وليس من الضروري أن يكون مسئولية هيئة واحدة ، فان المجال واسع ، ويمكن أن يتبدى في هذا النوع من المشروعات في أجلى صورة التعاون التعلمي ، فيتعاون عدد من الهيئات في إنجازه كل وفق تخصصه : الجامعات الإسلامية والهيئات المشابهة تتولى إنجاز الموضوعات التي تدخل في مجال اختصاصها ؛ الجامعات والهيئات التقنية تهتم بالموضوعات التي تدخل في مجال اهتمامها ، وهكذا . ويتم التنفيذ وفق خطة عامة شاملة ووفق أسس مشتركة يتفق عليها ويسهم كل بنصيب في إنجاز الخطة العامة .

ثالثاً : المشكلة الثالثة هي نقص الفنيين المؤهلين المدربين اللازمين لإنجاز مثل هذا المشروع . والحقيقة أن نقص الببليوجرافيين مشكلة كبرى تعترض المكتبات العربية في إنجاز أعمالها ، حتى تلك الأعمال اليومية . ويتجلى هذا أوضح مايكون في الكادر البشري اللازم لانجاز المشروعات الكبرى مثل خطة التصنيف العربية ، أو الببليوجرافيا الموضوعية العربية .

والمشكلة ذات جوانب متعددة ، فنحن لم ننجح حتى الآن في تخصيص الفنيين المتفرغين لانجاز العمل . وحتى ذلك الجزء الذي تم اعتمد على أشخاص لهم أعمالهم الرئيسية وشاركوا في العمل بصورة غير المتفرغين ، ولذلك كانوا يتساقطون الواحد تلو الآخر في منتصف الطريق ، وليس هناك مايلزمهم أو حتى مايحفزهم على الإستمرار . ولذلك افتقر العمل إلى الثبات والاستمرار ، وكان الإنسان يحس طول الوقت بعدم الأمان .

ومن جهة أخرى فإن تطوير نظام عربي للتصنيف داخل معمل الببليوجرافيا الموضوعية العربية يحتاج إلى كفاءات من طراز خاص . فقد يكون من نتيجة تطبيق نظام التصنيف لموضوع معين على عدد كبير من وحدات الإنتاج الفكري متمثلة في الكتب والمقالات – قد يكون من نتيجة ذلك إعادة تنظيم بعض الأجزاء في نظام التصنيف ، أو إعادة ترتيب ، أو إضافة ، أو حذف ، أو إدماج ، أو تفصيل . ويتبع هذا بطبيعة الحال تعديل الأجزاء المقابلة في الببليوجرافية ، قبل طبعها . وهذه مسألة معروفة في كل أنظمة التصنيف ، لأن نظام التصنيف متطور أبداً ، إذا أنه يلاحق تقدم المعرفة البشرية وتقدم البحث العلمي في مجاله . والبحث العلمي المستمر أبداً يأتي كل يوم بموضوعات جديدة وتفاصيل جديدة وعلاقات موضوعية جديدة . فاذا أريد لنظام التصنيف أن يكون ممثلا للمعرفة في مجاله ، فلابد أن يتابع عن كثب تقدم المعارف في هذا المجال وأن يجسد التطورات الحادثة فيه . ولذلك فإن أية طبعةٍ من نظام التصنيف تتقادم في الوقت الذي يدفع فيه بها إلى المطبعة ، لأنه في ذلك الوقت تكون معارف جديدة قد استحدثت . فأنظمة التصنيف بعيدة كل البعد عن أن تكون ثابتة ، بل إن الثبات صفة غير محمودة في نظام التصنيف ، وهي كفيلة بتدميره .

وللأسف فان الكادر البشري الذي يمكنه أن يتحمل مسئولية المشاركة في التفكير والمشاركة في التطوير هو كادر غير موجود . أقصى مايوجد الآن كادر من المفهرسين والمصنفين فحسب . ومثل هذا العمل يتطلب تدريب كادر من نوع آخر . ولا يمكن أن يتم هذا التدريب إلا في إطار تبني المشروع من جانب هيئة أو مؤسسة مهمتها البحث ، وتوفير العدد اللازم من الفنيين المؤهلين أولا وعلى أساس تفرغهم لانجاز هذا العمل .

وللقضية جانب آخر وهو توجيه الدراسة في معاهد المكتبات في المنطقة لخدمة مثل هذه المشروعات الحيوية حتى لا نقف موقف المتفرج مما يحدث من تطورات في قضايا المعلومات . وهذا يتطلب التركيز في التدريس على نظرية التصنيف وليس فقط على التصنيف العملي ، ثم هو يتطلب التعليم المستمر لهؤلاء الذين يتولون في المستقبل مهمة إنشاء وتطوير هذه المشروعات . وبذلك يمكن أن نؤسس علم المكتبات العربي الإسلامي وتكون لنا مدرسة للتفكير في القضايا المختلفة ولا نكون باستمرار تابعين لهذه المدرسة الفكرية أو تلك .

كما أن هذا يتطلب توجيه جانب من الأبحاث لدرجتي « الماجستير والدكتوراه » إلى هذه القضايا لبحثها على مستوى أكاديمي معمق وشامل .

رابعاً : كانت المشكلة الرابعة هى صعوبة الحصول على المواد ، وخاصة المجلات وتحتاج الفهرسة والتصنيف للكتب ومقالات المجلات إلى تناول البيانات الوصفية لكل كتاب أو مقال وهذا يتطلب أن يكون بين يدي المفهرس بطبيعة الحال . كما أن تقدير المادة الموضوعية ، وهو ما نسميه بتحديد الموضوع يحتاج إلى قراءة أجزاء من المقدمة وأحيانا من

النص . وهذا يصدق على المقالات بصفة خاصة لأن المقال لا يضم مايضمه الكتاب من قائمة محتويات أو مقدمات . وكل هذا يستغرق وقتاً ، الأمر الذي يحتم وجود المواد وسهولة الحصول عليها .

والمجلات لا تعار كما هو معروف ، ومن ثم فمن الضروري أن ينتقل المفهرس إليها . فاذا قرنا هذه الصعوبة بتلك التي سجلناها في (ثالثاً) وهي عدم تفرغ المفهرسين لعرفنا كيف أن الوصول إلى المواد يحتاج إلى جهد خاص ويلاقي صعوبات شديدة . ويمكن حل المشكلة عن طريق بدائل متعددة تتكامل فيما بينها :

١ - حل المشكلة المسجلة في ثالثاً . وحينئذ يمكن توجيه الببليوجرافيين إلى المكان الذي توجد فيه المواد .

٢ - تعاون المكتبات بتقديم التسهيلات المناسبة .

٣ - العمل على اقتناء نسخة من المواد سواء الكتب أو المجلات أو غيرها ، والإستفادة من الوسائل التقنية المتقدمة في ذلك ، مثل الميكروفيلم وغيره من المصغرات الفيلمية وذلك بالنسبة للمواد التي نفدت من السوق ويتعذر الحصول على نسخ أصلية منها . والمصغرات تؤدي خدمة أخرى إضافية هي توفير الحيز لأن المواد وخاصة المجلات تحتاج إلى حيز كبير .

٤ - وإن اقتناء المواد نفسها يحقق وظيفة أخرى هامة هي وجود الكشافات والببليوجرافيات مقترنة بالمواد نفسها ، فيجد الباحث المواد التي تعالج موضوع بحثه محللة في الأولى ثم يستعملها في نفس المكان دون حاجة لى الانتقال إلى أماكن أخرى .

وبطبيعة الحال لايمكن لكل المكتبات أن توفر كل المواد في كل الموضوعات ، فهذا أكبر من مواردها المالية ، وأكبر من إمكانياتها المكانية ، وأكبر من قدرتها البشرية . ولذلك فإننا نقترح أن تكون هذه مسئولية هيئات متعددة على نفس النمط الذي أوضحناه من قبل بحسب التخصص . فيكون هناك مثلا : مركز المعلومات الإسلامي . للمواد التي تعالج الموضوعات الإسلامية . وهذا يتطلب أن يكون هذا المركز في إطار :

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية .

ويكون نواة لما يقوم به المركز الأخير من أبحاث . وهو وحده الكفيل بنجاح أعماله . لأن الأساس في البحث العلمي هو عناصر متعددة هي : الباحث ، والمادة المقروءة ، والخدمات الببليوجرافية . وإن العنصرين الأخيرين هما اختصاص المركز الببليوجرافي ، ويبقى توفير الباحث وهو عنصر من ثلاثة : ويمكن أن يكون هذا بمثابة بنك المعلومات الإسلامي . (انظر رقم ٥ أدناه).

٥ - ويمكن هنا أيضاً الاستفادة من التقنيات الحديثة ممثلة في الحاسب الآلي فإن تحديث المادة وإصدار الطبعات المتتابعة ، والإصدارات الجارية لابد وأن يحتاج لعمل الحاسب ، فضلا عن أنه سيكون قاعدة المعلومات التي تكون بنك المعلومات الإسلامي .

٦ - تعاون الأفراد من العلماء والباحثين بتقديم مالديهم من مجموعات خاصة . وإذا كان من الصعب على العالم والباحث أن يتخلي عن مجموعاته ، فلا أقل من تقديم التسهيلات الممكنة في هذا الصدد للإعلام عن محتوياتها . خاصة وأن هناك مجلات أو كتبا قد لا توجد في المكتبات العامة وتوجد في المكتبات الخاصة .

ويدخل في هذا تعاونهم في تقديم المعلومات عن المجلات والكتب التي توجد في حوزة آخرين ممن يعرفونهم .

٧ - تعاون الهيئات العلمية في هذا المجال بتقديم الخدمات والتسهيلات الممكنة للتصوير أو خلافه .

٨ - تعاون الناشرين بتقديم نسخة من منشوراتهم من الكتب والمجلات الجديدة والتسهيلات بالنسبة للمواد القديمة . ومن المفيد أن يدرك هؤلاء الناشرون أن وجود الكتاب أو المجلة في ببليوجرافية ما سيؤدي إلى طلب متزايد عليه من جانب الباحثين ، الأمر الذي يؤدي إلى رواجه .

٩ - تعاون المؤلفين بإعداد مستخلصات في بداية الكتاب أو المقال تعطى فكرة واضحة عن مضامين وموضوعات الكتب والمقالات . وهذا يساعد على دقة التصنيف ويوفر وقت المفهرسين وبذا يقلل من الوقت اللازم للإعداد .

خامساً : المشكلة الخامسة هي صعوبة الاتصال بين الأقطار العربية المختلفة للحصول على المعلومات الببليوجرافية . فالمكتبات العربية لاتزال تمر بصعوبات متعددة في كثير من الأقطار العربية . ولذلك فإنها مشغولة بمشكلاتها الخاصة . ولذلك فالكثير منها لايرد على المكاتبات الخاصة بالعمل ، أو لايهتم أصلا بالمشاركة في أمثال هذه الأعمال الهامة والاعتذار عنها .

وبعض المكتبات قد يكون لها العذر ، والبعض الآخر قد يعتذر دون داع . وأحيانا ترسل البطاقات ولا تصل ، وقد حدث هذا في حالتين على الأقل . وسواء أكانت هذه لها صعوبات حقيقية أم لا ، فإن النتيجة النهائية هي أن هناك صعوبات في الاتصال ، وصعوبات في المشاركة .

ومن الأمور المسلمة أن تنفيذ المشروعات الإقليمية أو الدولية الطموحة لابد وأن يعتمد على خدمات وطنية فعالة وقوية ، وتكون وظيفة الخدمة المركزية أو الجهاز الببليوجرافي

المركزى هي التنسيق والتكامل والإدماج والتوحيد ، فهذه الخدمات المركزية لاتبد أمن القمة – وإنما تبدأ من القاعدة وهي الخدمات الوطنية .

ويبدو أن مثل هذه المشروعات يعد سابقاً لحالة النمو والنضج التي تمر بها معظم المكتبات في الوطن العربي والخدمات الببليوجرافية العربية . ولكن ليس معنى هذا هو نبذ الفكرة والتوقف عن العمل ، لأن وجود هذه الخدمات سوف يؤدى إلى إثارة الوعي أو الاهتمام من جانب المكتبات والخدمات الوطنية . والمهم في هذا الصدد هو أن يوضع في الاعتبار أن من بين ضمانات النجاح لمثل هذا العمل عدم الاعتماد على مجرد الاتصال بين الأقطار العربية ، وإنما لابد أن يكون من بين اختصاصات وإمكانيات المركز الببليوجرافي الإسلامي وغيره من المراكز القدرة على الحصول على المعلومات والقدرة على الانتقال إلى المادة حيثما وجدت لا أن تنتقل المادة إليهم . وهذا هو الذي يضمن الاستمرار والنجاح .

سادساً : هناك صعوبات فنية متعددة منها عدم الاتفاق حتى الآن على قواعد موحدة للفهرسة ، وعدم توافر نظام تصنيف كامل ، وعدم وجود قوائم استناد بالنسبة لأسماء المؤلفين . وعلى أي حالة فمع أن هذه صعوبات حقيقية ، إلا أنها مثل سابقتها ، فقد يؤدي تنفيذ المشروع إلى خلقها . وليس المهم أن نبدأ من القمة أو من القاعدة ، ولكن المهم هو أن تتوافر هذه الأعمال والأدوات في النهاية . وإن تنفيذ هذا المشروع سوف يؤدي إلى توفير هذه الأدوات في النهاية .

الببليوجرافية الموضوعية لعلوم الدين الإسلامي :

إن الصعوبات التي ألمحنا إليها والمشكلات التي يواجهها الباحث العربي تتضح في علوم الدين الإسلامي أكثر من غيرها . وقد أعطينا أمثلتنا من هذه العلوم لأنها هي النموذج الذي تحقق جانب كبير منه : فقد تم إعداد تصنيف ببليوجرافي لها ، كما تم إعداد ببلوجرافية موضوعية لها تتمثل في تحليل كامل لمحتويات عدد كبير من المجلات الإسلامية في نسق مصنف .

وبسبب صعوبات المجالات التي تناولناها ، كان من الضروري أن نجتزيء عند التطبيق والتنفيذ . ويمكن أن نلخص فيما يلي الخطوط الرئيسية التي سار عليها التخطيط والتنفيذ :

١ - لايمكن بطبيعة الحال تنفيذ الببليوجرافيا الموضوعية العربية دفعة واحدة . ولذلك فإن الخطة هي تناول كل موضوع على حدة . وقد كان الموضوع الأول الذي وقع عليه الاختيار هو : علوم الدين الإسلامي .

٢ - يسير العمل في خطة التصنيف العربية مع الببليوجرافية ، فالأخيرة بمثابة معمل للأولى ، والأولى أداة لتنظيم الثانية . وفي حالة الموضوع الأول فقد كان هناك نظام تصنيف جاهز ومطبوع . ولكن الخطة فيما يتعلق ببقية الموضوعات هي أن يعد نظام تصنيف لكل موضوع يقع عليه الاختيار . ولهذا الغرض فقد تم عملان آخران :

(أ) إعداد الإطار العام لخطة التصنيف العربية في إطار من نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة . وقد أعد كتاب مستقل بهذا الموضوع يتضمن الأقسام الرئيسية لخطة التصنيف العربية مرتبة وفق تصور إسلامي للمعرفة بحيث تسبق العلوم الإسلامية والعربية غيرها في نظام التصنيف .

(ب) تم إعداد تصنيف للتربية والتعليم (يشمل علم النفس التربوي) كحلقة أخرى في التصنيف تطبق في إعداد ببليوجرافية للتربية .

٣ - فيما يتعلق بعلوم الدين الإسلامي فإن الإنتاج الفكري فيها ضخم ومتشعب ومتعدد اللغات . والحقيقة أن الخطة الأصلية للعمل تقتصر على اللغة العربية وحدها . وهذه لاتزال تضم إنتاجا ضخما جداً . ولذلك فقد اجتزأنا هنا أيضاً :

(أ) اقتصرنا على المطبوعات دون المخطوطات . وذلك أن للأخيرة مشكلات خاصة وتحتاج إلى معالجة وترتيبات خاصة ، هي في الحقيقة أكبر من طاقة مشروع ببليوجرافي .

(ب) رغم أن الخطة الأصلية تتضمن الكتب إلا أن تنفيذها قد أجل ولذلك اقتصر في المرحلة الأولي على المجلات .

(ج) أجلت الصحف اليومية .

(هـ) اقتصر على المجلات التي تتضمن بصفة أساسية علوم الدين الإسلامي أما المجلات العامة أو الأدبية ، الخ . التي تتضمن مقالات في الإسلام فقد أجلت مؤقتاً ، وذلك لأنها تحتاج إلي عمل كثير من جانب المصنفين في حين أن عائدها محدود من المجلات . ومادامت خطتنا تتناول كل الموضوعات ، فسيأتي الدور علي هذه المجلات ، وحينئذ سوف تحلل جميعاً . والعمل مستمر كما هو مفروض ولذلك يمكن أن تضمن المقالات التي يتوصل إليها الملاحق أو الطبعات المتتالية أو الإصدارات الجارية .

أى أن مابدأنا به هو المجلات الإسلامية بصفة خاصة ، وهي ليست قليلة كما سيتضح بعد قليل .

خطوات العمل :

وسط الصعوبات التي عددناها بدأ العمل في تنفيذ ببليوجرافية علوم الدين الإسلامي (المجلات) . وقد تضمن التنفيذ خطوات وتفاصيل لاحصر لها . وليس هناك ما يدعو الآن للخوض في كل التفاصيل فهذه مكانها الطبيعي مقدمات العمل نفسه . ولكننا نكتفي بتعداد أهم الخطوات والمراحل وبصفة عامة :

أولا : بدأ التنفيذ في يناير ١٩٧٤ م (١٣٩٤ هـ) . وكان يصاحب العمل الببليوجرافي البدء في تجريب الخطة العربية للتصنيف (علوم الدين الإسلامي) كما أوصى بذلك المؤتمر الأول للإعداد الببليوجرافي بالرياض ١٩٧٣م /١٣٩٣ هـ . ولما كان الموضوع واحداً وهو الدين الإسلامي ، ولما كان العمل في كل منهما مكملا للآخر ، لذلك فقد تم اختيار المكتبات التي اشتركت في العمل على نفس الأسس .

ثانياً : كان العمل يسير في اتجاهين :

- تشكيل لجنة من المتخصصين في القاهرة .
- الاتصال بالمكتبات في الأقطار العربية المختلفة .

ثالثاً : تم اختيار أربعين مكتبة في كافة الأقطار العربية ، وفق معيارين :

- إما أن تكون مكتبة متخصصة في الدراسات الإسلامية ، كأن تكون مكتبة جامعة أو كلية إسلامية ، أو وزارة للشئون الدينية ، الخ .
- أو أن تكون مكتبة وطنية أو جامعية كبيرة بحيث تغطى مجموعاتها بالضرورة علوم الدين الإسلامي بصورة كافية .

وقد أرسلت نسخ من نظام « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » إلى المكتبات الأربعين المختارة ، ومعها مذكرات مفصلة بطريقة التطبيق والتنفيذ ، وذلك لمساعدة العاملين في المكتبات ، وضمانا للتوحيد .

رابعاً : تم اتصال مباشر بين كاتب البحث وبين المكتبات المختارة في سبع دول عربية لها ثقل في موضوعات الدين الإسلامي ، وذلك للتفاهم حول التنفيذ . وقد كانت حصيلة الاتصال الذي تم خلال جولة في هذه البلاد ممتازة من الناحية الفكرية والمعنوية ، رغم أن عائده من المساهمة لم يكن كبيرا بسبب ظروف المكتبات العربية والتي ذكرتها ضمن المشكلات .

ومع ذلك فقد أمكن الوصول إلى عدد كبير من المجلات التي تصدر في تلك الأقطار ، وقامت اللجنة المشكلة في القاهرة بإعدادها .

خامساً : بعد المراحل الإعدادية والتمهيدية السابقة سارت الخطوات العملية الفنية على النحو الآتي :

١ - حصر المجلات في المكتبات المختلفة وإجراء تنسيق فيما بينها .

٢ - توزيع العمل بين أعضاء اللجنة من جهة ، وبين المكتبات المشتركة حتى لايحدث تكرار .

٣ - إعداد صيغة للوصف الببليوجرافي يسير عليها الجميع . وقد تم فهرسة المقالات وفقا لها .

٤ - تصنيف المقالات وفقاً لخطة « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » .

٥ - صف البطاقات حسب أرقام التصنيف ، وفي داخل كل رقم بالمؤلفين ، الخ . ، على ماسيأتي في تنظيم الببليوجرافية .

٦ - المراجعة الشاملة للفهرسة والتصنيف ، وإجراء عمليات التوحيد فيهما . وقد كانت عملية شاقة نظرا لتعدد الأشخاص المشتركين وتعدد الممارسات رغم أن الصيغة واحدة ، إلا أن التطبيق قد تفاوت لصعوبة السيطرة على كل هذا العدد من الأفراد والمكتبات المتباعدة .

٧ - المراجعة النهائية للبطاقات قبل ترقيمها .

٨ - إعداد (ماكيت) لكل مجلد من المجلدات من حيث الشكل وإجراء التجارب عليه .

٩ - ترقيم البطاقات ، وقد تقرر في هذا الصدد ترقيم كل موضوع على حدة .

١٠ - كتابة البطاقات على الآلة ، وتتضمن كل صفحة عمودين ، ثم مراجعة ماكتب وتصحيحه .

١١ - تصوير الصفحات بعد التصحيح .

١٢ - الطباعة والتجميع والتجليد .

تنظيم الببليوجرافية :

أولا : التنظيم الرئيسي هو قسمة المادة والتي تقارب الستين ألفا من المقالات على عدد من المجلدات متناسبة في الحجم ، وقد روعي في ذلك التجانس الموضوعي بمعنى أن يضم كل مجلد موضوعا واحداً بقدر الإمكان . وأحيانا يكون الموضوع أكبر من أن يتضمنه مجلد واحد .

وعلوم الدين الإسلامي التي يتضمنها نظام التصنيف والتي وجدعنها في المجلات العربية المحللة إنتاج فكري هي :

ء الإسلام عامة
د - ب علوم القرآن (ماعدا القراءات والتفسير)
ح القراءات
د التفسير والتفاسير
ص - ر، علوم الحديث
ر علم دراية الحديث
س علم رواية الحديث
ص السيرة النبوية
ط علم أصول الفقه
ع علم الفقه
ف علم الكلام
م - ك الفرق
و - هـ التصوف والطرق الصوفية
لا الإحياء والإصلاح والتجديد

ثانياً : يسير التنظيم في كل مجلد على النحو الآتي :

١ - تقديم .

مقدمة مختصرة توضح التنظيم وطريقة الاستعمال ، وتضم بصفة عامة العناصر اللازمة للمستفيد لكي يصل إلى مايريد . وسوف نعود إليها بعد .

٣ - صفحة تضم أرقام الشهور العربية (الهجرية) والأجنبية (الميلادية) وأسماءها .

٤ - قائمة بأسماء المجلات واختصاراتها . وسوف نسجلها بعد .

٥ - قائمة المحتويات . وهي تضم كل الموضوعات التي عولجت في المجلد ، وتسير وفقاً لنظام التصنيف المستعمل ، وتعطى إلى جانب أرقام التصنيف أرقام الصفحات التي عولجت فيها الموضوعات تسهيلا للباحث . وسوف نعطى نموذجا على الموضوعات التي عولجت في مجلد علوم القرآن كمثال توضيحي يوضح تنوع المادة التي عولجت في الببليوجرافية .

٦ - ثم يبدأ الجسم الرئيسي للببليوجرافية مقسما على الموضوعات الرئيسية ومعها أرقام

التصنيف ثم الموضوعات المتفرعة منها وهكذا . ويبدأ كل موضوع بالمقالات العامة فيه .

٧ – قسمت الصفحة إلى عمودين وتضم كل صفحة في حدود عشرين مقالا .

٨ – في أعلى الصفحة سجل رأس الموضوع الجاري أي الذي عولج في الصفحة يصاحبه رقم التصنيف . والهدف من هذا هو تسهيل مهمة الباحث ، فحيثما فتح المجلد يعرف أين هو .

٩ – بعد أن تنتهي المادة المرقمة (من ١ – ٩٥٩٧ في المجلد الخاص بعلوم القرآن وحدها) أعد : الكشاف الموضوعي (الألفبائي) ، وذلك حتى يستطيع الباحث الذي يعرف رأس موضوع معين أن يصل منه مباشرة إلى مايريد دون حاجة إلى الترتيب المصنف الذي تمثله قائمة المحتويات .

رابعاً : بعد أن تنتهي الموضوعات جميعاً ، يلي كشافان :

١ – الكشاف الموضوعي (الألفبائي) الشامل لكل العمل ، وهو هام جداً لأن الباحث قد لا يستطيع في بعض الحالات تحديد الموضوع الرئيسي الذي ينتمي إليه موضوعه المخصص من بين علوم الدين الإسلامي . وبالتالي فلن يكفيه في هذا الصدد وجود كشاف في كل مجلد .

هذا فضلا عن أن الباحث قد لا يستطيع أحيانا جمع كل مظاهر الموضوع الواحد . فهناك موضوعات متعددة الجوانب تضم أكثر من جانب في أكثر من علم واحد من علوم الدين الإسلامي . ومن مهام الكشاف جمع هذه المظاهر معا . فهو يشبه وظيفة الكشاف (الألفبائي) الموضوعي في أنظمة التصنيف . وهو ضرورة مصاحبة لاستعمال الترتيب المصنف وهو يحيل إلى رقم المجلد ورقم التصنيف والصفحات .

٢ – كشاف المؤلفين . وهو يضم ترتيبا (ألفبائيا) لكل المؤلفين الذين تضمنهم العمل ، وأمام كل منهم : رقم المجلد ، وأرقام المقالات التي كتبها في كل مجلد . وهو يمكن أن يدل الباحث الذي يريد الوصول إلى مقال أو مقالات كتبها مؤلف معين . ورقم المجلد يمكن أن يفيد في تحديد الموضوع . ويمكن أن يفيد هذا الكشاف في إعداد دراسات إحصائية عن نشاط المؤلفين .

وقد أهملنا كشاف المؤلفين في كل مجلد اكتفاء بالكشاف النهائي منعا للتكرار كما أهملنا كشاف العنوان نهائياً لأن عناوين المقالات غير عناوين الكتب . ومن النادر أن يحاول باحث أن يصل من خلال العنوان إلى مقال أو آخر . هذا فضلا عن أن العناوين أحيانا لم ترد بنصها

في المجلات بل أمكن التصرف فيها نظراً لطولها ، أو بسبب التوحيد . وبعض المقالات ليس لها عناوين فوضعنا لها عناوين(*) .

خامساً : التنظيم الداخلي لجسم الببليوجرافية يسير علي النحو الآتي :

١ – المدخل الرئيسي الذي جمعت تحته البطاقات هو الموضوع المصنف ويرمز إليه رقم التصنيف . وقد اعتمد لتصنيفها كما ذكرنا « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي » الذي نشرت طبعته الأولي بالقاهرة ١٩٧٣ .

٢ – سجل رقم التصنيف الخاص بالموضوع في البداية وأمامه رأس الموضوع أي أن هناك في نفس الوقت الصياغة الرقمية للموضوع والصياغة اللفظية له .

٣ – سجل رأس الموضوع الذي تتناوله الصفحة الواحدة في أعلي كل صفحة كرأس جار ، ومعه بطبيعة الحال رقم التصنيف ، وذلك حتي يتسنى للباحث التعرف فوراً علي الموضوع الذي توجد مقالاته في الصفحة . وهذه وسيلة إضافية لمساعدة الباحث الذي سوف يستعين بالضرورة بقائمة المحتويات أيضا وكذلك الكشاف .

٤ – في داخل رقم التصنيف الفرد – أي تحته – رتبت البطاقات بالمؤلف ، ثم بعنوان المقال ، ثم باسم المجلة ، ثم بالسنة أو المجلد ، ثم بالعدد ثم بتاريخ الصدور ، ثم الصفحات . أي أن الترتيب يسير بالنسبة لكل مدخل على النحو الآتي :

المؤلف

العنوان

اسم المجلة (مختصراً)

المجلد أو السنة

العدد

اليوم والشهر والسنة (للإصدار)

الصفحات.

(*) أعد كشاف المؤلفين وهو المجلد السابع للعمل ، أما كشاف الموضوعات وكذلك المقدمات الرئيسية للعمل فلم يظهر . كذلك لم يطبع العمل ولم يستفد به . وسوف نشير إلى ذلك في مقدمة كتابنا هذا ، كذلك لم تعد الكتب مطلقا ووقف العمل عند فترة معينة الأمر الذي يتطلب أن يعد من جديد .

وقد استعملت الاختصارات الممكنة . فإذا لم يوجد للمقال مؤلف يدخل بالعنوان .

٥ – في حالة تعدد مقالات المؤلف الواحد استعيض عن الاسم بشرطة طويلة ، فإذا تكرر العنوان أيضاً في أكثر من مقال حلت الشرطة أيضاً محله ، وهكذا بالنسبة لاسم المجلة والسنة أو المجلد ، حتي نصل إلى العدد ، وهو دائماً متعذّر ، إذ يندر ولا يحدث أن يكتب مؤلف واحد أكثر من مقال في نفس العدد .

٦ – أعطيت الأيام والشهور والسنوات إن وجدت جميعاً ، فإن لم توجد اكتفي بما هو موجود منها بالمجلة .

٧ – أعطيت الشهور والسنوات الهجرية والميلادية إن وجدت معا ، فإن لم يوجد إلا تاريخ واحد اكتفي به .

٨ – اكتفي بالرمز إلى الشهور بأرقامها مثلما يحدث في السنوات وذلك لتحقيق الاختصار . وقد أعطينا قائمة بأسماء الشهور وأرقامها في البداية .

خاتمـة :

إن الحديث عن الببليوجرافيا الموضوعية العربية والخطة العربية للتصنيف يمكن أن يطول وأن يستمر إلى ما لا نهاية . وإن دور العملين في خدمة البحث العلمي وفي خدمة التراث العربي دور لا يمكن إنكاره . بل إن الحديث عن الببليوجرافية الموضوعية لعلوم الدين الإسلامي وحدها يمكن أن يشغل حيزاً كبيراً . ولست أظن أن هذا البحث هو نهاية المطاف في هذا الموضوع ، بل إنه في الحقيقة يفتح الباب أمام دراسات كثيرة أخرى تتناول جوانب مختلفة من هذه الببليوجرافية . فهي يمكن أن تكون مصدراً لا ينتهي ومعينا لا ينضب للدراسات حول الموضوعات الإسلامية والقضايا الفكرية التي شغلت الأمة الإسلامية قديما وحديثا . فهي مرآة تنعكس عليها الحياة العقلية لهذه الأمة ، وليست هناك قضية شغلت فكر هذه الأمة في العصر الحديث لم يكتب عنها ، اللهم إلا قضايا لم يكتب عنها لأسباب لا تدخل في نطاق بحثنا كببليوجرافيين ، فنحن نهتم بالموضوعات كرؤوس وليس كمحتوى وبالمقالات والكتب كعناوين وليس كمعلومات ، أما تقييم المعلومات نفسها فهي مهمة المتخصصين .

لذلك فإن الببليوجرافيه يمكن أن تكون مصدراً غنيا لمن يريد أن يؤرخ للحياة الفكرية عند المسلمين في العصر الحديث ، وللدراسات المقارنة ، وللقضايا التي شغلت الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، وهي دراسات لم توجد بعد أو وجدت ولكن ليس على مستوى شامل ومعمق .

كذلك يمكن أن تكون الببليوجرافية مصدراً لدراسات إحصائية ذات دلالات هامة بالنسبة للموضوعات المختلفة حسب أهمياتها ، وهي دلالات لايمكن أن تخفي على من له عين بصيرة وعقل واع ، وهي يمكن أن تدل على حيوية الفكر الديني عند المسلمين .

وإن الحديث عن الببليوجرافية من هذه الجوانب جميعاً لما يحتاج إلى دراسات طويلة متعددة . كما أن تحليل الموضوعات وتفاصيلها والعلاقات المتشابكة بينها لما يحتاج إلى دراسات أخرى .

ونحن نجعل هذا المقال بداية ودعوة ، بداية للدراسات حول نظام التصنيف العربي على المستوى العام ، أي على مستوى الباحثين بعامة ، وليس على المستوى التخصصي المكتبي فقط ، من حيث أن هذا النظام يهم المستفيدين به وهم الباحثون كما يفيد المصنفين .

كذلك فهو دعوة لهؤلاء الباحثين والمتخصصين لكي يسهموا في المناقشات التي تدور حول هذا الموضوع ، وأن يتعرفوا على الوثائق المختلفة الخاصة بالنظام العربي للتصنيف (نسجلها بعد) إذ أن نظام التصنيف ما هو إلا تنظيم للمعرفة في مجالاتها المختلفة .

وما يصدق على نظام التصنيف يصدق على الببليوجرافيا الموضوعية العربية ، ومثالها هو علوم الدين الإسلامي ، فهي لخدمة الباحثين أولا وأساساً وليست لخدمة أية طائفة أخرى بنفس القدر . ولذلك فهم مدعوون إلى المشاركة في المناقشات وإجراء الدراسات حول جميع الجوانب الفكرية التي تمثلها الببليوجرافية ، وأن يستفيدوا منها في دراسة علومهم وفي استنباط ما يمكن استنباطه من مثل هذا الحصر المنظم والمصنف والشامل للانتاج الفكري .

وإن مستقبل المشروعين واستمرارهما هو أهم من البداية ونرجو أن يكون حظهما أفضل من حظوظ مشروعات أخرى كثيرة لم تر النور بعد ، أو توقفت بعد فترة قصيرة من بدايتها . وقصص المشروعات العلمية الكبرى في وطننا العربي معروفة .(*)

ولذلك فإننا نترك أمانة ومسئولية استمرار المشروعين بين أيدي المسئولين عن الهيئات العلمية والبحثية في الوطن العربي الذين يملكون اتخاذ القرارات ، على ضوء القيم العلمية التي يمثلها المشروعان ، وعلى ضوء الصعوبات التي تواجههما ، والتي يمكن تحويلها جميعاً إلى إيجابيات .

اللهم إن الحمد لك ، والشكر لك ، بك نستعين ، فوفقنا لما تحب وترضى .

(*) انظر المقدمة .

مـــلاحق

نماذج من بيليوجرافية علوم الدين الإسلامي

مجلد علوم القرآن

١ - قائمــة المجلات .

٢ - قائمــة المحتويات .

٣ - نموذج من الداخل [ص ص ١١٢ ، ١١٣]

(منقولة عن مجلد علوم القرآن من : الببليوجرافيا الموضوعية العربية ، علوم الدين الإسلامي) .

— ح —

قائمة أسماء المجلات ومختصراتها

السنة	س
الصفحة	ص
الصفحات	ص ص
العدد	ع
المجلد	مج
الإخوان المسلمون	الإخوان
الإرشاد الديني	إرشاد
الأزهر	الأزهر
الإسلام	الإسلام
الأصالة	الأصالة
الإصلاح	إصلاح
الأضواء الإسلامية	أضواء
الاعتصام	الاعتصام
بخت الرضا	بخت
البريد الإسلامي	البريد
البعث الإسلامي	البعث
بوليس السودان	بوليس
البينة	البينة
التربية الإسلامية	التربية
الروضة الإسلامية	الروضة
الشبان المسلمين	شبان
صوت الإسلام	صوت
طريق الحق	الحق
الطريق القويم	طريق

التشريع الإسلامي	التشريع
التضامن الإسلامي	التضامن
التعاون الإسلامي	التعاون
التقوى	التقوى
التمدن الإسلامي	التمدن
الثقافة الإسلامية	الثقافة
جريدة الإيمان	الإيمان
جمعية مكارم الأخلاق	مكارم
حضارة الإسلام	حضارة
الحياة	حياة
الخرطوم	خرطوم
الدراسات الإسلامية	الدراسات
الدراسات الإسلامية	
بباكستان	باكستان
دعوة الحق	دعوة
الرابطة الإسلامية	الرابطة
رابطة العالم الإسلامي	رابطة
رسالة الإسلام (العراق)	رسالة (ع)
رسالة الإسلام (مصر)	رسالة (م)
مجلة القارعة	القارعة
مرآة السودان	مرآة
مصر والسودان	مصر
المعرفة	معرفة
معهد أم درمان العلمي	معهد

العالم الإسلامي	العالم
العربي	العربي
الفتح	الفتح
الفجر	فجر
الفضائل	الفضائل
الفضيلة	الفضيلة
الفكر الإسلامي	الفكر
القافلة	قافلة
القبس	القبس
القلم	قلم
كلية الإمام الأعظم	الإمام
كلية غوردون	كلية
لواء الإسلام	لواء
المجلة الشرعية	الشرعية

معهد الدراسات الإسلامية بمدريد	معهد مدريد
معهد الدراسات العربية العالية	العربية
المنار	المنار
منبر الإسلام	منبر
النضير الإسلامية	النضير
نور الإسلام	نور
الهداية	الهداية
الهداية الإسلامية	الإسلامية
هدى الإسلام	هدى
الهدى النبوي	الهدى
هنا أم درمان	هنا أم درمان
الوعي الإسلامي	الوعي

قائمة المحتويات

صفحة

صفحة

نموذج من المداخل

٤١ ب أسباب النزول ١١٢

محمود شلتوت. المقصد من إنزال القرآن. الشبان، س ١٩، ع ١، ١٥- ١١- ١٣٦٦/٣٠- ٩- ١٩٤٧ . ص ص ٤ - ٦ و٨ . (٢١٥٤)

وقت النبي ، خاطرة قرآنية. حضارة س ١٢، ٥ ، ٦ ، ٧- ١٣٩١/١٠ - ١٩٧١ . ص ص ٩٨ - ٩٩ . (٢١٥٥)

٤١٠٩٣ ب أسباب النزول (فتاوى)

أسباب النزول . الوعي ، س ٧ ، ع ٨١ ، ٩ - ١٣٩١/١٠ - ١٩٧١ . ص ١٠٦ (٢١٥٦)

الحكمة في إنزال القرآن . المنار ، مج ٨ . ج ٧ ، ١-٤-١٣٢٣/ ٤ -٦- ١٩٠٥ . ص ص ٢٥٨ - ٢٦٤. (٢١٥٧)

محمد أمين هلال . سبب نزول الآية الكريمة ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ . الإسلام ، س ٢١ ، ع ٦ ، ٩ - ٢ - ١٣٧١/٩- ١١- ١٩٥١. ص ص ١٤- ١٥ . (٢١٥٨)

٤٢ ب مكان النزول (المكي والمدني)

أحمد عبد الجواد الدومي . القرآن في مكة . الإسلام ، س ٣٠ ، ع ١٣ ،٢٥ - ٣ - ١٣٨٠/١٦ - ٩ - ١٩٦٠ . ص ص ١٦ - ١٧ . (٢١٥٩)

عبد الله محمود شحاتة . مع القرآن الكريم . منبر ، س ٢٧ ، ع ٥ ،

٥ - ٧/١٣٨٩ -
١٩٦٩ . ص ص ٥٤ -
٥٦ . (٢١٦٠)
ـ . س ٢٧ ، ع ٦ ،
٦ - ٨/١٣٨٩ -
١٩٦٩ . ص ص ٦٨ -
٦٩ . (٢١٦١)
ـ . س ٢٧ ، ع ٧ ،
٧ - ١٣٨٩- ٩-
١٩٦٩ . ص ص ٥٩ -
٦١ . (٢١٦٢)
عبد الفتاح القاضي .
علامات المدني . منبر س
٣٠ ، ع ١ ، ١ -
٢/١٣٩٢ - ١٩٧٢ .
ص ص ٤٩ - ٥١ . (٢١٦٣)
عبد المتعال الصعيدى .
نظرة جديدة في مكي
السور ومدنيها . رسالة
م ، س ١٢ ، ع ٣ ،
٤ ، ١٢ - ١٣٩٧/
٦ - ٧/١٣٩٨ -
١٢ - ١٩٦٠ . ص ص
٣٥٦- ٣٦١ . (٢١٦٤)
ـ . ع ٥٠ ، ١١ -
١٣٨١ /٤ - ١٩٦٢ .
ص ص ١٨٥ - ١٨٩ . (٢١٦٥)
ـ . ع ٥١ ، ٥٢ ،
١ - ٧/١٣٨٢ -
١٩٦٢. ص ص
٣٢٢- ٣٢٨. (٢١٦٦)
عبد الوهاب حمودة .
القرآن بعد الهجرة .
لواء ، مج ١ ، ع ٥ ،
١ - ١١/١٣٦٧ -
١٩٤٧ . ص ص ٣٥ -
٤٣ . (٢١١٧)
محمد باقر الحكيم . المكي
والمدني . رسالة ع ، س
٤ ، ع ٧ ، ٨ ،
١٣٩٠/١٩٧٠ . ص
ص ١٣ - ٣٠ . (٢١٦٨)
محمد صديق المنشاوي .
ور القرآن قبل الهجرة
وبعدها . الإسلام ، س
٣٣ ، ع ٥ ، ٢٩ -١-
١٣٨٣/٢١ -٦-
١٩٦٣ . ص ص ١٠-
١١ و١٦ . (٢١٦٩)
محمد عبد العظيم
الزرقاني . الضوابط التي
يعرف بها المكي
والمدني . هدى س
١٦ ، ع ٧ ، ٨ ، ٧ -
٨ - ١٣٩٢/١٩٧٢ .
ص ص ٧٢٨ - ٧٣٠ . (٢١٧٠)
ـ . س ١٦ ، ع ٦ ،
٦ - ١٣٩٢/١٩٧٢ .

ص ص ٦٢٦ – ٦٢٨ . (٢١٧١)
-. وجوه تتعلق بالمكي
والمدني . هدى ، س
١٦ ، ع ٩ ، ٩ –
١٣٩٢/ ١٩٧٢ . ص
ص ٨٤٢ – ٨٤٤ . (٢١٧٢)
محمد محمد المدني . ﴿ يا
أهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل ﴾ .
الأزهر ، مج ٢١ ، ع
٥، ٥– ١٣٦٩
/١٩٥٠. ص ص
٣٩٨– ٤٠٢ . (٢١٧٣)

٤٤ ب ترتيب النزول

أمين محمود خطاب .
إنزال القرآن وترتيبه.
الاعتصام ، س ١ ، ع
٦، ١٧ –١١ –
١٣٥٨/ ٢٨ – ١٢–
١٩٣٩ . ص ص
١ –٣ . (٢١٧٤)
عبد القادر ملاحويشي
آل غازي العاني . بيان
المعاني على حسب ترتيب
النزول . التضامن ، س
١٧، ع ٨ ، ٢ –
١٣٨٣/٧ – ١٩٦٣ .
ص ص ٥٠٤–٥٠٥ . (٢١٧٥)
فكري ياسين . أول
القرآن نزول وآخره .
الأزهر ، مج ٢٢ ، ع
٤ ، ٤ – ١٣٧٠/
١٩٥١. ص ص
٢٩٩ – ٣٠٣ . (٢١٧٦)
٠٩٣ .٤٤ ب ترتيب
النزول (فتاوى)
أول ما نزل من القرآن .
الوعي ، س ٧ ، ع
٨١، ٩– ١٣٩١/١٠–
١٩٧١ . ص ١٠٦ . (٢١٧٧)
السيد سابق . ترتيب
الآيات حسب النزول .
منبر ، س ١٣ ، ع ٢ ،
٢ – ١٣٧٥/ ٩ –
١٩٥٥ . ص ص ٣١ –
٣٢ . (٢١٧٨)
عبد الرحيم فرغل
البليني . آخر آية نزلت
من القرآن . الإسلام ،
س ٣٠ ، ع ٤١ ،
٢١ – ١٠ – ١٣٨٠/
٧ – ٤ – ١٩٦١ . ص
١٨ . (٢١٧٩)
ماذا يراد بالقرآن
الكريم . لواء ، س
٢٣ ، ع ١ ، ٩ –
١٣٨٨، ٩– ١٣٨٨/
١١ – ١٩٦٨ . ص ص

٥١ - ٥٩ . (٢١٨٠)

٤٥ ب مناسبات النزول

سلامة العزامي النقشبندي . الآيات القرآنية التي نزلت في الكفار والمشركين . المسلم ، س ١ ، ع ٣ ، ١٠- ١٣٧٠/ ٧- ١٩٥١. ص ص ١٦- ١٨. (٢١٨١)

صلاح عزام . أكلة اللحم الأخضر . منبر ، س ٢٥ ، ع ٣ ، ٣ - ١٣٨٧/ ٦ - ١٩٦٧ . ص ص ٧٦ - ٧٧ . (٢١٨٢)

عبد الرحيم فرغل البليني . مقدمة

قضية التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد ..

فإن قضية التراث العربي الإسلامي من أهم القضايا التي شغلت المثقفين والعلماء والمفكرين في العصر الحديث ، ومنذ بدأ اتصالنا بالحضارة الغربية الحديثة ولا تزال حتى الآن حية متجددة ، لما كان لهذا التراث من قيمة في الماضي ، ولما له في الحاضر والمستقبل من أهمية قصوى ، إذ هو يمثل قيما ثابتة هي الملجأ والملاذ للأمة الإسلامية .

وقد كتب عن التراث الكثير ، وقيل عنه الكثير ، وكان موضوعا لمناقشات حامية بين المثقفين ورجال الفكر . وقد حاول مخلصون من أبناء أمتنا ، مدفوعين بدافع الحب والحماسة له ، العمل على خدمته ، بالنشر والتحقيق تارة ، ودراسة موضوعاته تارة أخرى ، كما كان جزءا من نشاط بعض الهيئات والمؤسسات العلمية . وقد بذل هؤلاء جميعا الجهد في سبيل الوصول بالتراث إلى الصورة التي نرضاها له .

ورغم هذه الجهود والمحاولات فثمة حقيقة هامة يجدار ألا تغيب عن بالنا ، وهي أن الأعمال السابقة ، على قيمتها وجدواها ، لم تصل بالتراث إلى ما نرجوه ويرجوه له محبوه ، فالكثير من أجزائه ليس بين أيدينا الآن إذ تقتنيه مكتبات أجنبية في الشرق أو في الغرب ، أو تحويه مكتبات الأفراد ، ولم توضع بعد خطة شاملة لحصره وجمعه وفهرسته ، ونشره وتحقيقه وخدمته ، وهذا من شأنه أن يعطل إجراء الدراسات العلمية المبتغاه والتي تؤدي إلى الكشف عن كنوزه .

إن ما نود أن نذكره الآن هو أن حالة تراثنا الفكري وقصور الجهود التي تبذل لخدمته يجعلان من الضروري إعادة طرح قضاياه على العلماء والباحثين والمفكرين ولذلك فرغم كل

ما كتب عن التراث فنحن نعيد طرح قضيته من زوايا نرجو أن تكون جديدة وأن تغطى جوانب لم يتطرق إليها الباحثون أو لم يعطوها ما هي جديرة به من أهمية ، فهو طرح جديد لقضية قديمة . ونحن نستهدف بذلك تحقيق عدة أمور :

أولا : توضيح أهمية التراث في وصل ماضي الأمة بحاضرها ، وبيان أن قيمته لا ترتكز على قيمة دينية ولغوية فحسب ، ولا تنبنى على الحماسة له فقط دون اقتناعات موضوعية ، بل إن له دورا حيويا في حياة الأمة الإسلامية في الحاضر والمستقبل .

ثانيا : إسماع صوت التراث للناس ، ففي عصرنا الحاضر تغلب أصوات أخرى كثيرة بحيث ضاع أو كاد صوت المتحدثين عن التراث في خضم هذا الزحام ، فلا عجب إذا وجدنا أن الكثيرين ممن يدخلون في عداد المثقفين والغالبية من الشباب لا يكادون يعرفون عن التراث الكثير أو القليل ، ولا يكادون يعرفون عن أعلامه شيئا ، بل إن البعض منهم قد يتخذ من غرابة أسمائهم موضوعا للهزء والسخرية والتندر ، بينما هم في ذات الوقت يعرفون أدق الدقائق والتفاصيل عن نجوم الأدب والفن والرياضة في الشرق أو الغرب ممن لا ينتمون إلى بيئتنا ولا يكونون أدنى قدر من وجداننا . وهي غربة للتراث بين أهله لا ترضى محبيه العارفين لقدره الحريصين على مستقبله .

ثالثا : يرتبط بالنقطة السابقة ضرورة تعريف الشباب بقيمة التراث وتعريفهم بأسلافهم العظام ، حتى يأخذوا منهم القدوة والأسوة والمثل ولا يلتمسوها من أعلام في الشرق أو في الغرب ، وحينئذ يدركون أن أعلامهم كانوا ، وبكل المقاييس ، ممن تفخر بهم أية أمة ، وتزدان بهم أية حضارة .

ولا شك أن هذا يعطيهم الثقة بأنفسهم ويؤكد أن التقدم ممكن ما امتلك الإنسان أسبابه ، وأنه ليس حكرا لجنس أو شعب ، بل إن العلم يدين للجهد والعمل المنبثقين من الإيمان .

رابعا : ويرتبط بهذا أيضا توجيه أنظار شباب الباحثين إلى قيمة التراث وأصالته وخصوبته ، وإلى جدوى البحث فيه والتنقيب عن كنوزه ، بما في ذلك من قيمة علمية محققة ترضى كرامة الباحث ، حتى لا تخلبهم موضوعات أكثر بريقا ولمعانا . كذلك من الضروري في هذا الصدد توجيه أنظار التربويين والقائمين على أمور التعليم في المدارس والجامعات إلى ضرورة توجيه الدراسة إلى جوانب التراث في كل مجالات العلم التي كان لسلفنا إسهام فيها ، إحياء لهذا التراث من جهة وحتى لا ينقرض المشتغلون به من جهة أخرى .

خامسا : وضع خطة شاملة لحصر التراث وفهرسته وجمعه ، ثم نشره وتحقيقه وخدمته ، ثم دراسته الدراسة العلمية المبتغاة التي تكشف عن جوانب القوة والأصالة فيه ،

وهي خطة تتضمن عناصر وأبعاد جديدة تكون في مجموعها برنامجا متكاملا ، يمكن إذا تحقق أن يصل بالتراث إلى ما نرجوه له من خير .

هذه هي الأهداف التي نتوخاها من إعادة طرح قضية التراث راجين أن نوفق إلى إثارة الاهتمام بهذه القضية وأن تلقى ما هي جديرة به من الدراسة والاستجابة .

أبعاد التراث :

قد يكون من المفيد أن نبدأ بتحديد مفهوم واضح للفظ التراث عن طريق توضيح أبعاده . ذلك أن كلمة تراث تعني مفهوما واسعا ، يضم كل نتاج الحضارة من علم وفكر وفن وآثار ولكن هل هذا هو المفهوم الذي يعنيه المشتغلون بالتراث ؟ إن كلمة تراث تعني عند المشتغلين به المخطوطات العربية التي تضم التراث الفكري العلمي فقط .

وفي هذا الصدد نجد أن التراث ينساب في أبعاد : زمانية ومكانية ولغوية ، وهي أبعاد مترابطة أشد الارتباط ، بل ربما كانت ممتزجة كل الامتزاج .

فمن الناحية الزمنية يضم التراث نتاج القرون التي شهدت النشاط العقلي للأمة العربية الإسلامية قبل بدء العصر الحديث ، وهي قرون قد تزيد أو تنقص بحسب التحديد الزمني لعصور الازدهار ، وقد تتسع حتى تستوعب كل الإنتاج الفكري المخطوط قبل دخول الطباعة إلى الوطن العربي وانتشارها .

ومن الناحيتين اللغوية والمكانية يمكن أن يشمل التراث كل ما أنتجه سكان الدولة الإسلامية في أقصى اتساع لها ، وقد كانوا أجناسا ولغات وديانات متعددة . وهنا يمتزج البعد المكاني بالبعد اللغوي ، فبعض المسلمين ألف أو كتب بلغات أخرى غير العربية كالفارسية والأردية والتركية ، كما أن بعض النصارى واليهود من القاطنين في بلاد الدولة الإسلامية كتبوا مؤلفاتهم بالعربية في علوم مثل الطب والفلسفة والكيمياء والفلك والرياضيات . وخاصة في بداية عصر النقل والترجمة حيث قام بهما في أول الأمر مسيحيون من سكان الدولة . وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للإسلام . ولكنها كانت كذلك اللغة العلمية والأدبية ، لغة التعبير والتدوين والكتابة بصرف النظر عن الأصول العرقية أو اللغوية أو الدينية لسكان الدولة الإسلامية ، فكتب بها المسلم والنصراني وكتب بها العربي والفارسي والتركي وغيرهم . وظل الحال كذلك حتى ظهرت من جديد العصبيات القديمة لغوية كانت أو عرقية ، وبدأت تغلب من جديد النزعات الإقليمية بعد أن كان سكان الدولة منصهرين في بوتقة واحدة ، وهنا ظهرت مؤلفات بلغات إسلامية أخرى غير العربية ، وأنتج فيها إنتاج يعد موازيا للإنتاج باللغة العربية .

وإن التراث العلمي للأمة الإسلامية يمكن ولا شك أن يتضمن ما أنتج بلغات أخرى

غير العربية ولكن هل نكون على قدر كاف من الواقعية ، إذا تحدثنا عن جمع التراث الفكري باللغة الأردية مثلا ، في حين أن التراث العربي الذي تضمنته مخطوطاتنا لا يزال مشتتا في أنحاء العالم ، أظن أن الأفضل أن نتحدث في المرحلة الحاضرة عن المخطوطات العربية ، خاصة وأن الإنتاج الفكري العربي هو التراث الأصيل في الموضوعات العربية والإسلامية ، وهو الذي اعتمدت عليه اللغات الإسلامية الأخرى ، فهو المادة الأصلية وتراث اللغات الأخرى هو المادة الثانوية .

ومما يثار عند الحديث عن أبعاد التراث العربي الثلاثة : الزمان والمكان واللغة : الدراسات الحديثة في الموضوعات القديمة ، سواء أكانت عربية أم أجنبية . فالدراسات العربية الحديثة ، وإن كانت تنتمي مكانا ولغة إلى نفس المكان الذي قطنه السلف ، وإلى نفس اللغة التي كتبوا بها ، إلا أن هذه الدراسات لا تدخل من حيث الزمان في التراث . كما أن هناك دراسات حديثة أعدها أجانب ، والمستشرقون منهم بصفة خاصة . وهذه لا تدخل في التراث زمانا أو مكانا أو لغة . فهل نستبعد هذه وتلك .

مما لا شك فيه أن الدراسات الحديثة في موضوعات التراث ، عربية وأجنبية ، قد نشأت لخدمة الموضوعات العربية والإسلامية وأنها اعتمدت عليها اعتمادا يكاد يكون كاملا ، ففهارس المخطوطات مثلا ، قد تكون أعدت في بلاد أجنبية وأعدها مستشرقون ، ولكن لاشك أنها لخدمة التراث والمشتغلين به ، كما أن مادتها تنتمي إلى التراث .

وهكذا قل عن الخدمات الببليوجرافية المختلفة ، وقلما يخلو فن من التوابع المكملة له . كما أن الدراسات الحديثة تعد مقدمات لأعمال التراث ومدخلا إليها . وهكذا يمكن ضم هذه الأعمال إلى التراث بهذا الاعتبار وإن لم تكن منه أصلا . على أنها ليست هي المقصودة الآن بعمليات الحصر والجمع والتحقيق فالمقصود بها المخطوطات خاصة ، وإنما يأتي دورها في مرحلة تالية .

وعلى هذا فالأفضل أن نقتصر في المرحلة الراهنة على تحديد مفهوم التراث بذلك الذي تضمه المخطوطات العربية ، وهذا هو المعنى الشائع عند المشتغلين به وهو المعنى الذي نقصده في دراستنا هذه .

قيمة التراث في العصر الحاضر :

عند مناقشة قضية التراث والحاجة إلى بعثه وإحيائه وخدمته يذهب البعض إلى أن التراث من أعمال الماضي ، وأننا الآن في عصر التقدم ولا حاجة بنا إلى ماتضمه الكتب الصفراء من معلومات مضى عليها الزمن ، وأن الأولى أن ننفق الوقت والجهد في الموضوعات التي تعود على الوطن بالنفع وقد يستخدمون في هذا عبارات قاسية عن التراث فيها ظلم

صارخ له . وقد فات هؤلاء أمور وغابت عنهم أشياء ، إذ يفسرون التقدم تفسيرا ضيقا جدا ولا يلتفتون إلى جملة عناصره ، ويرون النموذج المادي للتقدم هو وحده الجدير بالاتباع ، وحينئذ لا يجدون دورا للتراث . ولذلك فإن المنحى الذي ننحوه في هذه الدراسة هو أننا نركز على جوانب موضوعية في قيمة التراث ، ولا نقتصر على الجوانب الحماسية فقد استعملت كثيرا . ولابأس أن يتحمس الإنسان لتراثه فهذا واجب ، ولكنه من الأفضل دعم الحماسة بقيمة موضوعية حقيقية يراها الناس في التراث فيلمسون معها أن له دورا في العصر الحاضر . وسوف نركز كلامنا هنا في عدد من النقاط :

أولا : التراث وشخصية الأمة

لكل أمة شخصية ذاتية تنفرد بها عن غيرها من الأمم . وتعتمد هذه الشخصية على مقومات متعددة . وفي عصر الحضارة الإسلامية الزاهر كانت شخصية الأمة الإسلامية واضحة كل الوضوح ، إذ تعتمد الشخصية على فكر هو ذلك الإنبعاث الداخلي الذي أعطى للأمة الإسلامية العمود الفقري لشخصيتها وقد رفض المجتمع الإسلامي على مر العصور الأفكار الدخيلة لأنها غريبة عنه وتمسك بأهداب فكره المنبعث من الإسلام . والأمثلة والشواهد على هذا كثيرة .

وقد صحب مالحق المسلمين من تأخر في العصر الحديث دعوات هدفها الأساسي طمس معالم الشخصية الإسلامية والتمكين للدعوات والآراء الدخيلة على بيئتنا الغريبة على فكرنا ، وربطوا في هذا بين التأخر المادي الذي عانت منه الأمة الإسلامية في العصر الحديث وبين التمسك بالماضي .

واختلط الأمر على البعض منا فحاولوا أن يلتمسوا لهم نوعا من الانتماء إلى هذا المذهب أو ذاك جريا وراء ما أتى به العصر الحديث من هذه الآراء والمذاهب . وفي نفس الوقت ظل التيار الفكري الإسلامي قويا يرى أن تحقيق التقدم هو في العودة إلى نفس الأسباب التي حققت تقدم المسلمين في عصرهم الزاهر .

وللفصل بين الفرقاء نقول أن الحضارة ذات جانبين : جانب معنوي فكري ، وجانب مادي . والجانب الأول تختلف فيه الأمم لأنه يتبع الحياة الفكرية للأمة ، وهي كما ذكرت انبعاث داخلي لا يستمد من أي مصدر خارجي . أما الجانب المادي فهو قدر مشترك بين الأمم تستطيع كل أمة أن تصل إليه إذا امتلكت أسبابه .

والحضارات الأجنبية التي نشهدها الآن جميعا كلها تركز على الجانب المادي من الحضارة ولا تعني بالجانب المعنوي . ولو حاولت أمتنا أن تأخذ فقط بالجانب المادي فسوف تكون نسخة مشوهة أو ممسوخة من هذه الأمة أو تلك ، وربما لن تلحق بها أبدا . ولكن

الحضارة الإسلامية تعتمد على الجانبين معا ويتحقق فيها توازن دقيق بين الفكر والروح من جانب والمادة من جانب آخر ، فضلا عن أن هذا الجانب المادي هو نفسه منبثق من الدين الإسلامي الذي ينظم علاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بغيره من أفراد المجتمع ويرسم للمجتمع الإسلامي المنهج الذي يسير عليه في كل الأمور . فهو دين متكامل ينظم حياة الناس من جميع الوجوه . وهذا هو الذي يفرق بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات وبين الفكر الإسلامي وغيره . والفكر الإسلامي هو الذي يحدد معالم الشخصية الإسلامية .

والتراث هو الذي يشتمل على التراث الديني ، الذي تتمثل فيه أكثر من أي شيء آخر شخصية الأمة الإسلامية خالصة نقية بريئة من كل دخيل من الشرق أو الغرب ، فإذا كان التراث هو الذي سجل عوامل التقدم في الماضي ورسم للأمة الإسلامية شخصيتها ، فإن دوره في الحاضر له نفس الأهمية حتى تستريح الأمة من عناء البحث عن دورها وعن شخصيتها .

ولذلك فإذا كان المجددون في العصر الحديث قد رأوا أن صلاح حال الأمة الإسلامية هو في العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح فيجب أن يرتبط بهذا أن نهتم بإحياء تراث هؤلاء السلف وخدمته ، فهو أعز ما تملك الأمة الإسلامية .

ثانيا : التراث والقضايا المعاصرة

إذا كان التراث يلعب هذا الدور في رسم معالم الشخصية الإسلامية في الحاضر ، فإن له دورا آخر هو امتداد لوصل ماضي الأمة بحاضرها . فقد جدت على المسلمين أمور وعرضت لهم قضايا نتيجة اتصالهم بحضارة العصر الحديث . وقد تداخلت الأمور والقضايا في حياة المسلمين بحيث كان من الضروري بحثها على ضوء تعاليم الإسلام . ومن أمثلة هذه القضايا البنوك ، والتأمين ، عمل المرأة ، علاقات المسلمين بغيرهم في السلم والحرب تنظيم الأسرة ، الخ . ولكي يطمئن المسلم إلى أن حياته تسير في الاتجاه الصحيح فهو يريد معرفة رأي الدين في هذه القضايا . وقد يكون بعض هذه القضايا من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بحث طويل ، ولكن هناك قضايا جدلية تحتاج إلى بحث طويل . ولكي يتم بحثها فلابد أن تكون المعلومات اللازمة متاحة وميسرة ومنظمة . وهذه المعلومات تستمد أساسا من تراثنا الفقهي . فمن الضروري أن يكون هذا التراث مجموعا ومنظما وميسورا للباحثين .

وهناك جانب آخر لهذه القضية لعله أعم وأهم وهو قضية التشريع . والتشريع هو الذي ينظم حياة المجتمع . ويختلف المجتمع الإسلامي عن غيره في أن تشريعه سماوي لا وضعي . وإذا كان من الواجب على الشعوب الإسلامية أن تجعل الشريعة الإسلامية مصدرها الوحيد لقوانينها الحديثة ، فيجب أن يلازم هذا نشر التراث الفقهي وفهرسته وتحليله ، بمايسر الرجوع إليه ، خاصة وأن إنتاج علماء السلف في هذه الموضوعات يجب أن يكون الأساس لدراستنا الحالية .

ثالثا : التراث وقضية المنهج ، والدفاع عن الإسلام

بدأ الأوروبيون اهتمامهم بالعلوم العربية منذ وقت طويل منذ بدأ اتصالهم بالمسلمين في مراكزهم في أوروبا : الأندلس ، صقلية ، وفي المشرق أيام الحروب الصليبية . وقد حاروا تفوق المسلمين وبدأوا في دراسة علومهم ، وعليها اعتمدت النهضة الأوروبية الحديثة . وقد كان من نتيجة هذا أن أنشئت مراكز متعددة للدراسات العربية في الجامعات الأوروبية . وقد درس هؤلاء كل ما يتعلق بالمسلمين ، واختلفت دوافعهم في ذلك : في البداية كانوا يريدون أن يتعلموا علوم المسلمين وفي بداية الاهتمام السياسي بالدول العربية درسوا جوانب الحياة المختلفة لكي يتمكنوا من التعامل مع المسلمين . ويعرف هذا بحركة الاستشراق . لقد اهتم المستشرقون اهتماما كبيرا بالدراسات العربية والإسلامية وبذلوا فيها جهودا كبيرة ووجهوا الاهتمام إلى المخطوطات العربية وكانوا أول من اهتم بفهرستها ووضع قواعد لتحقيق نصوصها ، وأعمالهم في هذا المجال كثيرة ولها تأثير كبير .

ولا يمكن القول بأن الاستشراق كان خيرا كله أو شرا كله ، فلا يمكن القول أن المستشرقين لم يخدموا هذه الدراسات . ولكن هل قاموا بعملهم هذا بدافع من حب الإسلام وأهله . قد يكون بعضهم قام بدراسته من باب حب العلم أو الإعجاب بتراث المسلمين العلمي ، ولكن من المؤكد أيضا أن الكثيرين منهم كانوا يدرسون الإسلام وتراثه بغرض الدس عليه والطعن فيه ، ووصل الطعن إلى شخص الرسول الكريم ﷺ وليس هذا غريبا ، فهم ليسوا مسلمين وبالتالي لا ينظرون إلى الرسول نظرة التكريم والإجلال فليس غريبا بعد ذلك أن تمتد ألسنتهم إليه ، وإلى تراثه من السنة ، قياسا على تحريف الكتب المقدسة عندهم . وهذا هو الذي يفسر ما يحشرونه في كتاباتهم من طعن في الإسلام ، وهو طعن واهن ضعيف لا يقوى أمام المنهج السليم والدراسة العلمية .

وهنا نود أن نشير إلى أمرين لهما خطرهما :

١ - أن التراث الإسلامي قد واجه في الماضي مواقف كثيرة من هذا النوع من أعدائه القدامى من نصارى ويهود ومجوس ، ومن اتباع فلسفة اليونان . وقد تصدي علماؤه لهؤلاء ودحضوا آراءهم ونزعاتهم . وهناك علم دفع مطاعن القرآن وعلم دفع مطاعن الحديث ، وعلم الكلام السني . وهذه العلوم درست كل ما يوهم الاختلاف أو التناقض ووصلت إلى التوفيق . كما أن علماء الكلام قد تصدوا لأصحاب الملل والنحل والمذاهب المنحرفة ودحضوا مذاهبهم .

وما نحتاجه في هذا الصدد هو التفتيش في التراث والاسترشاد بدفوع السلف ، ولا أقول الوقوف عندها ، ولكن لنبدأ من حيث بدأوا ثم نضيف إليه ما تتطلبه الأوضاع الراهنة من أدلة وبراهين جديدة .

٢ - يركز الأوروبيون في دراساتهم على قضية المنهج . وهم يروجون لآرائهم باسم العلم والمنهج العلمي . وللأسف فقد وجدوا من بيننا أصحاب آذان صاغية وقلوب مفتوحة ممن تعلموا على أيديهم إما في جامعاتهم أو عن طريق الاستفادة من دراساتهم ، خاصة وأننا في كثير من المجالات نفتقر إلى الدراسات الحديثة في هذه الموضوعات الأمر الذي يترك الميدان خلوا إلا من دراسات المستشرقين ومن ثم تكون دراساتهم هي الدراسات الوحيدة في بعض الموضوعات فيضطر الباحث إلى دراستها ، ونادرا ما يفلت من تأثيرها .

وقد ركز هؤلاء على التشكيك في تراث النبي ﷺ من السنة ، وزعموا أن علماء الأصول قد ركزوا فقط على أشخاص الرواة ولم يتناولوا بالتمحيص نصوص الأحاديث ولم يعرضوها على العقل !!

وإن رأيهم هذا فيه مجافاة للمنهج العلمي الصحيح وإخفاق في تعرف مايصلح من منهج لدراسة الحديث النبوي الشريف . فهم يحاولون أن يطبقوا المنهج العقلي على علم نقلي وهذا خطأ منهجي محض في حين أنهم يتشدقون بالمنهج العلمي . فليس كل المناهج صالحة للتطبيق على كل العلوم ، لا يجوز مثلا أن أطبق المنهج الرياضي - وهو مفيد في ذاته - على العلوم الاجتماعية وأن أخضع العلاقات الاجتماعية للقياسات الرياضية ، كما لا يمكن أن أطبق المنهج التجريبي - وهو أيضا مفيد في سياقات أخرى - على الموسيقى وأن أخضع المؤلفات الموسيقية للملاحظة والاستقراء ، الخ ..

لابد إذن من تعرف المنهج الذي يصلح للتطبيق على علوم الدين . وتختلف هذه عن غيرها من العلوم في أنها علوم نقلية ، وهي تعتمد على النقل عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول . أما العلوم العقلية فهي التي تعتمد على العقل ويمكن أن تطبق عليها المناهج الأخرى . وللعقل أن ينظر كما يشاء .

والأصل في العلوم الدينية الشرعية الكتاب والسنة . أما الكتاب العزيز فقد أنزله الله تعالى وتكفل بحفظه . إذ هو كلامه سبحانه وتعالى . وأما الحديث الشريف فهو كلام الرسول وأفعاله وتقريراته وصفاته . ولكن أقواله وأفعاله صادرة عن الوحي . والمنهج الإسلامي يقوم هنا على الاقتداء بهذه الأقول والأفعال إذا ثبت أنها صدرت عنه . وهو الذي يلخصه موقف أبي بكر رضي الله عنه في قضية الإسراء والمعراج « إن كان قال فقد صدق » ولذلك كان إيمانه رضي الله عنه راسخا يوزن بإيمان الأمة لأنه يقوم على الاقتداء وليس على البحث في فحوى الكلام أو الفعل . وعلى هذا يقوم البحث في علم أصول الحديث فهو ينصب على الأشخاص الراوين للحديث ، فإذا صحت سلسلة الأسانيد فقد صح الحديث ، وإذا ضعفت ضعف الحديث . وقد أخفق المستشرقون في تعرف هذا المنهج لأنهم بعيدون عن روح الإسلام ، بعيدون عن التصديق بكلام الرسول ، راغبون في الدس والطعن .

فليس من شأننا إذا أن نحاول تلمس منهج آخر ، فالمنهج الذي طبقه المسلمون في علم مصطلح الحديث منهج سليم ، وقد كان من قوته أن طبقته علوم أخرى كثيرة .

رابعا : التراث وإسهام العرب في الحضارة الإنسانية .

ظهرت دراسات كثيرة حول تاريخ العلوم العربية والإسلامية . وقد كتب المستشرقون أغلب هذه الدراسات ، ولذلك فقد تلون تاريخ العلوم العربية والإسلامية بآراء المستشرقين ، ومرة أخرى في غياب الدراسات العربية الرصينة . ومع كثرة تلك الدراسات فإننا لا نستطيع حتى الآن تقدير الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية في الحضارة الإنسانية على أساس موضوعي رصين ، وإنما أقوال هنا وأقوال هناك ، لكننا لا نستطيع حتى الآن أن نعرف إسهامهم الكامل والحقيقي .

ولا يمكن أن نعرف ونقدر هذا الدور دون كتابة تاريخ العلوم العربية والإسلامية . وتحاول الدراسات التي قام بها المستشرقون أن تقلل من هذا الدور ، وأن تضعف هذا الإسهام حتى لا ينسبوا للمسلمين أى فضل فهم يرون أن الحضارة الإسلامية قد اقتصرت على دور الناقل الأمين للحضارة اليونانية وتوصيلها إلى حضارة العصر الحديث ، هي حضارة وسيطة ناقلة لا ابتكار فيها ولا تجديد . وبناء على هذا ينسبون الجديد إلى الحضارة الحديثة ، فهم الذين ابتكروا المنهج العلمي ، وهم الذين وضعوا أسس كل العلوم ، الخ . هذا في حين أن بعض المنصفين منهم يرون أن المسلمين هم الذين وضعوا أساس المنهج العلمي الحديث ، وقد أثبت الدكتور علي سامي النشار في كتابه : مناهج البحث عند مفكري الإسلام هذا بأدلة تحليلية تركيبية ، كما أثبت أن العقل العربي عقل استقرائي تجريبي ، وأن العقل اليوناني عقل قياسي نظري استدلالي ، وأن المنهج الاستقرائي يتمثل أكثر ما يتمثل في علم أصول الفقه ، الذي يختلف منطقه الاستقرائي تماما عن المنطقي الأرسطي القياسي . ومع ذلك ينسب الغربيون المنهج التجريبي إلى فرنسيس بيكون ، كما ينسبون علم الاجتماع إلى أوجست كونت مع أن واضعه ومؤسسه هو ابن خلدون وهكذا وهكذا .

ومن القضايا التي أثاروها في هذا الصدد وتابعهم عليها كالعادة علماء عرب – أن العلوم العربية وقفت عند القرن الرابع الهجري ، فقد بلغت في ذلك القرن قمة نضجها ، أما بعده فلا شيء سوى الشرح والتعليق والتهذيب والتحشية ، دون إضافة حقيقية إلى ما سبق .

وقد ذهب إلى هذا الرأي الكثيرون ممن أرخوا للحياة العقلية عند المسلمين من عرب ومستشرقين وربما كان أول من زعم هذا المستشرق النمسوي آدم متز في كتابه الذي ترجمه الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر

النهضة في الإسلام . والعنوان نفسه عنوان نقدي فهو يعتبر أن القرن الرابع قمة النهضة في الإسلام . وربما تأثر بهذا الرأي وسجله بصورة أكثر وضوحا أحمد أمين في سلسلته عن الحياة العقلية عند المسلمين : فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام . وهذا الرأي ورد في ذيل كتابه ظهر الإسلام .

ونحن لا ننكر قيمة هذه السلسلة في كشف جوانب الحياة العقلية عند المسلمين ولم شتات هذا الموضوع . ولكن ليت أحمد أمين وقف عند هذا الحد ولم يتطرق إلى الكتابة عن ما بعد القرن الرابع ، ليته ترك الباب مفتوحا لمن يأتي بعده بعد أن أدي هو دورا جليلا في دراسة القرون الأربعة الأولى . لقد جاءت كتابته – ولا أقول دراسته – عن القرون التالية في ملحق في المجلد الرابع من ظهر الإسلام فلم يوف الموضوع حقه ، إذ درس القرون الأربعة الأولى في ثلاثة كتب تضم ثمانية مجلدات وتناول القرون اللاحقة في ذيل أو ملحق . هذا فضلا عن أن تسميته لكتابه تسمية نقدية : فالفجر هو النشأة ، والضحى هو السطوع ، والظهر هو القمة التي تبلغها الشمس ، وبعد ذلك الانحدار فالغروب .

أي أن ما بعد القرن الرابع انحدار وأفول ، وكأنه حكم على القرون التالية حكما مسبقا قاسيا دون دراسة أو تمحيص .

أقول أن أحمد أمين قد يكون في هذا متأثرا بمتز وغيره ، ولكنه كان حسن النية فيما كتب ، ولكن المستشرقين كان لهم نية أخرى .

فبعض هؤلاء يرون أن الحضارة الإسلامية قد وقفت عند القرن الرابع ويرجعون السبب في ذلك إلى أن انتصار المذهب الأشعري كان بداية للجمود عند المسلمين . ونحن نعرف أن انتصار المذهب الأشعري السني على المعتزلة كان على يدي أبي الحسن الأشعري على رأس المائة الثالثة . ثم انتشر بعد ذلك وساد في القرون التالية .

ويرى هؤلاء المستشرقون أن نجاح المذهب الأشعري كان السبب في تجميد الفكر الديني عند المسلمين ، فهم يعتبرون المعتزلة أصحاب حرية الفكر في الإسلام ، رغم أنهم لم يستطيعوا الدفاع عنهم حينما نكلوا بخصومهم أيام الخليفة المأمون حينما وصلوا إلى السلطة . فقد حملوا خصومهم في الرأي بالقوة والتعذيب بل والقتل أحيانا على القول بخلق القرآن ، وهي الفتنة المعروفة التي لم يسلم منها أحد من كبار الأئمة ومنهم الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة .

وفي هذا يقول الدوميلي في كتابه : العلم عند العرب وأثره في تقدم العلم العالمي[1] « وينبغي ألا يغيب عن نظرنا أن الدين في العالم الإسلامي يسيطر سيطرة كاملة على جميع

---

(١) ص ٩١ .

الحياة المدنية والفكرية ، وأنه في الأزمنة والأمكنة التي لا يزال مذهب أهل السنة المحافظ مسيطرا فيها يجب أن يكون كل نمو للثقافة ، وكل اتجاه لانبعاث أفكار جديدة أو مجددة ، خاضعا لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة النسبة إلى الرسول . وإذا ، فلما كان لأهل السنة سلطان مسيطر ، حصل جمود شديد في جميع الحياة الثقافية ، كما حصل تقهقر إلى روح معادية للعلم وتقوية لكل ما ينكر تقدم الإنسان وحرية الإرادة » .

وبعد أن يحكي ميلي كيف نجح المذهب الأشعري ضد المعتزلة يقرر أن « أبا الحسن الأشعري هو مؤسس علم الكلام السني في الإسلام . وقد كان تأثيره بعيد المدى في هذه الناحية ، ولكنه – بكل التأكيد – لم يؤثر أثرا مساعدا على نمو العلم » .

إن الهدف البعيد الذي يرمي المستشرقون إلى الوصول إليه هو أن انتصار العقيدة الدينية عاق تقدم العلم ، ومعنى ذلك أن الإسلام يعوق التقدم العلمي ، وهم يريدون لهذا الزعم أن يسود وأن يسيطر على تفكير المسلمين ، وذلك حتى لا يحاولوا – في سعيهم نحو التقدم – العودة إلى ما كان عليه السلف .

ولاشك أن رأي المستشرقين مجاف للحقيقة والواقع ، فالدين الإسلامي يحض على العلم والتعليم والتعلم ، ويرفع من قدر العلماء حتى جعلهم ورثة الأنبياء . ولاشك أن تعاليم الإسلام كانت الدافع وراء النهضة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي . فالعمل العلمي نوع من الجهاد – الجهاد الأكبر – ولذلك لم يدخر العلماء المسلمون جهدا ولم يعرفوا دعة . والأمثلة على كفاح العلماء المسلمين أكثر من أن تحصى وأكبر من أن تستقصى ، وجهودهم وما وصلوا إليه يعد بالقياس إلى الأدوات التي كانوا يعملون بها أكبر من جهد أي عالم في العصر الحديث بالقياس إلى أدواتنا .

أما عن الزعم بأن العلوم العربية والإسلامية قد توقفت بعد القرن الرابع فهو بعيد عن الحقيقة وذلك لأسباب منها :

١ – أن حالة التراث لا تسمح بإصدار هذا الحكم ، إذ يتطلب التأريخ الكامل للعلوم دراسة كل قطع التراث . وهذه الدراسة غير ممكنة في ضوء الظروف الحالية للتراث . ولا زالت هناك فجوات كثيرة في معلوماتنا عن نشأة كثير من العلوم وتطورها بسبب غياب قطع أصلية من التراث . ويشكو الكثيرون من العرب والمستشرقين من عدم تمكنهم من استيفاء دراساتهم بسبب نقص المصادر الأصلية في الموضوعات . هذا مع أن نقص مصدر أصلي واحد أو وجوده قد يغير آراءنا عن علم من العلوم ، وقد يؤدي إلى إعادة كتابة تاريخه .

ومن أمثلة ذلك تلك القصة المشهورة التي حكيت عن تفسير الطبري ، فقد كان هذا الكتاب يعد مفقودا إلى قرب نهاية القرن التاسع عشر ، مع أن العلماء من المسلمين والغربيين

كانوا مجمعين على أهميته . وفي سنة ١٨٦٠ كتب المستشرق الألماني نولدكه صادرا في حكمه عن قطع وجدها من الكتاب ونصوص نقلتها منه كتب أخرى : لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتب التفسير المتأخرة عنه ، ولكنه يبدو للأسف مفقودا .

ولهذا كتب المستشرق المجري جولد تسيهر الذي قص الحكاية السابقة « ولهذا كان مفاجأة سارة للعالم في المشرق والمغرب أن صدرت طبعة كاملة في القاهرة من هذا الكتاب الضخم ... معتمدة على نسخة كاملة مخطوطة وجدت في مكتبة أمير حائل » .

هذا كتاب واحد في علم واحد ، فكيف يمكن لباحث ما أن يعطي أحكاما عن تاريخ العلوم العربية جميعا وتراثنا لازالت أجزاء كثيرة منه لا يعرف أحد عنها شيئا .

٢ - يمكن أن نقول أن العلوم العربية لم تتوقف بعد القرن الرابع . قد يقال أن العلوم الدينية قد شهدت نوعا من الثبات النسبي وذلك لا يرجع إلى تأخر أو جمود ، ولكن يرجع إلى أنها علوم نقلية ، ومن المعلوم أن العلوم النقلية ثابتة استاتية بسبب اعتمادها على النقل ومن ثم فإن تطور المعرفة فيها مرتبط باستحداث مسائل تتطلب الإجتهاد . وقد ظل الاجتهاد قويا حتى القرن الرابع لأن العلماء وجدوا أمامهم مسائل تتطلب قدح الفكر فلما كان القرن الرابع استنفذت كل المسائل المطروحة للبحث .

والدليل على هذا اختلاف فقه أهل العراق ومصر عن فقه أهل المدينة ، وذلك لتشابه بيئة المدينة زمن مالك إمام أهل المدينة مع بيئة عصر الرسول ﷺ وهو عصر الوحي . ولذلك كان مالك يوسع دائرة الحديث ويضيق دائرة القياس ، ولذلك أخذ بمبدأ إجماع أهل المدينة ، إذ لو أجمعوا على ترك شيء أو فعله فهم قريبون من زمن الرسول ، ومن المتعذر أن يجمعوا على شيء لم يكن موجودا في عصر الرسول .

أما أهل العراق ومصر فإن بيئتهم زراعية تفرض أو تعرض مسائل جديدة وفروعها تتطلب البت فيها ولذلك وسع العراقيون دائرة الاجتهاد . أما مذهب أهل مصر متمثلا في مذهب الإمام الشافعي فقد استفاد من مذهب مالك واستفاد من مذهب أهل العراق ، إذ تتلمذ الشافعي على مالك ، ثم على محمد بن الحسن الشيباني فطعم مذهبه بآراء أهل العراق لتشابه بيئة العراق مع البيئة المصرية التي دون فيها مذهب الشافعي .

وفي القرنين الثالث والرابع أخذ علماء الفقه يخدمون المذاهب المختلفة ويستفرغون الجهد في بحث مسائلها ، حتى استنفدوها ، بل لقد افترضوا مسائل وأجابوا عنها . وكانت البيئة في القرون التالية بعد القرن الرابع ثابتة نسبيا ومتشابهة مع بيئة القرن الرابع وما قبله فلم تستجد مسائل تتطلب إعمال الفكر ، ولذلك بدا للمؤرخ غير المتبصر بطبيعة العلوم أن التطور قد توقف وأن الفكر قد جمد . والحقيقة أن البيئة نفسها هي التي ثبتت ولم تعد تطرح جديدا يحتاج إلى بحث . فلما جاء العصر الحديث وأخذ المسلمون يتصلون بالحضارة الأوربية

استجدت قضايا من النوع الذي أشرنا إليه عند الحديث عن القضايا المعاصرة ، فاحتاجت إلى بحثها والبت فيها ، ولذلك شهد الفقه نهضة جديدة كما ذكر مؤرخوه .

٣ - أن العلوم الأخرى غير الشرعية مثل الطب والتاريخ لم تشهد هذا الثبات النسبي ، بل استمرت في تقدمها وتطورها ، وذلك لأنها لا تعتمد على النقل كما تعتمد العلوم الشرعية ، ولذلك استمرت في النمو . فقد كانت القرون الثلاثة : السابع والثامن والتاسع في مصر العصر الذهبي للتاريخ والمؤرخين وشهدت أعاظم المؤرخين المسلمين . وقد شهد القرن الثامن مثلا شخصية فذة كابن خلدون . وشهد القرن السابع ابن النفيس الطبيب الذي اكتشف الدورة الدموية (مات ٦٩٦) . وفي الجغرافيا نجد القزويني (مات ٦٨٢ هـ) . وهناك القلقشندي وكتابه الموسوعي صبح الأعشى (مات ٨٢١ هـ) والدميري (مات ٨٠٨ هـ) وحياة الحيوان الكبرى .

٤ - ليس معنى هذا أن العلوم الشرعية قد خلت من العلماء الكبار . فهناك الغزالي (مات ٥٠٥ هـ) وفخر الدين الرازي (مات ٦٠٦ هـ) وابن تيمية (مات ٧٣٨ هـ) وتلميذه ابن القيم (مات ٧٥١ هـ) وابن حجر العسقلاني (مات ٨٥٢ هـ) والسخاوي (مات ٩٠٢ هـ) والسيوطي (مات ٩١١ هـ) .

وهذه الأمثلة جميعا هي في الفترة التي قيل أن العلم فيها قد توقف وهي أمثلة قليلة وهناك الكثير . وهذا يدل على أن من التسرع إصدار حكم بهذه الخطورة قبل دراسة قطع التراث ، وهذه غير ممكنة إلا بعد حصره وجمعه ونشره .

واقع المخطوطات العربية :

أنتجت المخطوطات العربية في بلاد الدولة الإسلامية . وقد تعرضت خلال رحلتها الطويلة منذ إنتاجها حتى الوقت الحاضر لظروف صعبة من إحراق إلى إغراق إلى نهب وسلب إلى نقل إلى مكتبات أجنبية . والخلاصة أن الكثير منها قد ضاع ولم يصل إلينا ، وأن الكثير منها أيضا قد نقل إلى مكتبات أوربية وأجنبية في الشرق أو الغرب على السواء بحيث يمكن القول بأن المخطوطات العربية توجد في قارات العالم الست وفي معظم المكتبات الكبرى في العالم ، كما توجد في العالم الإسلامي في أنواع متعددة من المكتبات وعند الأفراد .

ويقتضينا الإنصاف أن نقول أن المخطوطات العربية قد حظيت بقدر كبير من الاهتمام سواء من حيث التصوير أو النشر . ولكن من الحق أن نقرر كذلك أن الجهود التي بذلت لم تصل بتراثنا إلى ما نريده أو إلى شيء قريب منه ، فلا زالت المسافة بعيدة جدا بين واقع التراث وما نريده له . ولكي يتسنى لنا رسم معالم خدمته لابد أن نعرف حالته . ولذلك فسوف نحاول تلخيص واقع المخطوطات العربية على النحو الآتي :

أولا : نظرا لتشتت المخطوطات العربية في مكتبات العالم وعند الأفراد ، فقد كان من الضروري أن تتجه الجهود نحو جمع هذه المخطوطات ومما لاشك فيه أن المكتبات التي تقتنيها لا ترضي بالتخلي عنها ، مع العلم أنها تراثنا نحن . ولذلك فقد انصبت الجهود التي بذلت أساسا لجمع التراث على التصوير . وكان التصوير أحد الأنشطة الرئيسية التي أنشيء من أجلها معهد المخطوطات العربية التابع لإدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . يلي ذلك فهرسة المخطوطات التي يتم تصويرها .

وقد أنشيء المعهد منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما ، وتمكن من تصوير ما يقرب من ١٨ ألفا من المخطوطات . ورغم أن هذه حصيلة طيبة ، إذ يقف المعهد في الميدان وحده تقريبا ، إلا أن هذا العدد لا يذكر بالمقارنة مع عدد المخطوطات العربية في العالم وهو يقارب المليونين . ولو استمر المعهد على هذا المعدل فإنه يحتاج لإتمام العمل كله إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة . هذا إلى أن المعهد قد قام بتصوير جزء لا بأس به من هذه المخطوطات من مكتبات في الدول العربية ، وكان الأولى أن ينصب الاهتمام على ما يوجد في مكتبات أجنبية . كما أن ما في حوزة الأفراد لم تصل إليه يد بعد .

ثانيا : من حيث الحصر ليس هناك حتى الآن سجلات كاملة أو شبه كاملة عن المخطوطات العربية . وتحاول المكتبات التي تمتلك جانبا منها أن تعد لها فهارس ، كما حاول ذلك كثيرون من العلماء بينهم عرب ومستشرقون . ولكن هذه الأعمال لازالت بعيدة جدا عن الكمال ، بل إننا لا نعرف حتى الآن بصورة كاملة ما هي فهارس المخطوطات التي أصدرتها المكتبات ، اذ أن الكثير منها عبارة عن نسخ خاصة مخطوطة تستعمل داخل المكتبات أما ما عند الأفراد فلم يشمله أي نوع من أنواع الحصر المقنن .

والنتيجة لهذا أننا لا نعرف ما مخطوطاتنا وأين توجد . هذا فضلا عن أن الفهرسة تتم في كثير من الأحيان دون قواعد مقننة الأمر الذي يجعل توثيق المخطوط غير كامل .

ثالثا : ليست هناك خطة شاملة لنشر المخطوطات وتحقيقها ويمكن أن نلاحظ في هذا الصدد أن النشر يجري وراء كتب بعينها بقصد الربح المادي حتى ولو كانت قد طبعت من قبل مرة أو أكثر ، الأمر الذي يدل على أن رسالة النشر ليست في ذهن القائمين بالعمل .

وإن غياب خطة للنشر يؤدي كذلك إلى التكرار . كما أن النشرات التي تصدر تتفاوت في جودتها ، فالبعض يحقق ويدقق إلى أبعد الحدود والبعض يكتفون بدفع المخطوط إلى المطبعة دون أي جهد من جانبهم . ولهذا فلا يمكن الاعتماد على كثير من هذه النشرات من الوجهة العلمية . هذا فضلا عن أن ماتم نشره حتى الآن قليل بالقياس إلى عدد المخطوطات ، والاستمرار على هذا النمط يؤخر التعريف بتراثنا وإجراء الدراسات عليه .

رابعا : هناك جانب لم نعطه الاهتمام الكافي حتى الآن ، وهو تكشيف وتحليل النصوص فالملاحظ أن كثيرا من أعمال التراث تتسم بسمتين أو بواحدة منهما .

١ - أنها تضم كتلا كبيرة من المعلومات وتشتمل على جزئيات لا حصر لها والبحث الحديث لا يحتاج فقط إلى معرفة ما هي عناوين الكتب والمقالات والرسائل ، التي تتناول موضوعات معينة ، ولكن يحتاج إلى ما نسميه جزئيات المعلومات Bits of Information فكيف الوصول إلى هذه الجزئيات في كتاب يضم آلاف الصفحات . وقد يكون البحث عن جزئية واحدة ، فهل يقرأ باحث ما كتابا يضم ١٠ مجلدات مثلا للوصول إلى جزئية صغيرة .

لقد مكثت ليلة كاملة أبحث عن معنى لفظ واحد في كتاب أو أكثر ولم أهتد إليه مع تأكدي من وجوده في الكتاب ، لأن محتويات الكتاب لم تحلل أو تبرر بالشكل الذي يوصل إلى مضامينه .

٢ - أن الكثير منها يتسم بالموسوعية والاستطراد . فالكثير من الكتب لا تقتصر على الموضوعات التي تدل عليها عناوينها والتي حددها مؤلفوها ، وإنما يستطرد أصحابها إلى معلومات كثيرة بحيث تصبح في النهاية أعمالا موسوعية ، مثال ذلك : كتاب الحيوان للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، نهاية الأرب للنويري ، عيون الأخبار لابن قتيبة ، والخطط للمقريزي ، وحياة الحيوان للدميري . بل أن الكثير من كتب التراجم والتاريخ والأدب والجغرافيا والرحلات وتواريخ البلدان يصدق عليه صفة الموسوعية ، بل لقد انجر بعض المعاجم اللغوية إلى استطرادات موسوعية .

ويحتاج الأمر في الحالتين إلى إبراز المصطلحات الدالة في هذه الكتب وترتيبها ترتيبا مفيدا ييسر للباحث الوصول إلى كل الأماكن التي عولج فيها اللفظ الذي يريده بدلا من قراءة الكتاب كله فهو جهد لا يتناسب مع البحث عن جزئية صغيرة من المعلومات . وإذا كانت كتب التراث خزائن للمعرفة فإن التكشيف والتحليل يعطيا مفاتيح الوصول إلى هذه الكنوز ، وعملية التحليل تختلف عن الفهارس التقليدية التي يعدها المحققون والناشرون الآن لبعض كتب التراث(١) .

خامسا : يفتقر الإنتاج الفكري العربي - والمخطوطات جانب منه - إلى التنظيم الموضوعي الفعال الذي يعطي للباحث وبسرعة المواد التي تعالج موضوعه من كتب ومقالات وأبحاث . وقد قام البعض بجهود لتوفير هذا المدخل الموضوعي عن طريق تبني أنظمة أجنبية للتصنيف . هذه الأنظمة لا تراعى حاجات التراث الفكري للأمة الإسلامية لأنها أعدت لثقافات أجنبيه عنا .

---

(١) انظر بحثنا : تكشيف كتب التراث في هذا الكتاب . وهو يعالج قضية التكشيف بشكل مفصل .

وقد كان الرد العملي على هذا هو بذل الجهود في محاولة جادة لتوفير نظام عربي للتصنيف صالح لتنظيم المعرفة ونابع من حاجات المكتبات العربية وقائم على الفكر الإسلامي في مجال تنظيم المعرفة(١) .

أي أن تنظيم المخطوطات جزء من قضية عامة هي تنظيم الإنتاج الفكري العربي كله ، وهي جهود لم تصل بعد إلى مداها .

سادسا : من حيث الدراسة العلمية لا تحظى قضايا المخطوط وجوانبه بالدراسات اللازمة . هناك قواعد تحقيق النصوص ، وهناك مادة المخطوط ، وهناك أحبار المخصوطات وما يتم من جهود في جميع المجالات المتعلقة بها على مستوى العالم ، وهناك المؤتمرات العلمية ، الخ .

وأخشى ما أخشاه هو أن ينقرض جيل المشتغلين بالتراث حاليا ولا يوجد من يحل محله . حقيقة هناك جهود في هذا الصدد من قبل معهد المخطوطات ومن قبل مركز تحقيق التراث في مصر ولكنها غير كافية لتكوين جيل كفء من المحققين ، كما أن العمل في مجال المخطوطات لا يثير طموح الشباب الذين يتجهون إلى موضوعات ومجالات أسهل وأكثر تحقيقا للشهرة وللكسب المادي .

خطة شاملة للتراث :

أرجو أن أكون قد نجحت خلال الصفحات السابقة في إبراز أهمية التراث وفي توضيح أن الجهود التي بذلت في سبيله لا توصلنا إلى المقصود . فإذا كنت قد نجحت في هذا وإذا كنا قد اقتنعنا بأهمية التراث وضرورة العمل على خدمته ، فإن السبيل إلى ذلك وضع خطة شاملة له . وإن هذه الخطة تتطلب تفاصيل كثيرة وصفحات أكثر مما يسمح به الحيز خاصة وقد مال البحث إلى الطول .

لذلك اكتفي هنا بعرض ملامح هذه الخطة وأبرز قسماتها ، وأهم الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الصدد .

مركز إقليمي ومراكز وطنية للتراث :

إن الخطوة الأولى في سبيل العمل على خدمة تراثنا هو إنشاء التنظيم الذي يمكن أن يعهد إليه بمهام التنفيذ . إن العلم والتعليم والبحث العلمي أصبحت كلها الآن من مسئوليات

---

(١) انظر بحثنا : نحو نظرية إسلامية في تنظيم المعرفة في هذا الكتاب أيضا . وهو يضم تفصيلا عن هذه القضية .

الدولة وخاصة في المجتمعات النامية التي تسعى حثيثا نحو التقدم ، وما لم تسرع الدول النامية الخطى وتكسر حواجز الزمن فسوف تسبقها غيرها من الدول المتقدمة أكثر من الآن . ولذلك فلا يمكن أن تسير الدول النامية بالمراحل التدريجية للتطور بل من الضروري النمو بسرعة أكبر . هذا معناه أن المشروعات العلمية الكبيرة تحتاج إلى أن تدفعها الدولة دفعات قوية وأن تعهد بها إلى تنظيمات وهيئات تدعمها ماليا وبشريا ، لأن الاعتماد على الجهود والمبادرات الفردية في هذا الخصوص لايمكن أن يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة .

ومما لاشك فيه أن التراث من المشروعات العلمية الهامة ، ولا يمكن أن يكون مسئولية هيئة أو هيئات قليلة في بلد واحد من البلدان العربية ، بل هي مسئولية أصحاب هذا التراث جميعا ، هي مسئولية كل الدول العربية وكل الهيئات والعلماء فيه . وهذا لا يقلل مطلقا من مسئولية كل دولة من الدول العربية أو الهيئات فيها ، بل إن المسئولية في الحقيقة هي على مستويين :

مستوى كل دولة بما فيها من هيئات علمية .

مستوى الوطن العربي كله .

وإن المسئولية الأولى تتكامل مع المسئولية الثانية في إطار خطة واحدة متكاملة تحدد لكل بلد مسئوليته ونصيبه في هذا العمل الضخم . ولكي يكون كلامنا أكثر تحديدا نقول أن الوطن العربي كله ينبغي أن يشترك في إحياء التراث وخدمته ، وأن المهام والأعمال التي سنرسم إطارها العام تحتاج إلى إنشاء :

المركز الإقليمي للتراث العربي .

مراكز وطنية في كل دولة من الدول .

خطـــوات العمـــل :

أولا : المسح الشامل

نقصد بالمسح الشامل خطوة تمهيدية ولكنها في غاية الأهمية الغرض منها القيام بالتعرف على أماكن وجود المخطوطات . وتتضمن هذه الخطوة إرسال بعثات متكاملة من المتخصصين للقيام بمسح شامل لكل مظان وجود المخطوطات العربية في أنحاء العالم سواء في المكتبات أو عند الأفراد في الدول العربية أو الإسلامية أو الأجنبية . ومن الضروري الإعداد الجيد لهذه البعثات وتزويد أفرادها بالمعلومات اللازمة عن البلاد التي يزورونها عن طريق الدراسة لما قد تكون أصدرته هذه البلاد أو صدر عنها من أدلة علمية عن المكتبات ومراكز البحث العلمي وخاصة مراكز التراث أو معاهد الدراسات العربية ، والأفراد العلميين .

وتركز البعثات على الجوانب الآتية :

١ – زيارة المكتبات لمعرفة عدد المخطوطات وحالتها وهل أعدت لها فهارس أم لا ، ومدى إمكانية الاعتماد على تلك الفهارس وهل الفهارس مطبوعة أم خطية وكيفية الحصول عليها ، وقيمة المخطوطات نفسها وهل تضم مخطوطات ثمينة بحيث تدخل في الاعتبار عند تحديد أولويات الحصر ثم الجمع على ماسيأتي .

٢ – تحديد من هم العلماء الذين يهتمون بالدراسات الإسلامية والعربية في البلد الذي يزار ، والذين يمكن الاعتماد عليهم في التعاون في مجال فهرسة المخطوطات أو غيرها من الجوانب المطلوبة فيما بعد .

٣ – محاولة التعرف على الأفراد الذين يقتنون المخطوطات في تلك البلاد ، ودراسة إمكان الحصول على مخطوطاتهم أو بعضها عن طريق الشراء أو التصوير وتكاليف كل من العمليتين .

٤ – التعرف على مراكز الدراسات الإسلامية والعربية في تلك البلاد ومعاهد المخطوطات بها .

٥ – التعرف على الناشرين الذين يهتمون بنشر التراث سواء أكانوا هيئات أم ناشرين تجاريين .

وفي نهاية المرحلة السابقة سيكون الناتج إعداد أدلة تتضمن المعلومات النوعية السابقة بحيث يمكن الاعتماد عليها في المراحل التالية ، فيكون هناك دليل بالمكتبات وفهارسها ، دليل بالأفراد العلماء ، دليل بالأشخاص الذين يمتلكون مخطوطات ، دليل بمراكز ومعاهد الدراسات الإسلامية والعربية ومعاهد المخطوطات ، ودليل بالناشرين من الهيئات أو الأفراد .

ثانيا : تفريغ الفهارس

تم في الخطوة السابقة تحديد المكتبات التي تقتني فهارس وإعداد دليل بهذه الفهارس . بعد هذا لابد من الحصول على تلك الفهارس إما بالشراء إن كانت مطبوعة أو بالتصوير إن كانت خطية أو مطبوعة طبعة خاصة .

وحينما تصبح الفهارس في حوزتنا لابد من تفريغها على بطاقات موحدة حتى تكون لدينا نسخة أصلية من سجل المخطوطات – ولا أقول فهرس المخطوطات . هذا السجل سوف يكون أساسا للعملية أو الخطوة التالية ، وهي الحصر . أما الفهرسة فتتم بعد الحصول على المخطوطات أو نسخة مصورة منها حتى تكون الفهرسة دقيقة وممثلة .

ثالثا : الحصـر

تعد بطاقات حصر تتضمن المعلومات الأساسية التي لا غنى عنها عن المخطوط . ومن دراسة الأدلة السابقة التي توصلنا إليها في الخطوة الأولى يمكن تحديد المكتبات والأفراد الذين توجه إليهم هذه البطاقات . وتكون المعلومات المطلوبة واضحة ولا تحتمل اللبس أو التعدد بحيث تملأ البطاقات بصورة آلية . وحتى لا يحدث تكرار بين المكتبات التي تقتني فهارس فرغت في السجل أن المطلوب في بطاقات الحصر هو المخطوطات التي تدخل في الفهارس .

وحينما يشرع في التوجه بالبطاقات إلى بلد من البلاد يكون من مهام البعثة المرور على المكتبات لشرح المطلوب . ويمكن لأفراد بعثة الحصر القيام بالعمل أو تكليف المكتبة المعنية به ثم المرور عليها مرة ثانية وبعد فترة معقولة للحصول على البطاقات التي تكون أنجزت .

رابعا : الجمـع

المفروض أن تنتهي الخطوة السابقة إلى إعداد سجل حصر يشمل على المخطوطات العربية في كل مكان . هذا السجل سوف يخضع لدراسة متأنية ودقيقة من جانب العلماء لوضع خطة لعملية الجمع . وبديهي أن الجمع عملية طويلة المدى تحتاج إلى وقت وإلى مال وأفراد – أي إلى إمكانيات كبيرة من جميع الوجوه . وبديهي أيضا أن الخطة توضع على أساس المتاح من هذه الإمكانات ، بحيث يمكن في كل سنة الحصول على عدد من المخطوطات أو صورها .

ونلاحظ أن هناك ثلاث دوائر هي نفسها دوائر وجود المخطوطات :

- دائرة الدول العربية .
- دائرة الدول الإسلامية .
- دائرة الدول الأجنبية .

فالدول العربية لازالت تقتني مجموعات هامة جدا من المخطوطات ، وهي موجودة في المكتبات ولدى الأفراد . ويتطلب الأمر إصدار تشريع لجمع المخطوطات سواء تلك التي عند المكتبات أو الأفراد . وينص هذا التشريع على تسليم المكتبات والأفراد لما لديهم من مخطوطات إلى المركز الوطني للتراث والذي يكون قد أنشيء في البلد .

ويتولي المركز الوطني حين الحصول على المخطوط فهرسته وتصويره وإرسال نسخة إلى « المركز الإقليمي » حتى يكوِّن الأخير نسخة كاملة من التراث جميعا .

أما الدول الإسلامية فهي تضم كذلك مجموعات هامة من المخطوطات مثل تركيا

وإيران وباكستان . وهذه لن تقبل بطبيعة الحال التخلي عما لديها . وهنا لابد من عقد اتفاقيات تعاون ثقافي ينص فيها على التعاون في تصوير المخطوطات . ويمكن أن يكون ذلك من خلال التبادل فهذا أنفع للطرفين وأقرب إلى الاستجابة حتى تكون المنفعة متبادلة .

ونفس الشيء يمكن أن يتم مع الدول الأجنبية .

ويقوم بالتصوير أيضا بعثات يتم الإعداد لها إعدادا جيدا .

خامسا : التنظيم

يتضمن التنظيم عناصر هي :

الفهرسة الوصفية : وتشمل الجوانب الوصفية المادية للمخطوط من مؤلف وعنوان وحالة مادية ، الخ . أي توثيق المخطوط .

التصنيف : ويتضمن تحديد موضوع المخطوط حتى يتسنى معرفة ما لدينا من مخطوطات في موضوع معين .

رؤوس الموضوعات : وتتضمن ترتيبا للموضوعات في صورة الفبائية تيسر الوصول إلى المخطوطات في موضوع مخصص .

وعناصر التنظيم هذه هي نفسها عناصر التنظيم بالنسبة للمطبوع ، فيما عدا أن الفهرسة للمطبوع تختلف عن فهرسة المخطوط ، إذ تتضمن الأخيرة شمولا في الوصف لا يحدث عند فهرسة المطبوع . وهذا يتطلب وضع قواعد موحدة لفهرسة المخطوط .

أما العنصران التاليان فهما لا يختلفان ، لأن التصنيف ورؤوس الموضوعات يهتمان بالمضمون ، وهو نفسه في المطبوع والمخطوط . وهذان العنصران جزء من مشكلة توفير المدخل الموضوعي التي أشرنا إليها للتراث الفكري كله وهي تتضمن توفير خطة عربية للتصنيف وقائمة عربية لرؤوس الموضوعات .

ويتم التنظيم بطبيعة الحال – وكما سبق أن ذكرنا – للمخطوطات وللنسخ المصورة منها فقط . أما تلك التي يتسلمها المركز فتوجد لها بطاقة في سجل الحصر .

سادسا : النشر والتحقيق والخدمة

بعد توفر حصيلة من المخطوطات يمكن أن تبدأ عملية النشر . ولا شك أن اللجنة التي ستضع خطة الجمع ستراعى متطلبات النشر بحيث تجمع مخطوطات الكتاب الواحد مرة واحدة حتى يتسنى نشره وتحقيقه . وتتطلب عملية التحقيق والنشر وضع معايير لما يجب أن

ينشر وتطبق هذه المعايير لوضع خطة لما ينشر كل سنة . ويستعان بدليل العلماء في تحديد أفضلهم لتحقيق كتب معينة . ويكون من مهام المركز الإقليمي وضع قواعد موحدة للنشر والتحقيق والخدمة يلتزم بها العلماء المساهمون ويراجعها المركز للتأكد من تحققها في كل حالة ، حتى لا تخرج نشرات هزيلة لا يعتمد عليها علميا .

ويتضمن منهج النشر والتحقيق والخدمة ذلك الجانب الذي تحدثنا عنه وهو التكشيف وهو يدخل في باب خدمة النص عن طريق تحليله ، وليس فقط عن طريق التحقيقات والتعليقات العلمية .

سابعا : ما حول النصوص

تتعلق الخطوة السابقة بالنص نفسه سواء من حيث الإقامة والشكل أو من حيث التعليق أو من حيث التحليل والتكشيف . وإذا كان الحصول على المخطوط ونشره غاية في ذاته إلا أنه كذلك وسيلة إلى غاية أهم هي دراسة المحتوى الفكري نفسه ، وهي الغرض النهائي من كل ماسبق ، لأن مادة المخطوطات ستكون هي الأساس الذي نعتمد عليه في كتابة تاريخ العلوم الإسلامية والعربية ، وفي دراسة التراث الفقهي ، وفي البت في القضايا المعاصرة ، الخ . وهذا يتطلب مجموعات ضخمة من العلماء كل في فرع تخصصه حتى نكشف عن كل الجوانب السابقة ولا يكون هناك أي جانب من جوانب حياتنا الفكرية لم يدرس ولم يكشف عنه .

والآن وبعد أن حددنا المهام والخطوات المطلوبة ، أرجو أن يكون قد اتضح ثقل المهام وأنه لابد من إنشاء المركز الإقليمي والمراكز الوطنية للتراث ، كما أرجو أيضا أن يكون دور كل قد اتضح . فالمركز الإقليمي يتولى التنسيق ووضع الخطط ويحدد لكل مركز وطني مهامه ونصيبه في عمليات التنفيذ . كما يقوم بالعمليات التي تحتاج إلى التوحيد ، مثل وضع التشريعات ، ووضع قواعد موحدة للفهرسة وقواعد محددة للنشر والتحقيق والخدمة ، ووضع الخطة العامة للجمع والنشر ، ويشرف على وضع معايير إعداد المشتغلين بالتراث . وبديهي أن هذا يتطلب أن تكون له مجلته ومطبوعاته . وبديهي أيضا أنه سيحتفظ بكل أنواع الفهارس والسجلات والأدلة ، وبنسخة مصورة من كل مخطوط حتى يكون مقصدا للباحثين .

وبعد فهذه دعوة إلى البحث في قضايا التراث ، ودعوة إلى الاهتمام به والعمل على خدمته والدعوة موجهة إلى كافة الهيئات العلمية في وطننا العربي . وقد تصلح هذه الدراسة أن تكون ورقة عمل لمؤتمر يعقد لدراسة التراث العربي ، وأن تكون المسائل التي عرضتها فيها هي رؤوس موضوعات لما يجب أن يبحثه مثل هذا المؤتمر ، الذي يمكن أن يحدد الخطوات العملية لتحقيق المقترحات السابقة وأن يعمقها ويبحث تفاصيلها .

ووطننا العربي – بحمد الله – غني بإمكاناته ، غني بهيئاته العلمية ، غني بإرادة الخير فيه ، غني بحب تراثه والحرص عليه ، ولعل هذا كله أن يكون دافعا للاستجابة والتنفيذ .

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير ...

تكشيف كتب التراث

مجلة عالم الكتب (الرياض) ، العدد الثاني ، أكتوبر ١٩٨٠

تكشيف كتب التراث

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،

أما بعد ..

فإن الموضوع الذي نبحثه الآن هو « تكشيف كتب التراث » . وقد يكون من المفيد في بداية هذا البحث أن نعطي بعض التعريفات ، وخاصة تلك التي تتعلق بالتكشيف ، وذلك لأن الكلمة لاتزال حديثة الاستعمال نسبيا .

كلمة تكشيف تقابل الكلمة الإنجليزية Indexing وهي التصريف الرابع من الفعل to index وكلمة Index اسم وفعل في آن واحد ، فهي تعني العملية نفسها ، كما تعني الناتج والفعل : يكشف ، والناتج : كشاف . فعندنا الآن ثلاثة ألفاظ هامة كشاف ، يكشف ، تكشيف . والقائم بالعمل هو المكشف Indexer والحقيقة أن لفظ كشاف ومشتقاته يدل على أشياء كثيرة ومدى واسع من الكشافات . وقد يحسن في البداية أن نعطى تعريفا جامعا للفظ « كشاف » . والحقيقة أن هدفنا من هذا البحث ليس إعداد دراسة نظرية عن الكشاف والتكشيف ، وليس دراسة الأساليب الفنية التي يتضمنها التكشيف . ولذلك فسوف نكتفي بتعريف قياسي للفظ هو ذلك الذي أوردته دائرة معارف علم المكتبات والمعلومات :
Encyclopedia of Library and Information Science

أقول أنه تعريف قياسي لأنه مأخوذ عن :

American National Standards Institute. U.S.A. Standard Basic Criteria for Indexes, 1968.

أي أن المعهد القومي الأمريكي للمواصفات القياسية قد وضع معايير قياسية لإعداد الكشافات وقد ورد التعريف في مقال الدائرة عن :

Index Indexer Indexing

تقول الدائرة :

« الكشاف عبارة عن دليل مقنن إلي الوحدات التي تتضمنها مجموعة ما ، أو المفاهيم المشتقة من هذه المجموعة . هذه الوحدات أو المفاهيم المشتقة يتم تمثيلها بواسطة مداخل ترتب في ترتيب معروف أو مقدر سلفا ، مثل الترتيب الألفبائي (الأبجدي) ، أو الزمني ، أو الرقمي .

« ... ويستعمل اللفظ مجموعة Collection ليدل علي أى جسم من المواد التي يتم تكشيفها - نص مفرد أو مركب (مثال ذلك : الأبحاث المفردة monographs المختارات ، دائرة المعارف ، الدورية) ، أو يعني جماعة من هذه النصوص ، أو فئة من الإيضاحيات (مثال ذلك : الخرائط ، الرسومات ، المستنسخات من الأعمال الفنية ، أو الموضوعات الأخرى) .

ويستعمل لفظ وحدة item لكي يعني أي كتاب ، أو مقال ، أو تقرير ، أو مستخلص ، الخ ، (أى : وحدة مستقلة من نص ، جزء من مجموعة ، مثل : فقرة في كتاب ، مقال في مجلة أو جريدة ، وثيقة في ملف ، جزء من شريط ، واحدة في سلسلة من الرسومات ، أو ماشابه ذلك ، أو أي من البيانات أو المعلومات التي تشتمل عليها أي واحدة من تلك المواد) .

« والمدخل هو الوحدة unit الأساسية للكشاف ... »(١) .

ومن التعريفات السابقة يمكن أن نصل إلى عدد من الخلاصات منها :

١ - أن الكشافات أنواع كثيرة ، ويرتبط النوع بنوع المادة المكشفة . هناك كشافات للدوريات ، وهناك كشافات للنصوص ، بل إن هناك كشافات بقدر ما هنالك من مواد أو مجموعات .

٢ - أن الهدف من عملية التكشيف هو تحقيق الذاتية ، أى إفراد عناصر معينة أو مفاهيم معينة وتجميعها وترتيبها ترتيبا مقننا مفيدا ليسهل الوصول إلى المواد في داخل نص ما أو مجموعة ما .

٣ - ولذلك فلابد من طريقة لربط المدخل الذي تم إفراده بالنص أو المجموعة ، أي : تحديد مكانه داخل النص أو المجموعة .

٤ - أن قيمة الكشاف تتزايد كلما تزايد حجم المجموعة وتشابك المصدر . فإذا كان المصدر رسالة صغيرة أو كتيبا فإن الوصول إلي المحتوي لا يكون أمرا صعبا دون كشاف . أما الكتب الدراسية وما شابهها فإنها تحتاج إلى كشاف ، إذ تصل إلى مئات الصفحات . فإذا ما وصلنا إلى كتاب يتضمن عدة مجلدات ، أو الأعداد الكاملة من

مجلة ، فإن الوصول إلى المحتوي يصبح أمرا مستحيلا دون كشاف . وهكذا كلما كبر العمل وتزايد تشابكه كلما مست الحاجة إلى الكشافات .

وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد عند الحديث عن أعمال التراث .

ولعله قد اتضح من كل ماسبق أن الحديث عن الكشافات والتكشيف يمكن أن يشتمل على جوانب متعددة : من حيث الأنواع ، ومن حيث الأهمية ، ومن حيث طرق التكشيف وأساليبه ، ومن حيث التطور ، ومن حيث وصف الكشافات نفسها ، وهكذا .

وكما ذكرت فليس هدفنا أن نعد بحثا نظريا عن الموضوع ، إنما هدفنا في المحل الأول توجيه الاهتمام إلى أعمال التراث وضرورة تكشيفها بما يحقق الاستفادة الكاملة بنصوصها . وليكن هذا البحث مقدمة أو مدخلا للحديث عن هذا الموضوع الحيوي ، بما يكفي لإثارته وتوجيه الاهتمام إلى تراثنا .

ما التـراث :

إذا كنا قد نجحنا حتى الآن في تعريف الكشاف والتكشيف ، وهو اللفظ الأول في عنوان البحث ، فمن الضروري أن ننتقل الآن إلى اللفظين الآخرين :

وهما : كتب التراث .

ولنبدأ بالثاني منهما وهو التراث . فما الذي نعنيه بلفظ التراث ؟

تعني كلمة تراث مفهوما واسعا ، يضم نتاج الحضارة من علم وفكر وفن وآثار ...

كما تغطي مدى زمنيا واسعا إذ يضم التراث نتاج القرون التي شهدت النشاط العلمي للأمة العربية الإسلامية قبل بدء العصر الحديث ، ويضم كذلك الأعمال الحديثة في الموضوعات القديمة ، وإن لم تكن هذه الأعمال جزءا من التراث ، إلا أن كل فن لا يخلو عن التوابع المكملة له .

وفيما يتعلق بالتكشيف ، فإن أعمال التراث التي تحتاج إلى التكشيف هي :[٢] .

١ - الكتب ، وتشمل الكتب المطبوعة أما المخطوطة فلا يمكن تكشيفها لأنها غير متداولة ، ولسنا نريد أن توسع الآن مفهوم اللفظ بحيث يعني فهارس المخطوطات ، فلهذه مشكلات وقضايا مستقلة .

ويدخل في الكتب أعمال التراث نفسها والأعمال عنه .

٢ - المجلات ، ويتضمن تكشيفها تحليلا موضوعيا ووصفيا للمقالات التي تتضمنها المجلات التي تهتم بموضوعات التراث ، مثل الدين الإسلامي ، واللغة العربية ، والأدب

العربي ، والحضارة الإسلامية ، والتاريخ ، وكل مايدخل في الدراسات العربية الإسلامية بالمعني الواسع .

والحقيقة أننا لا نريد هنا أن نخلط بين وظيفة الكشافات ، ووظيفة الببليوجرافيات . فالأولى تتعلق بالتحليل الموضوعي والوصفي للمحتويات ، أما الثانية فتتضمن بيانات كافية عن مصادر المعلومات ، وتتضمن كل هذه المصادر وليس نوعا واحدا فقط من المواد .

والحقيقة أن هدفنا أيضا ليس الحديث عن أهمية الببليوجرافيات ، وخاصة الموضوعية منها ، في توفير مصادر المعلومات أمام الباحث وتوفير وقته وجهده[٣] .

إن ما سوف ندرسه هنا هو تكشيف الكتب فقط أي تحليل نصوص التراث .

يحتاج تحقيق المخطوط ونشره وخدمته إلى قسمين من العمليات :

١ – إقامة النص ، أي تحرير النص في شكل يجعله أقرب ما يكون إلى الصورة التي كتبها مؤلف الكتاب .

٢ – خدمة النص ، وهذه تتضمن بدورها نوعين من الخدمة :

(أ) خدمة النص بالتعليقات والشروح .

(ب) خدمة النص عن طريق التكشيف ، وهي مانعنيه الآن .

وقد شاع بين العاملين في حقل التأليف والنشر استعمال كلمة فهارس للتعبير عن هذا النوع من الخدمة .

وهناك أنواع كثيرة من كشافات الكتب ، ترتبط بالحاجة والهدف ومستوى التحليل المطلوب ، وبالتالي تتفاوت في درجة التفصيل .

في أحد الطرفين نجد قائمة المحتويات التي توجد في أي كتاب ، فهي عبارة عن ملخص لمحتويات الكتاب علي هيئة رؤوس الفصول التي يضمها هذا الكتاب . وقد تمضي قائمة المحتويات أبعد من ذلك فتعطي تحت كل فصل مجموعة المباحث التي يشتمل عليها . وقائمة المحتويات يعدها المؤلف عادة ، وهي تسير على نفس ترتيب الكتاب ، الذي يتبع الإطار العلمي في التأليف .

وفي الطرف الثاني يمكن إعداد قائمة تكشيفية لكل ألفاظ الكتاب ، وهي مايسميه الغربيون Concordance وهي قائمة تتضمن إيرادا للألفاظ التي وردت في كتاب معين ، أو كتب معينة تدمج معا ، وترتب ألفبائياً ومثالها بالنسبة للعربية « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذي أعده المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي لألفاظ الكتاب العزيز .

وفيما بين الطرفين هناك أنواع كثيرة من الكشافات تتفاوت في مستوى التحليل ، وهذا يتوقف بدوره على أهمية النص ، ومدي غناه بالأفكار والموضوعات ، وحاجات الباحثين إلى استعمال هذا النص والاستفادة منه ، الخ .

والغرض الرئيسي من إعداد كشافات لكتاب ما ، هو أن نبرز كل الألفاظ والمفاهيم ذات الدلالة والتي يشتمل عليها الكتاب ، بحيث نجعل كل لفظ أو فكرة مدخلا مستقلا ، بحيث نكون أفردنا كل جزئية صغيرة أو كبيرة ، ويسجل أمام المدخل الصفحة أو الصفحات التي ورد بها من النص ، وإذا كان العمل في أكثر من مجلد يسجل قبل الصفحة رقم المجلد ، بحيث يستطيع القارىء أن يصل إلى المعلومة التي يريدها بسرعة وسهولة .

وفضلا عن كلمة المدخل ، نذكر المعلومات المرتبطة بها تحتها إمعانا في التحليل والتخصيص . فلو فرضنا أن لفظا ما ورد عشرين مرة في نص معين ، فلو أنني سجلت اللفظ كمدخل وتحته الصفحات التي ورد فيها فقط فسوف يكون على الباحث أن يستعرض كل الأماكن التي ورد فيها اللفظ حتي يصل إلى الجزئية التي يريدها . أما إذا سجلت تحت اللفظ الموضوعات التي يرتبط بها في كل مرة فسوف يوفر هذا على الباحث مثل هذا العناء .

وإن وجود مثل هذه الكشافات أمر لا غنى عنه بالنسبة لأي كتاب ، فضلا عن الكتب الضخمة ، إذا أن البديل عن ذلك هو قراءة الكتاب كله أو أجزاء كثيرة منه للوصول إلى المطلوب ، ولاشك أن هذا يستغرق من الباحث وقتا طويلا وجهدا كبيرا ، ويجعله أميل إلى الاستغناء عن البحث . هذا فضلا عن أن هذه الطريقة العفوية نادرا ما توصل الباحث إلى ما يريد . ومن ثم يأتي بحثه ناقصا في الأعم الأغلب من الحالات . فالتكشيف ليس وسيلة لتوفير الوقت والجهد فقط ولكنه وسيلة لكمال البحوث إذ تكتمل مصادرها ، وغيابه يؤدي إلى عدم كمال البحوث بسبب نقص في مصادرها .

وإن الحياة الحديثة بإيقاعها السريع لا تعطي الباحث وقتا كي يضيعه في تتبع مصادر المعلومات ، فإذا ما أمكن أن يقوم أفراد معينون بإبراز مصادر المعلومات وترتيبها ترتيبا مفيدا ييسر الوصول إليها فإن هؤلاء الأفراد – المكشفون – يسدون خدمات جليلة إلى العلم والبحث العلمي . يقول السيد محمد رشيد رضا في مقدمته لكتاب (مفتاح كنوز السنة) : « فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر عليَّ ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها »(٤) .

هذا عن كتاب واحد أعد لمصادر الحديث النبوي الشريف ، فما بالك إذا توافر لدينا جهاز كامل من الخدمات البيليوجرافية والتكشيفية للسيطرة على مصادر المعلومات وتنظيمها .

الحقيقة أن الحضارة الحديثة مدينة لتنظيم المعلومات ، فلولا هذا التنظيم لما تمت

البحوث ، وبالتالي ماتقدم العلم ، الذي هو أساس الحضارة الحديثة . ولذلك لا عجب إذا وجدنا الغربيين يهتمون اهتماما كبيرا بكل جوانب تنظيم المعلومات وخاصة الجانب الموضوعي ، سواء في المكتبات أو البيليوجرافيات ، أو الخدمات التكشيفية ، الخ .

وفيما يتعلق بكشافات الكتب نجد أن الغربيين قد اهتموا بهذا الجانب اهتماما كبيرا ، فقلما يخلو كتاب كبير أو صغير من كشاف يبرز أهم المعلومات فيه حتى أصبح هذا تقليدا متبعا عندهم .

وقد كان الغربيون هم أول من اهتم بدراسة كتب التراث العربي الإسلامي وموضوعاته في العصر الحديث . ولاشك أن دوافعهم في دراسته والاهتمام به غير دوافعنا ، ولاشك أيضا أن آراهم واتجاهاتهم غير نزيهة أو موضوعية في كثير من الحالات . وليس هنا مجال الحديث عن هذا الموضوع . ما نقصده هو أن الغربيين حينما بدأوا يدرسون كتبنا ويهتمون بنشرها وتحقيقها ، اهتموا في ذات الوقت بعملية إعداد فهارس أو كشافات لهذه الكتب لإبراز أهم المعلومات التي اشتمل عليها النص .

وقد اهتموا أول ما اهتموا بالكتاب الكريم ، ثم بالسنة النبوية المطهرة ، وأعدوا كشافات للكتب التي قاموا بتحقيقها ، وفهارس للمخطوطات ، وكشافات للمقالات التي كتبوها هم ، إلى غير ذلك من مجالات الاهتمام . وقد أشرنا من قبل إلى ما قاله السيد محمد رشيد رضا عن كتاب (مفتاح كنوز السنة) .

والحقيقة أن بحثنا هذا هو عن « تكشيف كتب التراث » وليس استعراضا لكشافات كتب التراث . ولذلك فلا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن هذه الكشافات إلا في ألفاظ عامة مجملة . كل ما نريد أن نقوله هو أن الإنتاج الفكري العربي لايزال حتي الآن غير منظم ، في حين أن المستشرقين قد نظموا ما كتبوه هم عن هذا التراث . فالفرص المتاحة أمام الباحث العربي ضئيلة ، وتلك المتاحة أمام الباحث الغربي – في الموضوعات العربية الإسلامية – واسعة . وهذا من شأنه أن يقلل من الاعتماد على الإنتاج الفكري العربي ، وهو المادة الأصيلة في هذه العلوم ، ويزيد من الاعتماد على الإنتاج الفكري الغربي ، وهو المادة الثانوية . والنتيجة الخطيرة المترتبة على هذا الاعتماد هو تلون الدراسات التي تجرى في هذا النطاق – حتي تلك التي يعدها باحثون مسلمون – بوجهات نظر المستشرقين ، أيا كانت هذه الوجهات ، لأن المادة الأصيلة غير متاحة . وهذا هو الهدف الذي يسعون إليه ، فكأننا بعدم تنظيم مصادر المعلومات في علومنا نحقق لهم دون كد أو عناء مايريدون ونهدم قيمنا وعلومنا بأيدينا . وقد أردت من هذا فقط أن أجسم المشكلة أمام الهيئات العلمية حتي تدرك مدي الخطر وتسارع إلى تلافيه .

على أية حال ، لقد اهتم المحققون من عرب وغيرهم بإعداد أنواع من الفهارس لكتب التراث ، وهي تقتصر في أغلب الأحيان على فهارس تقليدية نمطية مثل فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن وفهرس القوافي ، وفهرس الأحاديث ، الخ . ، أي أن المحقق يحدد أنواعا معينة من المعلومات ويعزل كل نوع في قائمة مستقلة ويرتبه فيما بينه[٥] .

والحقيقة أن ما نقصده بعملية التكشيف هو التحليل الكامل للنص بحيث نبرز كل المعلومات التي يشتمل عليها وليس مجرد أنواع معينة من المعلومات سبق تحديدها ، وهذا التحليل لا يصل في كل الحالات إلى درجة تسجيل كل الألفاظ بالنسبة لكتب التراث ، ولكنه يصل إلى حد إبراز كل المفاهيم الهامة . أما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فلا زالا بحاجة إلى عمل هام وجوهري في هذا الخصوص لخدمة كل أنواع الدراسات المطلوبة . وليس هنا مجال تفصيل طبيعة العمل .

والمعيار الهام والأساسى الذي يمكن على ضوئه تحديد الألفاظ والمفاهيم التي يتم تكشيفها – هو أن يضع المكشف نفسه مكان الباحث ، فعملية التكشيف لاتتم في فراغ ، ولا تتم للمتعة الشخصية ، وإنما هي وسيلة لغاية ، هي خدمة الباحث . ودائما يسأل المكشف نفسه هذا السؤال : ما أنواع الأسئلة والاستعمالات التي سيتعرض لها هذا النص بالذات ، وما الطريقة أو الطرق التي سوف يقترب الباحث إلى النص عن طريقها ؟ ولذلك فإنه لا يمكن وضع معايير دقيقة ومفصلة لأن لكل نص طبيعته ، ولكل علم استعمالاته .

وإذا كنا قد نجحنا في إبراز أهمية التكشيف بالنسبة للكتب عامة ، فإننا يجب أن نلقي شيئا من الضوء على طبيعة كتب التراث حتي تتضح الحاجة الماسة إلى تكشيفها وتحليلها .

شهد التراث العربي الإسلامي ظواهر هامة في التأليف ، منها ظاهرة هامة يجدر بنا أن نشير إليها في كلامنا هذا ، وهي ظاهرة التأليف الموسوعي ، أو دوائر المعارف .

وليس منا من يجهل دوائر المعارف ، فهي كتاب يضم بين دفتيه معلومات عن كافة فروع المعرفة وموضوعاتها ، ولكن الموسوعة العربية القديمة تختلف عن دائرة المعارف الحديثة من زاويتين :

١ – أن الموسوعة العربية القديمة ترتب ترتيبا مصنفا ، بمعني أنها تسير على النسق العلمي في التأليف ، بحيث تقسم إلى موضوعات كبيرة ، وتحت كل موضوع مباحث وجزئيات كثيرة لاتكاد تقع تحت حصر . فكل موضوع يمثل بذاته كتلة كبيرة من المعلومات تشتمل على تفاصيل كثيرة .

٢ – أن الكثير منها أوسع بكثير مما يدل عليه عنوانها ، أو المجال الذي حدده صاحبها لدراسته ، فقد عرف تراثنا ظاهرة الاستطراد وإيراد فوائد كثيرة بحسب تداعي

الحديث . وهناك أمثلة كثيرة على القضية الأخيرة : كتاب صبح الأعشي للقلقشندي المشار إليه فيما سبق ، حياة الحيوان للدميري ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وغير ذلك .

أي أن الموسوعة العربية القديمة كانت تختلف عن دوائر المعارف الحديثة في طريقة التأليف والترتيب . وكلنا يعرف أن دائرة المعارف الحديثة تفتت المعرفة على آلاف كثيرة من المقالات يضم كل منها موضوعا متفردا سواء كان كبيرا أم صغيرا ، وترتب المقالات دائما ترتيبا ألفبائيا لأنه معروف للخاصة والعامة .

وكذلك فإن الدائرة الحديثة يقوم بكتابتها آلاف من العلماء كل في تخصصه ، أما الموسوعة العربية القديمة فقد كان يقوم بتأليفها فرد واحد – باستثناء رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا التي ألفتها هذه الجماعة ، وهي أيضا أفراد قليلون .

والحقيقة أن الموسوعات العربية القديمة لاتقتصر على الأمثلة التي ذكرناها وما يماثلها من تآليف ، بل إن هناك كتبا كثيرة هي من حيث الحجم والمعلومات التي تشتمل عليها تعد موسوعات ، إن لم يكن في كل العلوم ففي علم واحد أو أكثر . فالكثير من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والطبقات والخطط ، بل الكثير من كتب التفسير والفقه والأصول ، وكتب الفرق ، ومعاجم اللغة وتواريخ البلدان – الكثير من هذه الأنواع جميعا تشتمل على معلومات موسوعية غزيرة وفوائد جمة .

ولنضع أنفسنا مكان الباحث كما ذكرنا ، لو أراد الباحث الوصول إلى جزئية صغيرة من المعلومات ، فماذا يصنع وسط عدد من المجلدات وآلاف الصفحات . إن هذه الكتب هي خزائن للمعلومات ، ولكن الاستفادة منها غير ممكنة على الوجه الأكمل لأن هذه الخزائن لا توجد لها مفاتيح تيسر الوصول إليها . هذه المفاتيح هي الكشافات .

كشافات مؤلفات
الشيخ محمد بن عبدالوهاب

مما لاشك فيه أن صورة الكشافات التي ندعو إلى إعدادها لكتب التراث سوف تتضح بصورة أفضل وأكمل لو أعطينا مثالا يوضح الأفكار التي عرضناها . وللأسف فإن هذه الصورة لا تتحقق إلا في كشاف واحد أعد لمؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بمناسبة الأسبوع الذي أعدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لدراسة هذه المؤلفات ، ولهذا فإنني أعتذر إلى القاريء إذا كان المثال التوضيحي هو هذا المثال الذي أشرفت على إعداده لأنه هو المثال الوحيد الذي يوضح القضية التي ندعو إليها .

قامت الجامعة بجمع مؤلفات الشيخ وطباعتها فجاءت في اثني عشر مجلدا تتضمن أكثر من ٥٦٠٠ صفحة . وهذه المؤلفات تغطي كل علوم الدين الإسلامي من تفسير وحديث وأصول وفقه وسيرة ورد على أصحاب المذاهب وعقائد ، إلى جانب الرسائل التي تغطي كثيرا من هذه الموضوعات أيضا .

وعند وضع خطة العمل وجدنا أن أفضل أسلوب هو عمل كشاف واحد أي إدماج كل المعلومات في تسلسل ألفبائي واحد ، وعدم عزل أنواع من المعلومات في أنواع من الكشافات ، لأن هذا العزل يفترض أن القارىء سوف يقوم هو نفسه بعملية عزل مشابهة . أما الادماج فلا يفترض شيئا من هذا لأن الباحث سوف يذهب توا بالمعلومة التي في رأسه إلى تسلسل موحد فيجدها في مكانها المناسب من هذا التسلسل .

وقد وضعنا أنفسنا في مكان الباحث ، وبالتالي قررنا أن نبرز كل المعلومات الواردة في النص ، وهي أنواع كثيرة جدا . لعل أهم خاصية لهذه الكشافات هي أنه لأول مرة تكشف المفاهيم الموضوعية في صورة المصطلحات العلمية الواردة في النص مع الدلالة على العلاقة بينها وبين مفاهيم أخرى ، بحيث أن الباحث الذي يريد أن يجري بحثا عن موضوع معين من مؤلفات الشيخ يجده مجمعا ، أما إذا كان يريد جزئية واحدة ، فسوف يجدها أيضا ، وكذلك إذا كان يريد اسم شخص أو قبيلة ، أو صنم ، أو مكان ، أو نهر أو بئر ، أو عنوان كتاب ، أو حادثة أو غزوة ، الخ . كل هذه المعلومات أفردت على بطاقات مستقلة ، ثم جمعت في النهاية ، وربطت معا ، وأعدت لها الإحالات اللازمة وطبعت في تسلسل واحد .

ولسنا نريد أن نغرق القارىء بتفاصيل العمليات الفنية بدءا بقراءة النص وتحديد استراتيجية التكشيف ، حتى تم طبعه ، المهم أن الكشافات قد صدرت في ثلاث مجلدات كبيرة أولها للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والباقيان لبقية الموضوعات . والكل مرتب ترتيبا ألفبائا من الألف إلى الياء . وقد قسمت الصفحة على عمودين ، ونظم إخراج المادة بحيث يخدم قضية الاستفادة .

ولا شيء يوضح الفكرة مثل إيراد نموذج لبعض صفحات العمل .

خاتمــــة:

يطول بنا الحديث لو تناولنا كل جوانب القضية وكل الكشافات وكل أنواع كتب التراث التي تحتاج إلى التكشيف ، والجوانب الفنية . ولكن هدفنا من هذا البحث هو توجيه الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بكتب التراث ، وضرورة العمل على تكشيفها ، وتكوين جيل من المكشفين الذين يتمرسون بهذا العمل ويتقنونه ويقومون به خير قيام . ونحن نحسن الظن بأمتنا وبهيئاتها العلمية وعلمائها ، ونثق أنهم سوف يلتفتون إلى قيمة العمل ويعملون على تحقيق الفكرة .

نماذج من كشافات مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب

الملحق الأول : حرف الألف . المجلد الثاني

الملحق الثاني : حرف الشين من المجلد الثالث

الشافعي : محمد بن إدريس

أجاز تعليم القرآن بأجر

. : ٧٣.

أجاز المسلم حالا

٢ (أ) ٤٩٦

أجاز السَّلَم في اللبن

٢ (أ) ٤٩٥

---

(١) المقال المذكور في دائرة معارف علم المكتبات والمعلومات . وقد يكون من الغريب في بحث عن « تكشيف كتب التراث » أن نستشهد بمقال في دائرة أجنبية . ولكن الحقيقة أن الغربيين – كما سنرى – كانوا أسبق إلى هذا العمل ، حتى فيما يتعلق بكتب التراث العربي الإسلامي .

(٢) لتحديد أبعاد التراث العربي الإسلامي ومعرفة أهميته بالتفصيل وكيف نخدمه ، انظر مقالنا : قضية التراث . مجلة الدارة (الرياض) ، س٥ ، ع١ ، ربيع الأول ١٣٩٩ هـ/مارس ١٩٧٩م . ص ص ١٧٨ – ٢٠٦ . وهو ضمن أبحاث هذا الكتاب .

(٣) لدراسة هذه الأمور ، وخاصة بالنسبة للباحث في الدراسات الإسلامية ، انظر مقالنا : البيليوجرافيا الموضوعية العربية ، علوم الدين الإسلامي . مجلة كلية اللغة العربية (الرياض) ع٨ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م ص ص٤٨٩ – ٥٦٤ . ومما يجدر ذكره أنه قد تم إعداد جزء من بيليوجرافية خاصة بالدين الإسلامي : ويتضمن العمل تحليلا لـ ٦٨ مجلة واشتمل على حوالي ٥٣,٠٠٠ مقالا وظهر في ستة مجلدات وسابع للكشافات . ومن المنتظر أن يستكمل العمل قريبا إن شاء الله (ضمن هذا الكتاب) .

(٤) مفتاح كنوز السنة : المقدمة ، صفحة س – ع .

(٥) تعدد الفهارس في بعض الحالات حتى وصلت إلى ١٩ نوعا ، كما فعل الدكتور عبدالفتاح الحلو في كتاب نفحة الريحانة ، كذلك أعد فضيلة الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة فهارس مفصلة لكتاب سيبويه ، ولكنها لم ترتب ترتيبا ألفبائيا : وأعد الأستاذ محمد قنديل البقلي فهارس في مجلد كامل لكتاب « صبح الأعشى في كتابة الإنشاء » وهو من التآليف الموسوعية العربية . وكما ذكرت فليس هدفنا هو الحديث عن « كشافات » الكتب . كما أن الكشافات السابقة لا تدخل في الإطار الشامل الذي نقصده .

أربعة كتب ببليوجرافية عربية

مجلة الكتاب العربى (القاهرة) ، العدد ٤٩ ، إبريل ١٩٧٠

أربعة كتب ببليوجرافية عربية

تفجر النشاط العلمي في الدولة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين وساعد على ذلك تشجيع الخلفاء للحركة العلمية ، كما ساعد عليه ، نشأة حرفة جديدة هي حرفة الوراقة ، وهي تشبه صناعة النشر في أيامنا . وكان الوراقون يقومون بنسخ الكتب ومقابلة بعضها على البعض والإتجار فيها ، ومن وراء ذلك علم دقيق بها وبأخبار مؤلفيها .

والنتيجة الطبيعية لهذا ، هي كثرة الكتب ، ونشأة المكتبات الخاصة والعامة وازدياد عدد الراغبين في الحصول على الكتاب . وإذا كان نشاط التأليف في ذلك الحين قد خلق الوراقة .. فإن نشاط حرفة الوراقة قد خلق علما جديدا هو علم الببليوجرافيا ، كما نسميه اليوم ، أو علم تجميع مصادر البحث كما فهمه الأقدمون .

وسوف نعرض في هذا المقال للتعريف بأشهر أربعة كتب في هذا الموضوع تزهو بها الحضارة العربية على سائر الحضارات .

الفهرســت :

ابن النديم ، محمد بن إسحق ، أبو الفرج . الفهرست . **القاهرة:** المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٤٨ هـ . ٦ ، ٥٢٨ ، ٨ ص .

مؤلف هذا الكتاب هو أبوالفرج محمد بن إسحق النديم ، عاش ابن النديم في القرن الرابع الهجري ، وقد توفي حولى سنة ٣٨٥ هـ . ورغم أن كتابه من أشهر الكتب وأهمها في التراث العربي إلا أن المتصفح لكتب التراجم على كثرتها لا يجد فيها ترجمة وافيه له ، ويقال في سبب ذلك أنه كان شيعيا شديد التشيع ، وأن كتاب التراجم السنيين قد تجاهلوه .

كان والده وراقا ينسخ الكتب ويبيعها في بغداد ، وقد ورث الحرفة عن أبيه ، وكثير من الوراقين كانوا في نفس الوقت علماء مبرزين ، ومن هؤلا ابن النديم . وليس من الغريب

أن يكون مؤلف أول ببليوجرافية عربية وراقا صناعته الكتب ، فلاشك أن ابن النديم قد وجد المؤلفات والمترجمات كثيرة لايسهل على طالب العلم حصرها معتمدا على ذاكرته ، ولاشك أنه وجد أن الأمر كذلك في كل علم من العلوم ، وأن دارس كل منها سوف تخطئه الذاكرة . ولاشك أيضا أن حرفة الوراقة بما تتيحه له من تداول الكتب والاحتكاك بالعلماء قد أكسبته دراية واسعة بالكتب وموضوعاتها وإلماما وافيا بأسماء المؤلفين ، فانعكس كل ذلك على ببليوجرافيته .

ولذلك كان هدفه من تأليف ببليوجرافيته واضحا كل الوضوح ، فهو في المقدمة الوجيزة لكتابه يذكر أن « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة » .

فالهدف من تأليف الكتاب هو جمع ببليوجرافية أو فهرس يضم الإنتاج الفكري حتي عصره ، وطريقة الترتيب أيضا واضحة ، فهو قد قسمه على أصناف العلوم ، وأضاف إلى ذلك ترجمات وحكايات وطرائف وأخبار ، فكان كتابه بهذا أول ببليوجرافية تصل إلينا ، وأول كتاب يطبق التصنيف على الكتب . حقا كان هناك من سبق ابن النديم في وضع تصنيفه للمعرفة ، مثل الفارابي في إحصاء العلوم (ت ٣٣٩ هـ) والخوارزمي في مفاتيح العلوم (ت حوالي ٣٥٠ هـ) وإخوان الصفا في رسائلهم (عاشوا في أواسط القرن الرابع) ، ولكن ابن النديم كان أول من طبق التصنيف على الكتب عملا وأول من رتبها ترتيبا موضوعيا وفق نظام حدده لنفسه .

وقد قسم كتابه إلى عشر مقالات ، أي أقسام رئيسية للمعرفة ، واشتملت كل مقالة على عدد من الفنون ، بلغت جميعا ٣٤ فنا ، وليس من المفيد أن ننقل هنا كل الفنون وإنما سوف نكتفي بإطلاق تسميات توضح محتويات المقالات العشر :

المقالة الأولى : علم الخط والكتابة ، الشرائع ، علوم القرآن .

المقالة الثانية : النحو والنحويون .

والمقالة الثالثة : الأخبار والآداب والسير والأنساب .

المقالة الرابعة : الشعر والشعراء .

المقالة الخامسة : الكلام والمتكلمون .

الفرق الإسلامية وفرق الصوفية .

المقالة السادسة : الفقه والفقهاء .

المقالة السابعة : الفلسفة والفلاسفة .

تشمل كل العلوم الطبيعية .

المقالة الثامنة : في الأسمار والخرافات والعزائم والشعوذة والسحر والغرائب . تضم فنا ثالثا في معان شتى لا يعرف مؤلفوها (أي محاولة لوضع قسم يضم كتبا لا تنتمي إلى أي من الأقسام المحددة أي ما يقابل القسم العام في خطط التصنيف الحديثة) .

المقالة التاسعة : المذاهب والديانات غير الإسلامية .

المقالة العاشرة : الكيمياء والكيمياء الصناعية .

ومن المفهوم أن الترتيب هنا تال في الأهمية للهدف الأصلي وهو جمع المصادر ، فقد كان من الممكن أن يختار ابن النديم أي ترتيب آخر ، ولكنه اختار الترتيب المصنف ، ولذلك فمن العسير هنا أن نتعرف على تصور محدد لتنظيم المعرفة على أساس فلسفي أو منطقي . فقد بدأ بالخط لأن الكتابة لا يمكن بدونها تحصيل المعارف ، وثنى بعلوم القرآن والشرائع ، لمنزلة هذه العلوم عند المسلمين ، وكان المظنون - منطقيا - أن يستمر ابن النديم فيستوفي كل علوم الدين قبل أن يدخل في العلوم غير الدينية ، وبعد الدين يدخل في علوم اللغة لارتباطها الوثيق بالدين ، ثم يدخل بعد ذلك في العلوم غير العربية ، ولكنه لم يفعل مما يدل على أن غرضه لم يكن وضع تصور لتنظيم المعرفة بقدر ما كان اصطناع أساس موضوعي لتصنيف الكتب .

على أي حال ، لقد جاء الكتاب سجلا شاملا للحياة العقلية والعلمية في مرحلة النضج عند المسلمين ومما يزيد في أهميته أنه سجل لنا كثيرا من المؤلفات وحكي لنا كثيرا من الأخبار ما كنا لنجدها في كتاب آخر ، لأن كثيرا من الكتب التي ذكرها قد فقدت ولم تصل إلينا بسبب ما تتابع على العالم الإسلامي من فتن ، أبرزها هجوم المغول المتبربرين على الدولة الإسلامية وتدميرهم كل ما وجدوه في طريقهم من معالم الحضارة والثقافة .

والكتاب بهذه الصورة يرسم إطارا مشرقا للحياة العقلية عند المسلمين ، وهو بهذا مصدر لاغنى عنه لكل دارس لنتاج الفكر الإسلامي وللباحثين في تاريخ العلوم العربية . وقد طبع مرتين : الطبعة الأولى ، هي طبعة فلوجل ، وقد اشترك في تحريرها وتحقيقها ثلاثة من المستشرقين الألمان ، هم فلوجل وروديمخر ، وملر ، وصدرت الطبعة في ليبزج ١٨٧١ - ١٨٧٢ .

وقد بذل في إخراج الطبعة جهد كبير ، إلا أن هناك صعوبات تحول دون الاستفادة الكاملة بها :

١ - إخراج الكتاب سيء سواء من حيث التحرير أو التعليق . وقد فصلت التعليقات - وهي كثيرة - عن النص الأصلي ، وهذا يكون حائلا سيكولوجيا يجعل همة القارىء تفتر عن متابعة التعليقات .

٢ – المقدمة التي كتبها المحققون بالألمانية ، والتعليقات نفسها بالألمانية وهي ليست اللغة الثانية لمعظم علمائنا وباحثينا . أي أن الكتاب في هذه الطبعة يستفيد منه من يجيدون اللغة الألمانية ، وأما هؤلاء الذين لا يجيدونها فليس أمامهم إلا النص .

٣ – بعد طبع الكتاب عثر على قطعة ساقطة من أول المقالة الخامسة تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامة بن الأشرس والجاحظ وابن أبي دؤاد وابن الراوندي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الألمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩ .

٤ – كان ابن النديم يترك فراغات في الكتابة لعله يهتدي بعد ذلك إلى إكمالها . وهذه النواقص قد يمكن إكمالها من الكتب الأخرى وبخاصة تواريخ الوفاة .

٥ – مضي على الطبعة ما يقرب من مائة عام ولاشك أن البحث العلمي قد كشف عن معلومات أخرى جديدة عن التراث العربي وعن الحياة العلمية التي سجلها ابن النديم . وإن إعادة النظر في الكتاب على ضوء هذه الاكتشافات ستكون ذات فائدة دون شك .

٦ – الفهارس عقيمة وناقصة ، فعلى سبيل المثال لابد في كتاب ببليوجرافي كهذا أن يعد كشاف للعناوين يسهل التعرف عليها حتى لايحتاج الباحث عن عنوان بذاته إلى تصفح الكتاب كله .

أما الطبعة الثانية فهي طبعة المطبعة التجارية ، وقد صدرت سنة ١٣٤٨ هـ – ١٩٣٠م . وقدم لها الأستاذ أحمد أمين ، كما صرح بذلك في الجزء الأول من كتابه ظهر الإسلام (ص ٢٤٤) وإن كان قد كتب على المقدمة « بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية » وقد أضيف الجزء الخاص بعلم الكلام إلى هذه الطبعة وتنقصها كذلك الكشافات والتعليقات .

إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد :

ابن ساعد الأنصاري السنجاري الأكفاني ، محمد بن إبراهيم . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد . حيدر أباد ، ١٣١٨ هـ.

مؤلف الكتاب هو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري الأكفاني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ – ١٣٤٨ م ويقع الكتاب في مجلد صغير لا تزيد صفحاته على مائه صفحة ، وتشمل المقدمة والخاتمة ربع عدد الصفحات .

وليس الكتاب قائمة شاملة مثل فهرست ابن النديم ، أي يسجل كل الإنتاج الفكري في العلوم التي ذكرها ، ولكنه يسجل فقط عددا منتقى من الكتب في كل موضوع ، فهو ببليوجرافية انتقائية Selective والسبب في ذلك أنه كتاب تربوي يزود الراغبين في العلم بأهم الكتب في الموضوعات المختلفة في نظر مؤلفه . ويتضح من مقدمات الكتاب تأثر مؤلفه بإحصاء العلوم للفارابي .

وقد تحدث المؤلف عن ستين علما ، بلغ عدد الكتب فيها ٤٠٠ كتابا ، والكتاب على صغره عظيم القيمة ، فقد رتبه صاحبه ترتيبا مصنفا أيضا .. وتصنيفه أرقى من تصنيف ابن النديم . وهو يعطينا صورة للحياة العقلية في القرون التي تلت تأليف الفهرست حتى ظهور كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . وقد امتدح محمد فريد وجدي كتاب إرشاد القاصد واعتبره التصنيف المعتمد عند العرب حينما تحدث عن العلوم عند العرب في مادة « علم » من دائرة معارف القرن العشرين . ويبدو أنه لم يكن قد اطلع على كتاب مفتاح السعادة حيث لم يكن قد نشر بعد .

وقد طبع إرشاد القاصد في حيدر أباد سنة ١٣١٨ هـ وهي طبعة تخلو من أي تعليق .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :

طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ ٤ مج .

مؤلف الكتاب هو عصام الدين أبوالخير أحمد ابن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زادة نسبة إلى قرية طاش كبرى التي عاشت فيها أسرته وهي إحدى قرى آسيا الصغرى . وقد ولد سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥م) وتوفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦١م) . في مدينة استانبول حيث دفن .

وقد ترجم المؤلف لنفسه في كتابه : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، كما ترجم له الكثيرون بعد ذلك . ولذلك فلا داعي هنا للتوسع في ترجمته . ويكفي أن نقول في هذا الصدد أنه ولد في بيئة علمية ، وأنه قد استوعب المعارف الأساسية لعصره ، وأنه درس كثيرا من الكتب الكبرى في الموضوعات المختلفة فتنوعت بذلك معارفه ، وأنه عمل بالتدريس مدة طويلة في أهم مدارس عصره ، كما عمل بالقضاء أيضا . كل هذا أنتج ما لابد منه : مؤلفات تربو على الأربعين ، شديدة التنوع ، موسوعية في مجالها تدل على عقلية واسعة . ثم ان منها كتابين لا نجد لهما نظيرا : الشقائق النعمانية ، وهو المصدر الوحيد لتراجم رجال الدولة العثمانية . ومفتاح السعادة موضوع بحثنا الآن .

ولقد ألف الرجل مفتاح السعادة سنة ٩٤٨ هـ أي قبل وفاته بعشرين عاما ، أي أنه قد ألفه إبان نضجه العلمي ، وبعد أن اكتملت معارفه وصقلت خبراته .

ألفه إبان نضجه العلمي ، وبعد أن اكتملت معارفه وصقلت خبراته .

والكتاب ليس ببليوجرافية فحسب ، وإنما البيليوجرافيا أحد جوانبه . فهو موسوعة في موضوعات العلوم العربية وغيرها من العلوم ، وقد رتبه المؤلف ترتيبا مصنفا وفق تصوره للمعرفة البشرية السائدة في عصره ، ويمكن القول أنه ببليوجرافية انتقائية ، إلى جانب كونه كتاب تراجم .

أما الهدف من تأليف الكتاب فهو إرشاد الراغبين في تحصيل العلوم إلى طريقة تحصيلها ذلك أن العلوم قسمان : علوم النظر ، وعلوم التصفية ، فالعلوم النظرية هي علوم الدين واللغة والطب والفلسفة ، الخ . أما علوم التصفية أو العلوم العملية فهي العلوم التي يكتسبها الصوفي من خلال الفيض الإلهي حينما يقطع الإنسان المتصوف علائقه الدنيوية وينكب على العبادة ، ويقبل على ربه بكنه الهمة ، ويخلي نفسه من نزعات الحياه الدنيا ، فتنسكب عليه علوم إلهية ومعارف ربانية لا يمكن اكتسابها عن طريق النظر .

ويحاول المؤلف في كتابه الإجابة على هذا السؤال : « بأي العلوم يبدأ السالك طريق الآخرة الطالب للسعادة » واقتضت الإجابة والفصل في الخلاف أن يؤلف هذا الكتاب .. ذلك أن « تحصيل العلوم لما لم يمكن إلا بتصورها اسما ورسما وموضوعا ونفعا ، أحببنا أن نبين في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كل علم أصلا وفرعا ، ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ليكون عونا في تحصيل العلوم وترغيبا في طلبها وارشادا إلى طرق تحصيلها » .

وذكر المصنفات هو « للتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها ، والتفاوت بين تلك الكتب ، وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده منها وتحذيره مما يخاف من الأغترار » .

وأما ذكر المؤلفين : فلمعرفة مناقبهم وأحوالهم ليستفاد بذلك في تأديب النفس بآدابهم ، ولمعرفة مراتبهم وعصورهم لإنزالهم منازلهم وإعطائهم حقوقهم ، وذكرهم أيضا نوع من الوفاء بحقوقهم لأنهم السلف والأئمة .

وقد قسم كتابه إلى مقدمات أربع وسبع درجات :

أما المقدمات فتنصب جميعا على العلم والتعلم والتعليم والمعلم والمتعلم وهي مقدمة تربوية . وأما الدوحات السبع فهي مقسمة على طرفين :

الطرف الأول ويضم علوم النظر وهي الدوحات الست الأولى .

والطرف الثاني يضم علوم التصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم وهي الدوحة السابعة .

والدوحات السبع هي على سبيل الإجمال :

الدوحة الأولى : في بيان العلوم الخطية .

الدوحة الثانية : في علوم تتعلق بالألفاظ ، وهي علوم اللغة العربية والأدب العربي .

الدوحة الثالثة : في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية : وهي العلوم الآلية التي تعصم من الخطأ في الدرس ، مثل المنطق ، والجدل .. الخ .

الدوحة الرابعة : في العلم المتعلق بالأعيان ، وهي علوم الفلسفة النظرية : العلم الإلهي ، والعلم الطبيعي ، والعلوم الرياضية .

الدوحة الخامسة : في الحكمة العملية .

الدوحة السادسة : في العلوم الشرعية ، وهي علوم الدين الإسلامي (فيما عدا علوم التصوف) .

الدوحة السابعة : في علوم الباطن . وهي علوم التصوف .

هذا هو الإطار العام للتصنيف الذي رتب الكتاب على أساسه . وقد قسم كل دوحة إلى شعب ، وكل شعبة إلى علوم ، أو مطالب ، أو عناقيد ، الخ .. بحسب قابلية الشعب للتفريع ، وقد بلغ عدد العلوم في النهاية ثلاثمائة علما .

وهو يذكر موضوع العلم والغرض منه ومبادئه ومسائله ، وفائدته . ثم يذكر أهم المؤلفات في كل علم ، فيبدأ بالمؤلفات الأصلية ، ثم الشروح والمختصرات ، وحينما يذكر الكتاب يعرج على ترجمة مؤلفه ، وكثيرا ما يستطرد فيذكر المؤلفات الأخرى لنفس المؤلف ، كما قد يذكر بعض الطرائف ثم يعود إلى ما كان فيه .

ويتفاوت التفصيل بين الدوحات المختلفة بحسب أهميتها ، ولكن لاشك أن أكثرها تفصيلا تلك التي تتناول العلوم العربية وعلوم الدين الإسلامي وعلوم التصوف ، وهذا أمر طبيعي لأن هذه العلوم كان بها بالفعل إنتاج فكري أكثر مما للعلوم الأخرى وكتابه ما هو إلا انعكاس للحالة العلمية فلزم أن يكثر التفصيل في هذه العلوم .

والكتاب بهذه الصورة أوفى كتاب في موضوعات العلوم ، وهو تلخيص للمنجزات التي تمت في العلوم المختلفة ، كما يمكن اعتبار تصنيفة من أرقى ما وصلت إليه خطط تصنيف العلوم عند العرب ، ويكفي أن أذكر عن اهتمام المؤلف بالتصنيف ، أنه المؤلف الوحيد حتى زمنه الذي جعل علم التصنيف علما وسماه : علم تقاسيم العلوم ، وإن طرائق التقسيم عنده تتوافق مع ما وصل إليه التصنيف في العصر الحديث .

أما من الناحية الببليوجرافية – وهي التي نهتم بها في هذا الصدد – فإن الكتاب يضم أهم الكتب في كل علم من العلوم ويدرسها بطريقة نقدية فلا يترك القاريء في حيرة من أمر الاختيار بل يقوم بمسح نقدي للإنتاج الفكري ويقترح على القاريء عناوين الكتب . ولعلنا نعجب إذا عرفنا أن المؤلف كان شديد الدقة من الناحية الببليوجرافية ، فهو أحيانا يذكر في علم من العلوم أجزاء من المؤلفات ، ومن المعروف عند جمع الببليوجرافيات المتخصصة في عصرنا الحديث أن الفصل الواحد من كتاب أعم قد يكون أفضل ما كتب في الموضوع وهو دقيق كذلك في التحقيق الببليوجرافي ، إذ أنه رأي بنفسه كثيرا من الكتب التي ذكرها وأحيانا يخبرنا أن فلانا أخبره أنه رأي كتاب كذا ، ثم يقول عن نفسه أنه لم يره ولم يسمع به ، وهذه لعمري أمانة علمية فهو لا ينقل معلومات بدون تحقيق ، فإذا تعذر عليه التحقق اعترف بأنه لم ير ولم يسمع .

لكل هذه المميزات حظي الكتاب بالتقدير والتقريظ ، واستفاد منه حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أيما فائدة ، كما استفاد منه صاحب كتاب أبجد العلوم : صديق حسن خان القنوجي العالم الهندي . واعتبر الجميع تقسيمه للعلوم أفضل تقسيم للعلوم عند العرب . وقد نقل حاجي خليفة تعريفاته للعلوم بنصها في أماكن كثيرة من كتابه ، كما عدلها في أماكن أخرى .

وقد طبع الكتاب مرتين : الأولى نشرتها دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد . فظهر الجزآن الأول والثاني في مجلد واحد سنة ١٣٢٨/١٣٢٩ هـ . أما الجزء الثالث ويضم الدوحة السابعة فقد ظهر في ١٣٥٦ هـ بعد العثور على مخطوط له في ليدن . وهذه الطبعة هي عبارة عن مجرد نشر للنص دون خدمة . مع أن كتب التراث وبخاصة الكتب الببليوجرافية مشحونة بعناوين الكتب وأسماء المؤلفين . وهي كنوز تضم رصيدا هائلا من المعلومات لايمكن الوصول إليها إلا بمشقة بالغة . فلابد إذن من إعداد المفاتيح التي تيسر الوصول إلى محتوياتها في أسرع وقت ممكن .

أما الطبعة الثانية فقد ظهرت عام ١٩٦٨ بتحقيق كامل كامل بكري وكاتب هذا المقال . وأكتفي هنا بالقول بأن الطبعة الجديدة راعت إعداد المفاتيح اللازمة لإبراز أهم سمات الكتاب كمرجع ببليوجرافي ، وككتاب تراجم وككتاب رتبت مادته ترتيبا مصنفا .

وقد أضافت هذه الطبعة الثانية إلى مجلداته الثلاثة مجلدا رابعا يضم الكشافات التالية :

١ – كشاف العلوم ، وهو مكمل للترتيب المصنف يسجل العلوم في ترتيب هجائي سهل .

٢ – كشاف للعناوين .

٣ – كشاف للمؤلفين والأعلام .

٤ – كشاف للأماكن والبلدان .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . استانبول : وكالة المعارف ، ١٩٤١ - ١٩٤٣ . ٢ مج

مؤلف الكتاب هو مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة أو ملا كاتب جلبي . وقد ترجم حاجي خليفة لنفسه في مكانين ؛ في كتابه : سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، ثم كتب القسم الأخير من ترجمته في كتابه الأخير : ميزان الحق في اختيار الأحق .

ومن هذه الترجمة نعرف أنه ولد بمدينة القسطنطينية سنة ١٠١٧ هـ ونشأ بها ، وأنه قد درس العلوم المختلفة وأتقن المعارف الأساسية السائدة في عصره ، وأنه قد عمل موظفا في الجيش التركي ثم تفرغ ابتداء من سنة ١٠٤٥ لإنجاز المهمة التي كان قد بدأها في حلب وهي مهمة تدوين الكتب ، فكان يجمع أسماء الكتب التي يجدها عند الوراقين وفي المكتبات ولاسيما كتب التاريخ والطبقات وأنفق أموالا طائلة في سبيل اقتنائها ، وقد ظل يعمل في هذا المجال مدة تزيد على عشرين سنة حتى وفاته ١٠٦٧ هـ .

والكتاب بهذه المثابة هو أكمل البيليوجرافيات التي أعدها العلماء المسلمون القدماء للتراث العربي الإسلامي خاصة وأنه أعد في القرن السادس عشر ، كما أن صاحبه قد التزم بتحقيق كثير من الكتب التي أدرجها .

وقد ذيل عليه إسماعيل باشا البغدادي في كتابه : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . كذلك يمكن أن يعد كتاب البغدادي أيضا : هدية العارفين عملا مكملا لكشف الظنون وذيله إيضاح المكنون .

ونحن نتقدم إلى عالم الفكر العربي والإسلامي وعالم النشر بإقتراح علمي يسهم في الاستفادة من هذه الكتب الثلاثة ، وهو أن تدمج هذه الكتب الثلاثة معا في تسلسل واحد ، وأن يكون ترتيبها مصنفا بحيث يعرف الباحث ما الكتب التي ألفها المسلمون في كل فرع من فروع المعرفة . وهذا يفيد مؤرخي العلوم ويفيد الباحثين ، ثم تعد لها الكشافات اللازمة التي تسهل الوصول إلى اسم أي مؤلف ومؤلفاته وأي عنوان وشروحه .

ويكمل هذا الاقتراح عمل بيليوجرافي هو مقارنة ماجاء بالكتب مع ماتم طبعه ونشره من هذه الكتب وإضافة بيانات بيليوجرافية حتى يعرف الباحث أن هذا الكتاب قد طبع وما طبعاته . ويمكن أن يعد ملحق بالكتب التي طبعت في نهاية العمل على نفس الترتيب وبحيث يرتبط الملحق مع العمل الأصلي . ونقترح عنوانا لهذا العمل :

وليس هذا العمل بدعة ، فقد سبق أن قام طاهر الزاوي الطرابلسي بإعادة ترتيب الفيروز أبادي حتى يكون أكثر فائدة وأسهل عند الاستعمال .

تنظيم المصغرات الفيلمية واسترجاعها

ندوة نظم المعلومات والميكروفيلم ، معهد الإدارة العامة (الرياض)
فى ٢٧ - ٣٠ صفر ١٤٠١ هـ ، الموافق ٣ - ٦ يناير ١٩٨١ م

مقدمـة وتعريفـات

يحسن في بداية هذه الدراسة أن نعرف بعض المصطلحات الهامة التي تمس إليها الحاجة خلال الدراسة ، وسوف يحتاج الأمر كلما تقدمنا إلى تعريفات أخرى . ولن نتناول في دراستنا هذه كل مايسبق قضية تنظيم المصغرات الفيلمية واسترجاعها ؛ مثال ذلك : أنواع هذه المصغرات ، مزاياها والأسباب التي تدعو إلى تبنيها ، اقتصادياتها ، آلاتها وتجهيزاتها ، وما إلى ذلك من الأمور التي لا تدخل في إطار التنظيم والاسترجاع ، فهذه الأمور جميعا تناولتها دراسات أخرى .

أي أن نقطة البداية بالنسبة لنا هي أن تكون المؤسسة قد اقتنعت بتبني تكنيك المصغرات الفيلمية كوسيلة لحفظ وثائقها بغرض استرجاعها عند الحاجة ، وأن تكون اختارت الأجهزة المناسبة لهذا الغرض ، وتريد أن تعرف الخطوات التي توصلها إلى تنظيم فعال لوثائقها بغرض الاسترجاع . ولذلك فإن قضيتنا هي : تنظيم المصغرات بغرض استرجاعها ؛ وبمعنى آخر : تصميم نظام الاسترجاع .

وتهدف عمليات التنظيم إلى وصف الوثائق وصفاً دقيقا يحدد ذاتيتها ويفردها عن غيرها من الوثائق المشابهة أو غير المشابهة .

وقبل أن نتحدث عن عمليات التنظيم نعرف الوثائق أولا : والوثائق هي أوعية المعلومات ؛ هي الأوساط التي تسجل عليها المعلومات . والمعلومات هي كل الحقائق والبيانات والمعرفة المسجلة في شكل من أشكال التسجيل الصالحة للاستفادة والبحث ، أي في صورة مقروءة أو مسموعة ، أو مرئية ومسموعة ، إذ أن الهدف من عملية تسجيل المعلومات ليس مجرد التسجيل والحفظ ، بل إن الحفظ لابد وأن يكون في خدمة قضية الاستفادة من المعلومات ، أي الرجوع إليها عند الحاجة ، فالاستفادة ، أي الاسترجاع ، هي الهدف النهائي من عمليات التسجيل والحفظ والتنظيم .

وقد سجل الإنسان المعلومات على أنواع كثيرة من الأوساط أو الأشكال أي الوثائق . وأهم الأشكال التي يدون عليها الإنسان معلوماته في العصر الحديث : الكتب والمجلات

والتقارير والأبحاث والخرائط وغيرها . وهذه تعرف بالأشكال التقليدية ؛ ومن الممكن أن تنقل هذه الأوساط إلى أوساط أخرى صالحة للبحث والاستفادة هي المصغرات الفيلمية أو الأشرطة المسجلة أو الأسطوانات ، أو أشرطة الحاسب الإلكتروني أو أقراصه ، وهذه تعرف بالوثائق أو الأشكال غير التقليدية .

ومما يجدر ذكره أن الذي يتغير ويختلف هو الوسط وليس المعلومات : فإن مسرحية هملت لشكسبير مثلا يمكن أن تصدر في مجلة أو تطبع في كتاب أو تسجل على شريط للإذاعة ، أو تصور تمثيلها في التليفزيون أو تحمل على شريط للحاسب الإلكتروني أو تصور على ميكروفيلم أو ميكروفيش وبديهي أن نفس المعلومات واحدة ، ولكن الذي اختلف هو نوع الوسط – الوثائق – الذي سجلت عليه المعلومات .

ونفس الشيء يقال عن المجلات والصحف والمكاتبات والمراسلات والخرائط والرسومات الهندسية ، وغيرها من الوثائق ، فمن الممكن أن تكون هذه في صورتها الأصلية ومن الممكن أن تنقل على شكل من الأشكال غير التقليدية – المصغرات مثلا – وتبقى المعلومات هي هي . وهذا ينقلنا إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن المهم في عمليات التنظيم هو المحتوى الفكري الذي تشتمل عليه الوثائق وليس شكل الوثيقة ؛ فمهما اختلف الشكل فإن المحتويات ستبقى كما هي .

وعلى هذا فإن التنظيم كما سوف نتحدث عنه يجب ألا ينصب على المصغرات نفسها بل ينصب أولا وأساساً على المعلومات التي تشتمل عليها المصغرات .

فالمصغرات إن هي إلا أوعية للمعلومات شأنها في ذلك شأن الأوعية الأخرى التى تحدثنا عنها ، والمصغرات الفيلمية عبارة عن نقل هذه الأوعية كلها أو بعضها عن طريق التصوير من الشكل الورقي المعروف إلى المصغرات الفيلمية . هذه العملية هي عملية نقل لنفس الوثيقة بما فيها من المعلومات وليست تأصيلا أو توليدا أو إنتاجا لمعلومات جديدة . ولذلك فإن تصميم نظام الاسترجاع لأي نوع من أنواع الوثائق المذكورة وغيرها ينصب على الوثائق نفسها قبل التصوير . أما ما يتعلق بالمصغرات نفسها فلا يعدو أن يكون إضافة عناصر جديدة خاصة بها إلى عناصر نظام الاسترجاع ، بحيث لا يقتصر هذا النظام على العناصر التي تحقق ذاتية الوثيقة الأصلية فقط ، بل يضيف تلك العناصر التي تؤدي إلى تخصيص رقم الفيلم (البكرة) ورقم اللقطة (الكادر) .

نؤكد على هذه المسألة لكي يتبين أن قضية التنظيم وأساسياته واحدة بالنسبة لكل أنواع الوثائق ، لكل منها خصوصياتها نعم ، ولكن الأساسيات واحدة . ذلك أن التنظيم وخاصة مايتعلق منه بطرائق الوصف الموضوعي يتناول المحتوى الفكري ، يتناول مجالات النشاط ، سواء في البحث العلمي ، أو في مجال الاقتصاد ، أو في مجال الأعمال ، أو الإدارة ،

أو الشئون العسكرية ، الخ . وهذه تتشابه في كل انواع الوثائق من حيث المجال العام للتنظيم ، وان كانت تختلف من حيث مستوى التحليل . فالقضية هي قضية التحليل الموضوعي في كل أنواع الوثائق .

ونؤكد كذلك على أن الأساس في العمل هو أن تكون الوثائق منظمة بصرف النظر عن الشكل الذي ظهرت عليه ، لأن التنظيم هو الذي يساعد على سرعة الاسترجاع . ونحن نؤكد على هذا الأمر حتى لايظن بعض الناس أن المعالجة الفيلمية تحل جميع المشاكل ، وأنها مجرد عملية تصوير . فعملية التصوير ثم فهرسة وتصنيف الأفلام المصغرة أو غيرها من المصغرات هي آخر العمليات وهي تأتي بعد إتمام عمليات التنظيم التي هي بشرية عقلية في المحل الأول .

فهرسة وتصنيف المصغرات تنصب فقط على الشكل المادي الخارجي – على الوسط وليس على الطرق العقلية للوصول إلى المعلومات . وإن المتخصصين في المصغرات الفيلمية يعنون بالأول عادة – الشكل المادي ، بينما يعني المتخصصون في تنظيم المعلومات بالأخيرة – الطرق العقلية للوصول إلى المعلومات . وإن المصغرات الفيليمة تحتاج تكشيفا خارجيا ، خاصا بها ، كما تحتاج إلى أساليب للاسترجاع ، وهذه منفصلة تماما عن التكشيف الداخلي(١) .

ولعله قد اتضح الآن عدة أمور : أن المعلومات واحدة بصرف النظر عن الوسط – الوثائق – التي تسجل عليها ، أن الأساس في تنظيم المعلومات هو العمل البشري الذهني ، وأن دور الآلة يأتي في المرحلة الأخيرة ، وأن الحديث عن تنظيم المصغرات هو حديث عن تنظيم الوثائق الأصلية وإن هناك عناصر خاصة بالمصغرات لاتنصب على المحتوى الداخلي ، وإنما تنصب على الشكل الخارجي لها وأن الآلة لا تحل مشكلات الإنسان جميعا ، بل أن الأساس هو الجهد العقلي ودور الآلة يأتي في النهاية ، وأن القضية الأساسية هي أن تكون الوثائق منظمة ، وإلا نقلنا الوثائق من الشكل الورقي إلى شكل أخر بكل سلبياتها قبل التنظيم ، وهذا يصعب من عملية الاسترجاع فنقل الوثائق إلى المصغرات لا يحل تلقائيا مشكلة التنظيم بل لابد من تصميم نظام الاسترجاع وتطبيقه قبل التصوير .

حديثنا إذن هو عن أساسيات التنظيم للوثائق المختلفة ، ثم كيفية الرجوع إلى الوثائق بعد أن تنقل على المصغرات الفيلمية .

---

(1) Teaque, S.J. «Microform Librarianship», P. 39.

تنظيم المعلومات :

ليس هناك من ينكر الآن قيمة المعلومات في جميع مجالات الحياة في المجتمع الحديث ، في المجالات العلمية والبحثية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والصناعية والتجارية والإدارية ، بحيث أصبحت الحياة الحديثة تقوم على المعلومات وتعتمد عليها اعتمادا كبيرا ، فلولاها لما نهضت الحياة بالصورة التي هي عليها الآن ، إذ هي تضم حصيلة الأفكار والخبرات التي أنتجها العقل البشري وتسجل التقدم الذي أحرزه الإنسان في الماضي والحاضر والتي ينبني عليها المستقبل . وقد أدرك الإنسان أهمية المعلومات فنشأ علم المعلومات الذي يهدف إلى تحقيق أقصى استفادة ممكنة بهذه المعلومات والتي بدونها لا تحقق المعلومات الغرض من اقتنائها وتوفيرها .

وبديهي أن الخطوة الأولى للاستفادة من المعلومات هي الحصول عليها من مصادرها المختلفة بما يتفق وطبيعة المؤسسة التي تسعى لذلك ، وطبيعة البحث المطلوب والاستفادة المنتظرة ، ولذلك تعمد مراكز المعلومات إلى الحصول على المعلومات بطرق شتى وأحيانا تكون المؤسسات نفسها هي المنتجة للوثائق التي تضم المعلومات ؛ مثال ذلك : المكاتبات والمذكرات والمراسلات والتقارير ، أو تكون مستقبلة لها أيضا .

ولكن مجرد إنتاج المعلومات أو استقبالها أو الحصول عليها من مصدرها لايكفي لتحقيق الغرض من اقتنائها ، إذ لابد من التنظيم لكي تتحقق أقصى استفادة ممكنة بهذه المعلومات . ويقصد بالتنظيم أن تسلك هذه الوثائق – مصادر المعلومات – في نظام يمكن من الوصول إلى محتوياتها بصورة مقننة ، وبسرعة توفر وقت الباحث وجهده وتضع أمامه كل – وليس بعض مايريد . ولذلك يقال دائما ان تنظيم المعلومات مساو لقيمة المعلومات ذاتها ، إذ بدونها تصبح كما مهملا لا قيمة له . وكلما زادت قيمة المعلومات كلما زادت تبعا لذلك قيمة التنظيم ، كذلك كلما زاد حجم المعلومات أصبحت الحاجة ماسة إلى عمليات التنظيم ، إذ أن إيقاع الحياة المعاصرة من السرعة بحيث لم يعد أمام الإنسان الوقت ولا عنده الصبر لكي ينتظر وقتا طويلا للوصول إلى المعلومات . فالباحث بالوسائل اليدوية التقليدية قد يعتبر نفسه تأخر إذا وصلت المعلومات بعد ساعة مثلا ؛ أما الباحث الذي يعتمد على قاعدة معلومات مختزنة في الحاسب الإلكتروني فسوف يعتبر نفسه تأخر إذا لم تصله المعلومات في أقل من دقيقة !!!

وتعتمد السرعة والفاعلية على كفاءة نظام المعلومات . ولذلك تهدف عمليات التنظيم إلى وصف الوثائق وصفا دقيقا وكاملا بحيث تنعزل عن بقية الوثائق التي يشتمل عليها مركز المعلومات .

والوصف نوعان :

نوع ينصب على الشكل المادي للوثيقة دون فحواها ، وهو مايطلق عليه الفهرسة الوصفية . وهي تهتم بدراسة الملامح المادية للوثائق بحسب توقعات المستفيدين وتسجل من البيانات عن الوثائق مايكفي لإعطاء المستفيد فكرة صالحة عنها من الناحية الشكلية المادية .

ونوع ينصب على المحتوى الموضوعي للوثائق ، وهو مايطلق عليه الفهرسة الموضوعية . وهذا الوصف الموضوعي له طرائق ومعالجات تسمى طرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع وقد تحددت بحسب حاجة المستفيد وطرقه في طلب المعلومات . وتبلورت هذه المعالجات فيما يلي :

الطريق المنطقي العلمي أو المقنن ويسمى التصنيف ؛ والطريق الألفبائي ، وينقسم بدوره إلى طريقتين : طريقة تقليدية هي رؤوس الموضوعات التي تصف المحتوى الفكري للوثائق بصورتها الرسمية أو التقليدية ؛ والتكشيف ، وهو ينصب على تحليل محتويات الوثائق بطرق مختلفة ، فبعضها يقتصر على الوصف الموضوعي المبسط المشتق من عناوينها ، وبعضها تحليل دقيق لكل المعلومات الهامة التي تشتمل عليها الوثيقة . وهذا كله بحسب حاجة المستفيد وبحسب الأداة المستعملة في التكشيف ، سواء الآلة أو التداول اليدوي .

استرجاع المعلومات :

دخل لفظ استرجاع المعلومات Information Retrieval إلى الاستعمال منذ عهد قريب نسبيا . وهو لفظ مفيد لأنه يصف بصورة محكمة مرحلة هامة جديدة في تطور خدمات المعلومات . وربما كان أقدم تعريف للفظ واستعمال له هو تعريف « كلفن مورز » فقد عرفه في سنة ١٩٥٠ بأنه « بحث واسترجاع المعلومات بعد اختزانها مخصصة حسب موضوعاتها »[١] . وقد شاع استعمال اللفظ بعد ذلك للتعبير عن التطور الحديث في مجال التوثيق . وربما كان أحدث تعريف للفظ استرجاع المعلومات هو تعريفه في كليز (CLIS
(Classification of Library and Information Science

والذ صدر في ١٩٧٥ ، فهو بهذا يمثل أحدث التطورات .

يعرف استرجاع المعلومات في هذا التصنيف بأنه « العمليات التي تواجه نمو استرجاع الوحدات المتصلة (بالبحث) من حزانة أو مجموعة أخرى من الوثائق أو أي بديل آخر »[٢] .

---

(1) Foshett, D.J. «Classification and Indexing in the Social Sciences, 2nd ed., 1974, P. 1.

(٢) ص ٧٢ .

وهو بالتالي يستعمل بالمعني الواسع الذي يساوي خزن المعلومات واسترجاعها ، أما عملية الاسترجاع بالمعنى الضيق فقد وضعت مع البحث (Searching) أي أن تعريف اللفظ في هذا التصنيف له معنيان : معنى عام يشمل كل عمليات التنظيم ، ومعنى خاص يشمل الاسترجاع فقط بمعنى البحث عن المادة المطلوبة .

وبالفعل فإن المتصفح لصفحات هذا التصنيف يجد أنه قد أدرج تحت اللفظ كل العمليات التي تدخل تحت التنظيم سواء منها مايتعلق بالشكل المادي أو ما يتعلق بالمدخل الموضوعي بشقيه المصنف والألفبائي ، أي يشمل في الحقيقة كل مانسميه الآن لغات التكشيف (Indexing Languages) والسبب في هذا التطور الحديث هو مايحدث أخيرا من تكامل في دراسات تنظيم المعلومات فأصبحت جميعا محاور لعملية واحدة هدفها الوصول إلى المعلومات .

نظـام الاسـترجاع :

لعله قد اتضح الآن معنى نظام الاسترجاع ، فهو يشمل جميع الخطوات التي تتم في مركز المعلومات لتوصيل المعلومات المناسبة إلى المستفيد المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب . ويتم ذلك عن طريق عدد من العمليات الفنية التي تمثل جهداً بشرياً عقليا ضروريا ، وسوف نتناول هذه الخطوات في صورتها العامة ونعنى بالعامة أمرين :

- أنها في الخطوط العامة الرئيسية دون التفاصيل الدقيقة .
- أنها تصدق على كل أنواع الوثائق ، مع ترك الخصوصيات للتفاصيل .

تصميم نظام الاسترجاع :

من الواضح أننا نهدف الى تصميم نظام الاسترجاع في مركز معلومات متخصص ولهذا أهميته البالغة لأنه سوف يؤثر على كل الخطوات التالية . ولكي يتم تحديد خطوات نظام الاسترجاع فلابد من دراسة شاملة لكل مما يأتي :

١ - أنواع الوثائق

٢ - جمهور المستفيدين

وتشمل الأولى معرفة هل الوثائق أنواع متعدده أو من نوع واحد ؛ بمعنى هل يشتمل مركز المعلومات للمؤسسة المعنية على المكاتبات والمراسلات والتقارير والمذكرات وغيرها من الوثائق الحية الجارية أم هل يشتمل إلى جانب ذلك على الصحف والمجلات وغيرها من المواد التقليدية ؛ وهل يتضمن فضلا عن ذلك كتبا وغيرها من مصادر المعرفة فالتخصص في مركز المعلومات يعني ثلاثة أمور أو له ثلاثة أبعاد .

١ - التخصص في الموضوع

٢ - التخصص في المواد

٣ - التخصص في الجمهور

ولكل عنصر من العناصر الثلاثة أهميته. أما عن التخصص في الموضوع فسوف نعالجه بعد قليل تحت التصنيف ؛ وأما التخصص في المواد فسوف نعالجه تحت الفهرسة . ويبقى هنا فقط الجمهور المستفيد ، فلابد من معرفة تخصصاته وعاداته في الاستخدام وما نوع الأسئلة المتوقع توجيهها إلى نظام المعلومات حتى يمكن تصور شكل المخرجات (Output) ، وبالتالي تصميم نظام الاسترجاع .

الفهرسة الوصفية :

ذكرنا من قبل أن الفهرسة الوصفية تعني بالجانب المادي للوثيقة أي شكلها المادي ، بحيث يتسنى تحديد ذاتية الوثيقة وإفرادها عن غيرها من الوثائق التي تقتنيها المؤسسة .

وبديهي أن قواعد الوصف تختلف من مادة لأخرى ، فقواعد الكتب غير المجلات وهذه غير الأسطوانات . ولذلك توصل العلماء الى وضع قواعد لوصف كل أنواع المواد :

- قواعد لوصف المخطوطات .
- قواعد لوصف الكتب .
- قواعد لوصف النشرات .
- قواعد لوصف الرسائل الجامعية .
- قواعد لوصف المقالات .
- قواعد لوصف المجلات .
- قواعد لوصف الصحف اليومية .
- قواعد لوصف الأفلام .
- قواعد لوصف المصغرات الفيلمية .
- قواعد لوصف الأسطوانات .
- قواعد لوصف الاشرطة المسجلة .
- قواعد لوصف الخرائط .
- قواعد لوصف الأوراق والمكاتبات والرسائل الأرشيفية .
- قواعد لوصف الرسومات الهندسية والكتالوجات والتصاميم .
- قواعد لوصف الرسوم البيانية .

وهكذا بحيث يمكن وصف كل نوع من أنواع الوثائق داخل قواعد تضمن وحدة

التطبيق وتشابه الوصف ، ومع ذلك تضمن إفراد كل وثيقة عن غيرها بحيث لاتختلط معها . وقد تضمنت قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية Anglo-American Cataloging Rules (2nd ed. 1978) قواعد لوصف كل نوع من انواع الوثائق .

التصنيف :

التصنيف بالمعنى العام هو جمع الأشياء المتشابهة وفصل الأشياء غير المتشابهة . ويتم تحديد التشابه أو الاختلاف على أساس امتلاك الأشياء لخصائص مشتركة أو عدم امتلاكها لهذه الخصائص .

فإذا حاولنا ان نسحب هذا التعريف على الوثائق والمعلومات ، فان معناه جمع الوثائق المتشابهة وفصل الوثائق غير المتشابهة ، ويتم تحديد التشابه أو الاختلاف على أساس امتلاك الوثائق أو عدم امتلاكها لخصائص مشتركة . وقد ذكرنا من قبل أن أهمية الوثائق تكمن في أنها تشتمل على معلومات معينة . ولذلك فإن أهم صفة أو خاصية في الوثائق هو ماتتضمنه من معلومات . وعلى هذا فإننا نجمع - وفقا للتصنيف - الوثائق التي تشتمل على معلومات متشابهة معا ، ونفصل تلك التي تشتمل على معلومات غير متشابهة . وهذه سوف تجمع معا في النهاية أيضا . والتشابه هنا هو في الموضوع أساسا .

وليس من شأننا هنا أن ندخل في تفاصيل أخرى خاصة بتعريفات الأنواع المختلفة من التصنيف وغير ذلك من التفاصيل . ولكننا نقتصر على تعريفين آخرين هما :

التصنيف العام : وهو التصنيف الذي يشمل كل فروع المعرفة والنشاط البشري ، والتصنيف المتخصص وهو الذي يشتمل على فرع واحد من فروع المعرفة والنشاط البشري .

وقد كان التصنيف في البداية يسمى تصنيف الكتب أو التصنيف الببليوجرافي أو تصنيف المكتبات ، وكان ذلك لارتباطه بنوع واحد من الوثائق هو الكتاب بشكله المعروف ، وذلك لأن الكتاب كان هو الشكل الببليوجرافي السائد . ولكن حينما اتسعت دائرة النشر والتسجيل أخذت أنواع أخرى من الوثائق تأخذ مكانها إلى جانب الكتاب ، بل إن الكتاب لايوجد أحيانا كثيرة في مراكز معلومات معينة ، مثال ذلك : مراكز المعلومات الأرشيفية : الوثائق التاريخية ، أرشيفات المعلومات الصحفيه ، الأرشيفات الحية للمؤسسات المختلفه ، الخ .

لذلك أخذت التسميات الأولى تفسح المجال لتسميات أحدث هي التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات ؛ أو التصسيف لأغراض التوثيق .

ويمكن من الناحية النظرية أن تطبق أنظمة التصنيف العامة في كثير من الأوضاع

المتخصصة أو في مجالات غير المكتبات . مثال ذلك : يستخدم التصنيف العشري العالمي ، وهو خطة عامة في غاية الشمول ، في تصنيف المراسلات في كثير من المؤسسات ، كما تستخدم نفس الخطة في تصنيف المواصفات القياسية في ISO (المنظمة الدولية للمواصفات القياسية) وفي BSI : المعهد البريطاني للمواصفات القياسية . بل إن التصنيف العشري العالمي نفسه هو إحدى المواصفات القياسية البريطانية :

BS: 1000

BS: 1000 A

وكذلك تستخدم بعض مراكز المعلومات المتخصصة تصنيف مكتبة الكونجرس وهو خطة عامة ايضا . ولكن مَراكز المعلومات المتخصصة تفضل وضع تصانيف متخصصة . ولا بأس بشيء من التفاصيل في هذه النقطة لأنها من أساسيات التنظيم ، كما أن ظهور مراكز المعلومات المتخصصة هو ظاهرة عامة في العصر الحديث ، وهذا يستتبع أنظمة متخصصة .

إن استعمال خطة عامة يتضمن المزايا الآتية :

١ - أن الوثائق الخاصة بمركز معلومات ما يندر أن تقتصر على موضوع واحد بل إن الشائع أنها تدور حول موضوع رئيسي ، ولكنها تضم موضوعات قريبة الصلة بالموضوع الرئيسي أو المقصد Core ، وهذه تسمى الموضوعات الثانوية أو الهامشية Marginal .

وأحيانا تكون الموضوعات الثانوية كثيرة لدرجة يتعذر على إخصائيّ المعلومات إعداد تصانيف لها لأنه سوف يجد نفسه بعد خطة شبه شامله .

٢ - أن إعداد تصنيف جديد ليس عملا سهلا بل هو من أشق الأعمال ، وهو يحتاج إلى درجة عالية من المقدرة العقلية لأنه يتناول تنظيم المعرفة وعلاقاتها . وإن تشابك العلاقات بين المجالات المتعددة للنشاط وكثرة التفاصيل والحاجة إلى حصرها وتسجيلها وترتيبها ، كل هذه أعمال تحتاج إلى كفاءة عقلية كبيرة وعقلية كلية تستطيع السيطرة على الكليات والجزئيات وتعرف أين يمكن أن يوضع رأس ما . وليس كل إخصائيّ معلومات قادرا على هذا العمل ، ولذلك فهو ينقل نظاما جاهزا مهما تكن عيوبه .

أما مراكز المعلومات التي تختار إعداد تصانيف متخصصة لوثائقها ، فمع أنها تدرك أن إعداد التصنيف ليس عملا سهلا ، إلا أنها تتحمل المسئولية لكي تعد نظاما يتوافق واحتياجاتها ويوفر لها كل ماتطلبه وثائقها وجمهورها ، وأهم أسبابها لهذا الاختيار :

أن الانظمة العامة لا تتوافق مع احتياجات الوثائق المتخصصة ، بسبب الاختلاف في

بنية النظام العام عن الحاجات المتخصصة ، وبسبب الافتقار إلى التفاصيل ، وبسبب التعارض في الوظيفة بين مركز المعلومات المتخصص وغيره من مراكز المعلومات ، أي أن هناك تضاربا بين الحاجات العامة والحاجات المتخصصه .

إعداد تصنيف لمجال موضوعي ما :

نتناول هنا خطوات إعداد نظام تصنيف لمجال موضوعي ما . والحقيقة أنه قد كتب الكثير في هذا الموضوع ، ولا يمكن هنا إلا أن نسجل الخطوط العامة الرئيسية فقط حتى لا نخرج عن إطار الدراسة .

والحقيقة أن هناك منهجين رئيسيين في هذا المجال :

١ - المنهج التقليدي ، وهو مايسمى بالطريقة الحاصرة .

٢ - المنهج الحديث ، وهو مايسمى بالطريقة التحليلة التركيبية .

الطريقة الحاصرة :

وأهم خصائصها مايأتي :

١ - أنها تحصر أو تحاول أن تحصر رؤوس الموضوعات المصنفة التي تشتمل عليها الوثائق .

٢ - تعتمد على طريقة واحدة لتكثير الموضوعات هي التكثير من أعلى إلى أسفل أي التقسيم - الانتقال من العام إلى الخاص ، وهي تعني الانتقال في بعد طولي واحد ، وذلك حتى نصل إلى أدق التفاصيل أو بالأحرى أدق التفاصيل التي نريدها .

والخطوات وفق هذه الطريقة هي :

١ - تحديد المجال الموضوعي . وهذا يعني دراسة مجال نشاط المؤسسة التي يعد لها التصنيف . ويتم في هذه الخطوة تحديد الموضوع الرئيسي أو المقصد والموضوعات الثانوية .

٢ - حصر الموضوعات ونسبة هذه الموضوعات بعضها إلى البعض الآخر . أي إجراء عمليات التقسيم في قائمة طولية واحدة تشتمل على الموضوعات .

٣ - ترتيب الرؤوس فيما بينها بحيث يسبق العام الخاص وبحيث ترتب الموضوعات المترابطة معا ، وهو مايعرف بالترتيب المفيد .

٤ - مراعاة الانتقال التدريجي في عملية التقسيم . وهذا يسير في الحقيقة وفق قواعد التقسيم المنطقي .

٥ – إضافة الرمز .

٦ – إعداد الكشاف الموضوعي الألفبائي .

الطريقة الحديثة : التحليلية التركيبية :

١ – **الخطوة الأولى وهي تحديد المجال الموضوعي وهي لا تختلف عن الطريقة السابقة إذ تعتمد على تحديد الموضوع المقصد والموضوعات الثانوية التي يدور حولها نشاط المؤسسة .**

٢ – **حصر المصطلحات ونسبتها إلى جماعات متجانسة تسمى فئات** Categories أو أوجه Facts وهي تشتمل على العناصر الرئيسية التي تتألف منها الموضوعات المركبة وليس الموضوعات المركبة نفسها كما في الطريقة الأولى .

٣ – ترتيب المصطلحات فيما بينها ترتيبا مفيدا تحت كل فئة أو وجه .

٤ – ترتيب الجماعات نفسها فيما بينها عند الرغبة في تركيبها معا .

٥ – تحديد علامات الربط المناسبة .

٦ – إضافة الرمز .

٧ – إعداد الكشاف الموضوعي الألفبائي .

والطريقة الأخيرة أفضل لأنها أكثر مرونة وتؤدي إلى التخصيص الكامل ، أي أن يكون رقم التصنيف مطابقا لموضوع الوثيقة . وهي الطريقة التي تعد على أساسها الأنظمة المتخصصة . وكل من الطريقتين يوصلنا إلى إعداد الجزء الرئيسي لنظام التصنيف : القوائم . وقد رأينا أن الطريقتين معا تحتاجان إلى إضافة الرمز وإلى الكشاف الألفبائي.

الرمـــز :

الرمز هو عبارة عن علامات مختصرة تعبر عن الموضوع سواء كان في قائمة التصنيف أو كان موضوع الوثيقة ذاتها . وهو يؤدي إلى تثبيت تسلسل الموضوعات وبدونه لايمكن تداولها أو تداول الوثائق نفسها أو إعداد الكشاف الموضوعي الألفبائي أو إعداد الفهارس . والرمز يستخدم الأعداد أو الحروف أو هما معا كما قد يستخدم علامات أخرى مثل علامات الترقيم أو الأقواس أو الأسهم ، وفي هذه الحالة لابد من تحديد تسلسل لها .

الكشاف الموضوعي الألفبائي :

وهو عبارة عن ترتيب الموضوعات التي تشتمل عليها قوائم التصنيف ترتيبا هجائيا لأن

ترتيب القوائم عادة ترتيب صعب ، ولذلك فان الترتيب الألفبائي يسهله .

وهناك بطبيعة الحال تفاصيل كثيرة عن الرمز والكشاف أيضا كما أن هناك تفاصيل عن اعداد القوائم ، ولكن نكتفي بما ذكرناه منعا للإطالة .

تطبيق نظام الاسترجاع :

كانت العملية الأولى هي تصميم نظام الاسترجاع على ضوء حاجات المستفيدين وأنواعهم وأنواع المواد . وبناء على ذلك تم تحديد البيانات التي سوف تذكر عن كل وثيقة وهو ما أسميناه شكل المخرجات . ثم قمنا بتصميم أنواع الوصف المادي ، ونظام التصنيف بشقيه المصنف والألفبائي .

ويبقى الآن تطبيق نظام الاسترجاع بكل عناصره :

١ - الفهرسة العملية ، أي أن يقوم العاملون في مركز المعلومات بوصف كل وثيقة من الوثائق ، وذلك على بطاقات من حجم موحد يتم إعدادها لهذا الغرض ويتم عليها تسجيل بيانات موحدة عن كل وثيقة بحيث يكون لدينا في النهاية وصف كامل للوثيقة يفردها ماديا عن غيرها من الوثائق .

٢ - التصنيف العملي ، أي تعيين رقم تصنيف لكل وثيقة ، سواء أعد النظام وفقا للطريقة القديمة أو الطريقة الحديثة . وبطبيعة الحال تختلف قواعد التصنيف العملي في كل من الطريقتين . ويتم ذلك أيضا على البطاقة الخاصة بكل وثيقة .

وتستمر العمليتان حتى تنتهي الوثائق الموجودة ، وإن بقي النظام مفتوحا للإضافات الجديدة وهو مايسمى التحديث Up-dating .

التفـليم :

عندنا الآن وثائق مفهرسة ومصنفة ولكل منها بطاقة تشتمل على البيانات الخاصة بها . والمقصود بالتفليم هو تحديد تسلسل الفيلم : بداياته ونهاياته ومايليهما من وثائق ، وما بين الوثائق من فواصل إرشادية أو ترفيهية أو أية فواصل أخرى .

التصـوير :

بعد تحديد تسلسل الفيلم يمكن تصوير الوثائق وفق هذا التسلسل وبعد أن يكون سجل عليها وعلى بطاقاتها : أرقام التصنيف ، وأرقام الميكروفيلم : البكرة والكادر .

اعداد الفهارس :

ويتضمن أولا تحديد أنواع الأسئلة التي ستوجه إلى نظام المعلومات ، ومن ثم تحديد أنواع المداخل التي يمكن منها الإجابة على هذه الأسئلة . ولما كنا قد عرفنا أنواع الأسئلة عند تصميم نظام الاسترجاع فلابد وأن نكون حددنا أنواع المداخل أي أنواع الفهارس . وهنا فهرسان في غاية الأهمية وهما :

الفهرس الوصفي بحسب أوصاف الوثائق ، والفهرس المصنف حسب أرقام التصنيف . وكل منهما يشتمل على البيانات التي سجلناها من كل وثيقة .

الحاسب الإلكتروني :

إذا كان من المقرر أن يُحسَّب العمل فلابد أن يدخل خبراء الحاسب منذ البداية أي عند تصميم نظام الاسترجاع . وتخزين أرقام الميكروفيلم لكل وثيقة . ويمكن في هذه الحالة أن يقوم الحاسب بطبع الفهارس وفق المداخل المطلوبة . وليس من شأننا هنا أن نتعرض لتفاصيل عمل الحاسب . ولكننا نشير هنا فقط إلى أن مخرجات الحاسب يمكن أن تكون على ميكروفيلم أو ميكروفيش وتسمى : COM

Computer Output Microfilm وهي عبارة عن اندماج الحاسب مع الميكروفيلم ، وهو تكنيك جديد توصل إليه العلماء لكي لايعتمد على الطابع السطري الذي كان أبطأ في الإخراج جدا من وحدة التجهيز المركزية CPU أما المخرج الميكروفيلمي فهو أسرع كثيرا ويؤدي إلى تضييق الفجوة فى السرعة بين CPU والمخرجات . كما أن المخرجات هنا يمكن أن تمثل مدخلات لمركز معلومات آخر ، أو عند الحاجة .

التكشيف :

طالما اننا نمتلك الآن روابط إلى الوثائق المحملة على أفلام مصغرة أو غيرها ، وهذه الروابط التي هي أرقام كودية تمكننا من الرجوع الى الوثائق ، وتمكننا من الإحالة إليها ، طالما كان الأمر كذلك ، فإننا يمكن في كثير من الحالات أن نحلل محتويات الوثائق .

وإذا كانت الفهرسة تعني بوصف الوثائق من الناحية المادية ، وإذا كان التصنيف يعني بوصف موضوع الوثيقة ، فإن التكشيف يعني بتحليل المحتوى الموضوعي للوثيقة بحيث تستخرج منها كل المصطلحات الهامة ، بحيث تكون مفاتيح للمعلومات التي تتضمنها ، ثم عند إعداد الكشافات ترتب هذه المصطلحات أو الأسماء أو الموضوعات ترتيبا هجائيا يسهل الرجوع إليه من جانب المستفيدين . ويتم الإحالة هنا إلى رقم الوثيقة الموجود في الفهرس .

ويمكن أن يتم هذا بالنسبة للوثائق الأرشيفية بحيث نستخرج منها كل المعلومات التي يمكن أن تفيد الباحث .

خاتمــة

بعد هذا العرض الموجز لأساسيات التنظيم ، ثم للتطبيق العملي لنظام المعلومات يتضح ما يأتي :

١ - أن هذه الأساسيات تصدق عند التطبيق على كل أنواع الوثائق .

٢ - أن الأرقام التي سوف يحال بواسطتها إلى الوثائق هي أرقام التصنيف ، ثم رقم الفيلم ورقم الكادر .

٣ - أن الميكروفيلم أو غيره من الوسائل المصغرة لايدخل إلا في المراحل النهائية وبصفة خاصة عند التفليم ، ثم عند التصوير .

٤ - إن الأساس في العمل هو العمل التنظيمي وهو جهد بشري عقلي . ولذلك فإن هناك فارقا بين التنظيم والترقيم . التنظيم يعني إعداد النظام والترقيم يعني مجرد ترقيم الوثائق . وإخصائيو التنظيم يهتمون أولا وأساساً بإعداد النظام ، أما رجال المصغرات وآلاتها ورجال الحاسب فكل الذي يهمهم هو الترقيم .

والترقيم يأتي عندنا بعد إعداد النظام الذي يشمل قوائم الموضوعات . ثم يأتي بعد ذلك الترقيم العملي أو الترميز .

رجال الأجهزة والآلات تبسيط مخل للقضية .

ورجال المعلومات وتنظيمها ينوهون بالجهد البشري .

وما أحوجنا إلى وضوح هذه المفاهيم حتى لا تختلط الوسائل بالغايات .

ببليوجرافية مختصرة :

الواقع أن مصادر الدراسة لاحصر لها ، فهناك مصادر في الفهرسة ومصادر في التصنيف ، ومصادر في المصغرات الفيلمية . وهذه وتلك تعد بالآلاف ، وبدون مبالغة . ولكن سوف نعطي عددا محدودا من المصادر . ومما يجدر ذكره أن المصادر نفسها تشتمل على ببليوجرافيات وقراءات قد تكون مفصلة أحيانا . ولذلك فقد اقتصرنا في المصادر الخاصة بالتصنيف والفهرسة على المصادر العربية ، ثم أعطينا عددا قليلا من المصادر عن معالجة الميكروفيلم .

١ - عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧ . ١٩٢ص .

٢ - عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي : دراسة في منهج إعداد أنظمة التصنيف ، مع تطبيقه في إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامي . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ . ٦١٤ ص .

٣ - عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين . الرياض : دار العلوم ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م . ٦٥٤ ص .

٤ - عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . مركز المعلومات الميكروفيلمي لمجمع الحديد والصلب المصري : تجربة رائدة في الوطن العربي . مجلة الثقافة العربية (القاهرة) ١٩٧٤ .

٥ - فوسكت ، أ . س . تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق . ترجمة عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . الرياض : دار العلوم ، ١٩٨٠ . ٢ ج ؛ ٧٣٦ ص .

٦ - محمد فتحي عبدالهادي . المدخل إلى علم الفهرسة . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٩ . ٤٦١ ص .

٧ - ملز ، ج . نظم التصنيف الحديثة في المكتبات : أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية ؛ ترجمة عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٢ . ٣٨٦ ص .

(8) Kish, J. and Morris, J. «Microfilm Business», New York, The Ronald Press Company.

(9) Nitecki, J. «Simplified Classification and Cataloging of Microforms» in: Microforms in Libraries; a reader. Microform Review, Weston, Conn., 1977.

(10) Saffady, William. «Micrographics», littleton, Colo., 1978.

(11) Teaque, S.J. «Microform Libarianship», London, Butterworths.

(12) Veaner, A.B. (ed.), Studies in Micropublishing 1853-1976; Bocumentary Sources, Westport, Conn., Microform Review.

قائمة المحتويات

الصفحات